Wasit University Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

البواعث الفكريّة في القرآن الكريم ودورها في معالجة مظاهر العلمانيّة

The Intellectual Motivations in the Holy Qur'an and Their Role in Addressing the Manifestations of Secularism

جاسِم, عليّ حسين عبد عليّ

إشراف: أ.د حيدر تقي فضيل العلاق

جامعة واسط — 2026

https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/168

https://doi.org/10.31185/uowasit-12

حُمِّل هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq

جمهوريّة العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة واسط / كُليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة

قسم علوم القرآن والتّربية الإسلاميّة/ الدراسات القرآنيّة

البواعث الفكريّة في القرآن الكريم ودورها في معالجة مظاهر العلمانيّة

إلى مجلس كليّة التّربية للعلوم الإنسانيّة / جامعة واسط وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في قسم علوم القرآن والتّربية الإسلاميّة / الدّراسات القرآنية

رسالة تقّدم بها الطالب

عليّ حسين عبد عليّ جاسِم

إشراف

الأستاذ الدكتور

حيدر تقي فضيل العلاق

١٤٤٧هـ **٢٠٢٦م**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿...وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾

صدق الله العليُّ العظيم

سورة المائدة من الآية / ٤٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة ب (**البواعث الفكرية في القرآن الكريم ودورها في معالجة مظاهر العلمانية**) التي تقدم بها الطالب (علي حسين عبد علي)

قد جرى تحت بإشرافي في قسم علوم القران والتربية الإسلامية بكلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة واسط وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القران والتربية الإسلامية – الدراسات القرآنية

الإمضاء :

الأستاذ الدكتور حيدر تقي فضيل العلاق

التاريخ : ٣ / ٨ / ٢٠٢٦ م

بناء على التوصيات المتوفرة أرشح الرسالة المشار إليها أنفا للمناقشة

الإمضاء :

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

التاريخ : ٣ / ٨ / ٢٠٢٦ م

أ . م . د
عامر هاشم الدريعي
رئيس قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

إقرار الخبير اللغويّ

أشهد أنّ الرسالة الموسومة ب (البواعث الفكرية في القرآن الكريم ودورها في معالجة مظاهر العلمانية) التي تقدّم بها الطالب (علي حسين عبد علي)

قد راجعتها من الناحية اللغويّة ، ووجدتها مكتوبة بأسلوبٍ لُغويّ مقبول ، خالٍ من الأخطاء اللغوية، ولأجله وقعت .

الخبير اللغويّ :

الإمضاء :

الاسم :

الكلية :

التاريخ : / /

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن – أعضاء لجنة المناقشة – الموقعين أدناه أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة ب (**البواعث الفكرية في القران الكريم ودورها في معالجة مظاهر العلمانية**) التي أعدها الطالب (علي حسين عبد علي) وناقشنا الطالب في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونعتقد أنه جدير بالقبول لنيل شهادة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية / الدراسات القرآنية ؛ بتقدير (جيد جدا / عال)

عضو اللجنة

الإمضاء :

الاسم : أ.د علاء عبد الحسين محمد

التاريخ : ٢٠٢٦/٥/٢٤

عضو اللجنة

الإمضاء :

الاسم : أ.م.د مهند سالم عباس

التاريخ : ٢٠٢٦/٥/٢١

عضو اللجنة (المشرف) :

الإمضاء :

الاسم : أ.د حيدر تقي فضيل

التاريخ : ٢٠٢٦/٥/٢١

رئيس اللجنة :

الإمضاء :

الاسم : أ.د لبنى حسن عذيب

التاريخ : ٢٠٢٦/٥/٢٤

أصادق على ما جاء في قرار لجنة المناقشة / عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

الإمضاء :

الاسم : أ . د . محمود حمود عراك

التاريخ : ٢٠٢٦/ ٥ /٢٥

الاهداء :

إلى مَنْ أحبته القلوب واشتاقت لرؤيته العيون الرحمة المهداة والنعمة المسداة صاحب زماننا الإمام المهديّ (عجلَّ الله تعالى فرجه الشريف)

– عليّ –

شكر وامتنان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد واله بيته الطيبين الطاهرين المنتجبين .

أتقدّم بالشكر الجزيل لكل مَنْ ساعدني ومدَّ لي يد العون لإنجاز هذه الدراسة ، وعلى رأسهم المشرف الأستاذ الدكتور (حيدر تقي فضيل) الذي لم يبخل بنصيحة أو جهد، فلولا إرشاداته وتوجيهاته المستمرة لما وصلت الرسالة إلى ما هي عليه، فكانت حاضرة في كل جوانبها .

كما أشكر جميع أساتيذي الكرام الذين تتلمذت على أيديهم من المرحلة التحضيرية وحتى الان ، لما قدموه لي من عون وتشجيع، وفقهم الله تعالى لما هو خير .

وأتوجّه بالشكر لكل من كان لي عونًا وسندًا في مسيرتي الدراسية والبحثية، وفي مقدمتهم عائلتي التي أعتز بها، وعلى رأسهم والدي العزيز ووالدتي الغالية، وإخوتي ، الذين بذلوا الجهد والوقت ووفّروا لي الظروف المناسبة لإتمام هذا العمل البحثي.

ولا يفوتني أن أشكر زملائي في الدراسة، فلهم مني فائق الشكر والامتنان على ما بذلوه من جهد، أما من فاتني ذكره فعذر وله مني جزيل الشكر والامتنان ...

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ (سورة التوبة: ١٠٥)

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنيّة	أ
إقرار المُشرف	ب
إقرار الخبير اللغويّ	ت
إقرار لجنة المناقشة	ث
الإهداء	ج
شكر وامتنان	ح
المحتويات	خ – د – ذ – ر
المُقَدَّمة :	١ – ١٣
المبحث التمهيدي :	١٤ – ٣٩
الفصل الأَوّل: العلمانيّة أصلها ومظاهرها وأنواعها وعلاقتها بالمذاهب الفكريّة	**٤٠– ١٠٦**
المبحث الأَوّل: أصل كلمة العلمانية	**٤٠– ٤٨**

المطلب الأول : نطق كلمة العلمانية	**٤٠-٤٢**
المطلب الثاني: ترجمة كلمة سكولاريم إلى العربية	**٤٢-٤٨**
المبحث الثاني: مظاهر العلمانيّة	**٤٩ – ٦٩**
المطلب الأَوّل: مظاهر العلمانيّة في الفرد	**٤٩ – ٥٣**
المطلب الثاني: مظاهر العلمانيّة في مجالات الحياة	**٥٤ – ٦٩**
المبحث الثالث: أنواع العلمانيّة ومراحل تطورها	**٧٠- ٨١**
المطلب الأَوّل: العلمانيّة المعتدلة	**٧٠- ٧٥**
المطلب الثاني: العلمانيّة المتطرفة	**٧٦- ٨١**
المبحث الرابع: علاقة العلمانيّة بالمذاهب الفكرية	**٨٢ – ١٠٦**
المطلب الأَوّل: العلمانيّة والعلمنة	**٨٢ – ٩١**
المطلب الثاني: العلمانيّة والحداثة	**٩٢ – ٩٧**
المطلب الثالث: العلمانيّة والعولمة	**٩٨ – ١٠١**
المطلب الرابع: العلمانيّة والماسونيّة	**١٠٢ – ١٠٦**
الفصل الثاني: الآثار السلبية للعلمانيّة	**١٠٧ – ١٦٤**
المبحث الأَوّل: الآثار السلبية للعلمانيّة في العالم الغربيّ	**١٠٧ – ١٢٩**

المطلب الأَوّل: آثار العلمانيّة على الفرد	١٠٨ – ١١٢
المطلب الثاني: آثار العلمانيّة على الأُسرة	١١٣– ١١٧
المطلب الثالث: آثار العلمانيّة على المجتمع	١١٨ – ١٢٩
المبحث الثاني: آثار للعلمانيّة في العالم الإسلاميّ	١٣٠ – ١٤٤
المبحث الثالث: الآثار السلبية للعلمانيّة على المرأة	١٤٥ – ١٦٤
المطلب الأَوّل: آثار العلمانيّة على المرأة الغربيّة	١٤٥ – ١٥٦
المطلب الثاني: آثار العلمانيّة على المرأة المسلمة	١٥٧ – ١٦٤
الفصل الثالث: معالجة القرآن لمظاهر العلمانيّة	١٦٥ – ٢١٥
المبحث الأَوّل: نظرة القرآن الكريم للعلمانيّة ووسائل محاربتها	١٦٥ – ١٨٠
المبحث الثاني: معالجة القرآن لمظاهر العلمانيّة في مجالات الحياة	١٨١ – ١٨٦
المطلب الأَوّل: معالجة القرآن لمظاهر العلمانيّة في الفكر الماديّ	
المطلب الثاني: معالجة القرآن لمظاهر العلمانيّة في الاقتصاد (الربا أنموذجا)	١٨٧ – ١٩١
المطلب الثالث: معالجة القرآن لمظاهر العلمانيّة في الأخلاق	١٩٢– ١٩٩

المطلب الرابع: معالجة القرآن لمظاهر العلمانيّة في الاجتماع والقانون والفن والإعلام	٢٠٠- ٢٠٩
المطلب الخامس: معالجة القرآن لمظاهر العلمانيّة في العلم	٢١٠ – ٢١٥
الخاتمة	٢١٦ – ٢١٩
قائمة المصادر والمراجع	٢٢٠- ٢٤٠
الملخص باللغة الإنكليزية	A – B

المُقَدَّمة

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، الحمد لله ربي ورب العرش العظيم ، الحمد لله الذي لا يؤدي حق حمده الحامدون، ولا يبلغ عظمته الواصفون ، سبحانه اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون سبحانه مفرج الكربات وغافر الخطيئات ، بديع السماوات والأرض لا إله إلا هو توكلت عليه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وأثني وأسلم على المصطفى الصادق الأمين وشفيعنا يوم الدين محمد (صلى الله عليه وعلى اله الطيبين الطاهرين) ، ومن سار على نهجهم واقتفى أثارهم الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا أما بعد :

تظهر أهمية البحث في موضوع العلمانية ومراحلها وتطورها ونشوؤها، وأثارها السيئة في المجتمع وموقف الإسلام منها . إن العلمانية التي انتشرت واستمرت إلى الحاضر ،ووقفت بوجه الشرائع السماوية بدعوى أن هدفها ومبتغاها هي جلب السعادة للإنسان وتحريره من كل قيود الأديان من أجل ذلك ، ولكن نؤكد على وجه اليقين أن لا سعادة بالابتعاد عن خالق السماوات والأرض فالله عز وجل خلق الانسان، وهو أعلم بأن سعادته الحقيقية هي القرب من الخالق واتباع النظام السماوي المنزل منه تعالى سواء بالكتب السماوية كالقرآن والانجيل والتوراة أو بإرسال الرسل والأنبياء بين آونة وأخرى، فالسعادة الحقيقية ان تعتقد بأنه لابد لهذا الكون من خالق وهو الله عز وجل ،ولابد أن نؤمن بهذا الخالق العظيم ونتبع أوامره . في كل شؤون الحياة بدلا من التحلل والانحراف والانحطاط واتباع المجهول واشباع الرغبات والشهوات على حساب راحة الضمير والأخلاق الحميدة والتعاون بين الناس.

ولقد شهدت الإنسانية في القرون الأخيرة تحولات فكرية وثقافية كبيرة كان لها أثر بالغ في تشكيل أنماط التفكير والسلوك، وتحديد علاقة الإنسان بذاته ومجتمعه وقيمه. ومن أبرز هذه التحولات صعود الفكر العلماني الذي نشأ في البيئة الغربية كردّ فعل على صراعات الكنيسة مع

العلم، ثم تطور ليصبح مشروعًا فكريًا يسعى إلى تنظيم حياة الإنسان بعيدًا عن المرجعية الدينية، وإقامة منظومة معرفية ترى أن العقل والتجربة المادية هما المصدران الوحيدان للمعرفة، وقد ساهمت هذه الفلسفة في إعادة تشكيل البنية الفكرية للمجتمعات الغربية، ثم امتدت آثارها عبر الاستعمار الثقافي والعولمة والانفتاح الإعلامي إلى بقية المجتمعات، ومنها العالم الإسلامي.

وفي مقابل هذا يقدم القرآن الكريم منظومة متكاملة من البواعث الفكرية التي تهدف إلى ترسيخ الإيمان، وتوجيه العقل، وتقويم السلوك، وصناعة وعي قادر على تمييز الحق من الباطل، والهدى من الضلال. وهذه البواعث ليست مجرد توجيهات أخلاقية، بل هي قواعد تأسيسية لبناء رؤية حضارية شاملة، تصحح مسار الإنسان وتعطيه القدرة على مواجهة الانحرافات الفكرية التي تنتجها الفلسفات المادية المعاصرة، وفي مقدمتها العلمانية.

فالقرآن الكريم بوصفه كتاب هداية يتعامل مع الإنسان من حيث هو عقل وإرادة وشعور، ويوجه خطابه بطريقة تُعيد للإنسان توازنه، وتحفظ صلته بربه، وترسم له العلاقات الصحيحة مع الكون والحياة والمجتمع. ولهذا تبرز أهمية دراسة البواعث الفكرية القرآنية؛ لأنها تمثل الأساس النظري والعملي الذي يمكّن الأفراد والمجتمعات من بناء وعي متزن، قادر على مقاومة التغريب الفكري، وكشف التناقضات التي تحملها العلمانية، ومعالجة آثارها السلبية في مختلف مجالات الحياة.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسدّ فجوة بحثية مهمّة تتعلق بسؤال مفاده : كيف يواجه القرآن الكريم مظاهر العلمانية؟ وما الدور الذي تؤديه البواعث الفكرية القرآنية في إعادة تشكيل الوعي لدى الإنسان المسلم؟ وتقوم الدراسة على تحليل المفاهيم العلمانية، وبيان علاقتها بالعلمنة والحداثة والعولمة والفكر الماسوني، والكشف عن آثار العلمانية في الغرب وفي العالم الإسلامي، وتأثيرها

على الفرد والأسرة والمجتمع، ولاسيما على المرأة التي كانت إحدى أكثر الفئات تأثرًا بالتحولات الفكرية الحديثة.

وتسعى هذه الدراسة أيضا إلى تحليل المعالجة القرآنية لمظاهر العلمانية في مجالات الاقتصاد، والقانون، والأخلاق، والاجتماع، والفن، والإعلام، والعلم، من طريق استقراء النصوص القرآنية ذات الصلة، واستنباط البواعث الفكرية التي تعالج الخلل الذي أحدثته العلمانية في هذه المجالات، وتعيد صياغتها ضمن منظومة قيمية ربانية تحفظ للإنسان كرامته وتوازنه.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز قدرة القرآن الكريم على تقديم بديل فكري ومعرفي متكامل في مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة، وإظهار أن البواعث القرآنية ليست مجرد عناصر روحية، بل هي مشروع حضاري شامل قادر على تصحيح المسار الفكري للإنسان، وإعادة بناء الوعي بما يخدم مصلحة الفرد والمجتمع والأمة.

أولا: إشكالية الدراسة

تقوم إشكالية هذه الدراسة على التوتر القائم بين المفهوم العلماني الذي ينادي بفصل الدين عن الدولة، وبين الرؤية الإسلامية التي تنظر إلى الدين بوصفه إطارًا شاملًا ينظم حياة الإنسان في جميع المجالات. فالعلمانية تسعى إلى جعل السياسة والقانون والتعليم والاقتصاد وغيرها من مؤسسات الدولة مستقلة عن المرجعية الدينية، بينما يرى الإسلام أنّ هذه الجوانب لا تنفصل عن الهداية الشرعية التي تُوجِّه السلوك الفردي والجماعي.

ويظهر الخلاف عند محاولة تطبيق النموذج العلماني في المجتمعات الإسلامية، إذ يثير ذلك تساؤلات عن مدى ملاءمته للهوية الدينية والقيم السائدة. كما تبرز الإشكالية في تأثير هذا

الفصل على دور الشريعة في التشريع، وعلى العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وعلى طبيعة الأخلاق المجتمعية المرتبطة بالدين.

ومن ثمّ تسعى الدراسة إلى تحليل هذا التعارض، وبيان آثاره الفكرية والاجتماعية، والكشف عن حدود التوافق أو التنافر بين العلمانية والتصور الإسلامي الشامل للحياة.

وما جاء في هذه الإشكالية يقودنا الى طرح أسئلة تفرض نفسها للحصول على إجابات تعكس طبيعة الدراسة منها:

١- كيف يعالج القرآن الكريم فكرة فصل الدين عن الدولة ؟

٢- ما الآيات والمفاهيم القرآنية التي تعالج مظاهر العلمانية في شتى مجالات الحياة ؟

٣- ما طبيعة البواعث الفكرية القرآنية التي تشكل أساسًا لمواجهة النزعات المادية والعقلانية المنفصلة عن الدين؟

ثانيا: أسباب اختيار الدراسة

١- تقوم العلمانية على فكرة قصل الدين عن الدولة وهو ما يشكل مشكلة فكرية في مجتمعنا الإسلامي فكان لابد من بيان الرؤية القرآنية في معالجة هذه الظاهرة الفكرية.

٢- ما حصل في العراق بعد التغيير السياسي من فساد بعض التكتلات السياسية وبعض ورجال الدين المشاركين في العملية السياسية أدى الى ردود أفعال غاضبة وظهور أصوات تطالب بإبعاد الدين عن السياسة.

٣-عدم تكرار ما حصل في أوروبا في دولنا العربية والإسلامية حيث أدى انحراف رجال الدين الى انهيار عقيدة الناس وعدم ايمانهم وتصديقهم بما تقوله الكنيسة من دون تفريق بين الدين ورجل الدين.

٤- عدم انجرار الشباب العربي والمسلم وراء الأفكار والحركات الغربية الهدامة المخالفة والمحاربة للدين الإسلامي.

ثالثا: أهمية الموضوع

تتجلى أهميته في إبراز قدرة القرآن الكريم على معالجة هذه المظاهر معالجة شمولية تجمع بين الإصلاح الفكري والتقويم السلوكي. ويكتسب الموضوع قيمته من تقديمه رؤية قرآنية متوازنة تحفظ الهوية الإسلامية وتواجه التحديات الفكرية الحديث، ولم يكن حضور العلمانية في العالم الإسلامي مجرد انتقال لفكر أجنبي، بل جاء محمّلًا بإشكالات عديدة تتعلق بالهوية، والمرجعية، والمفاهيم، والقيم، والعلاقات الاجتماعية، فقد حاولت بعض التيارات الفكرية تكييف هذا الفكر الغربي مع البيئة الإسلامية، بينما اتجهت تيارات أخرى إلى رفضه رفضًا تامًا، وأخرى إلى ضرورة دراسته دراسة علمية لفهم أبعاده وآثاره، وبين هذه الاتجاهات المختلفة، بقيت الحاجة ملحّة لفحص جذور العلمانية، وبيان مظاهرها، والكشف عن آثارها في الفرد والأسرة والمجتمع، ولاسيما في ظل حضورها المتنامي في وسائل الإعلام، والمناهج التعليمية، والفنون، والسياسات الاجتماعية.

رابعا: أهداف الدراسة

١- تحديد الأصل اللغوي والاصطلاحي للعلمانية وبيان جذورها الفكرية ونشأتها التاريخية في الغرب. وبيان الاشتقاق اللغوي لمصطلح العلمانية وتحديد ما إذا كان منسوبًا إلى العِلم أم إلى العالَم، مع توضيح كيفية دخوله إلى اللغة العربية وتداول استعماله.

٢- تحليل مظاهر العلمانية في الفرد والمجتمع ومجالات الحياة المختلفة، وبيان أثر هذه المظاهر على المنظومة القيمية والسلوكية.

٣- دراسة الآثار السلبية للعلمانية في العالم الغربي على الفرد والأسرة والمجتمع.

٤- توضيح الآثار السلبية للعلمانية في العالم الإسلامي وكيف انعكست في الهوية والقيم والنظم الاجتماعية.

٥- تحليل أثر العلمانية على المرأة في المجتمعات الغربية والإسلامية ومقارنة نتائج هذه التأثيرات.

٦- إبراز أثر القرآن الكريم في معالجة فكرة فصل الدين عن الدولة من طريق مبادئه التربوية والتشريعية.

٧- بيان البواعث الفكرية القرآنية التي تعيد تشكيل وعي الفرد المسلم وتحصّنه من الانجراف نحو الفكر العلماني المتطرف.

خامسا: حدود الدراسة

تقتصر الدراسة على بيان البواعث الفكرية في القرآن الكريم وتحليل دورها في معالجة مظاهر العلمانية دون التوسع في بقية مصادر التشريع أو المعالجات الفقهية التفصيلية. كما تركز على مظاهر العلمانية في الفرد والمجتمع ومجالات الحياة المختلفة، والآثار السلبية لها في الغرب والعالم الإسلامي.

سادسا: منهج الدراسة

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، المدعوم بالمنهج الاستقصائي في جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، واستنباط الدلالات الفكرية منها، إضافة إلى المنهج التاريخي

عند تتبع جذور العلمانية ومراحل تطورها. ويسعى هذا المنهج إلى وصف ظاهرة العلمانية وصفًا علميًا دقيقًا، ثم تحليل المعالجة القرآنية لها وبيان قدرتها على توجيه الفرد والمجتمع.

سابعا: صعوبات البحث

١- تشعب موضوع الدراسة واتساع مجالاته؛ لارتباطه بعدة حقول فكرية وعقدية واجتماعية وسياسية، مما استدعى الرجوع إلى مصادر متعددة وآراء متباينة، ومحاولة حصر المادة العلمية وتنظيمها بما ينسجم مع أهداف البحث.

٢- صعوبة الحصول على بعض المصادر فقد تطلب ذلك الكثير من الجهد و الوقت .

ثامنا: مصادر الدراسة

اقتضت الدراسة الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع القديمة والحديثة وفي مقدمتها وأشرفها كتاب الله العزيز القرآن الكريم ؛ لأنه من أهم وأصدق المصادر إذ شكلت سوره وآياته عماد الدراسة ، ومن أجل توضيح وتفسير ما وظف منه وجب علينا الاستعانة بكتب التفاسير القديمة والحديثة بغية الاطلاع على اراء المفسرين وتأويلهم لمضمونها ، يضاف الى ذلك كتب الحديث النبوي ، ومن المصادر المهمة الأخرى كتب الفكر الإسلامي وكتب العلمانية ، وبغية التعريف ببعض الشخصيات التي وردت في متن الرسالة وإيضاح الكلمات والمصطلحات الغامضة اعتمدنا في ذلك على المعجمات وكتب اللغة الخاصة كونها مصادر اختصاص وكذلك كتب السيرة الذاتية .

تاسعا: الدراسات السابقة

١- العلمانية (الدكتور سفر الخوالي)

يتناول الدكتور سفر الخوالي في كتابه العلمانية: نشأتها وتطورها الجذور التاريخية والفكرية للعلمانية، والمراحل التي مرت بها منذ ظهورها في أوروبا إلى وصولها للعالم العربي، مع تحليل أهدافها وتحولاتها وتطبيقاتها في الواقع المعاصر.

٢-العلمانيون والقرآن تاريخية النص (الدكتور أحمد ادريس الطعان)

تبرز فائدة هذه الدراسة في أنها تكشف الأثر العميق للمناهج العلمانية التي تتعامل مع القرآن بوصفه نصاً تاريخياً، مما يساعد على فهم الخلفيات الفكرية التي تقف وراء هذا الطرح وكيفية تشكّله في الفكر العربي الحديث. كما تمكّننا من تمييز الفروق بين المناهج التفسيرية الإسلامية والمناهج الحداثية، وتحليل تأثير فكرة تاريخية النص على العقيدة والتشريع والمرجعية الدينية. وتزداد أهمية هذه الدراسة لأنها تتيح للباحث القدرة على نقد الأدوات الفلسفية واللغوية التي يوظفها المفكرون العلمانيون، وتبيّن نتائج هذا الاتجاه على فهم النص القرآني ودوره في الحياة المعاصرة.

٣- التيار العلماني الحديث وموقفه من القران (منى محمد الشافعي)

بحث منى محمد الشافعي يتناول موقف التيار العلماني الحديث من القرآن الكريم، وذلك من خلال تحليل أفكار أبرز المفكرين العلمانيين العرب، وتتبّع الأسس الفلسفية والمنهجية التي اعتمدوا عليها في تعاملهم مع النص القرآني. تسعى الدراسة إلى بيان جذور هذا الاتجاه، ومدى تأثره بالنظريات الغربية الحديثة في تفسير النصوص.

٤-الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القران دراسة ونقد للدكتور (أحمد محمد الفاضل)

يتناول الدكتور أحمد محمد الفاضل في دراسته موضوع الاتجاهات العلمانية الحديثة التي تناولت علوم القرآن، وذلك عبر تحليل مناهج المفكرين العلمانيين في التعامل مع النص القرآني، ونقد الأسس الفلسفية والفكرية التي اعتمدوا عليها. تهدف الدراسة إلى كشف تأثير الفكر الحداثي على تفسير القرآن، وبيان ما يترتب على ذلك من نتائج عقدية وعلمية.

٥-العلمانية المعاصرة مخاطرها وسبل مواجهتها (إيمان طلال أحمد المقادمة)

يتميز في أنه أجلى الفوارق الأساسية بين العلمانية التقليدية والعلمانية المعاصرة، وقد اجتهدت الباحثة فيه ما أمكن في إبراز أهم النقاط التي تعمل من خلالها العلمانية المعاصرة على محاربة الإسلام في المجالين الفكري والعلمي، وبيان خطر ذلك على الدين الإسلامي، وعلى مكانته في قلوب المسلمين، تلك المكانة التي جعلت الأمة الإسلامية عصية على العلمنة حتى اليوم.

٦-الفكر العلماني في ضوء عقيدة الولاء والبراء (نسرين بنت صلاح بن خضر أبو جراد)

يُبرز هذا البحث أهمية ضبط الفكر العلماني بعقيدة الولاء والبراء، من خلال كشف الانحرافات العقدية والتشريعية التي أصابت هذا الفكر وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع. كما يوضح البحث الضوابط الشرعية للعلاقات الإنسانية بين المسلمين وبينهم وبين العلمانيين، ليقدّم إطارًا واضحًا للتعامل وفق العقيدة الإسلامية. ويكشف كذلك موقف الإسلام من العلمانية المعاصرة، مع تطبيقات خاصة على الواقع الفلسطيني، مما يجعل البحث مرجعًا مهمًا لفهم كيفية حماية الهوية العقدية في مواجهة التيارات العلمانية.

٧- أثر العلمانية في المجتمعات الإسلامية (محمد زين الهادي علي كرار)

تساعد هذه الدراسة في كشف أثر دخول الأفكار العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية، وكيف أثرت في بنيتها القيمية والاجتماعية والفكرية. كما تُمكّن الباحث من فهم مسارات التحوّل التي

مرّت بها هذه المجتمعات، وتقديم رؤية نقدية تساعد على التمييز بين ما يتوافق مع المنظومة الإسلامية وما قد يؤدي إلى إضعاف الهوية الدينية.

٨- اطروحات التوفيقيين حول قضايا المرأة بين الإسلام والعلمانية (دراسة نقدية) (محمد إبراهيم العوضي)

تتجلّى فائدة هذه الدراسة في أنها تقدّم معالجة علمية نقدية لخطاب التوفيقيين حول قضايا المرأة، وهو خطاب يتوسّط بين الإسلام والعلمانية ويؤثر بنحو ملحوظ في تشكيل الوعي الثقافي المعاصر. وتسهم الدراسة في كشف الأسس الفكرية التي اعتمدتها المدرسة التوفيقية في تعاملها مع شبهات العلمانيين، مع بيان مدى صواب هذه الأسس أو انحرافها عن المنهج الشرعي. كما تبرز أهمية الدراسة في توضيح الفروق الجوهرية بين منطلقات التوفيقيين ومنطلقات العلمانيين، وبيان المساحات التي يلتقيان فيها دون أن يعني ذلك تماثلاً في المرجعية أو الأهداف.

٩- الإسلام والعلمانية وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة (مسعود عبد الخالق محمد أمين)

يساهم هذا البحث في توضيح الأسس الفكرية والسياسية التي رافقت نشأة الدولة العراقية الحديثة، من خلال تحليل الجذور التاريخية لتأثير كلٍّ من العلمانية والفكر الإسلامي في مسار تشكيل مؤسسات الدولة بعد عام ١٩٢١. ويقدّم البحث قيمة علمية عبر كشفه طبيعة الصراع بين النخب العلمانية المتأثرة بالمشروع الاستعماري، والنخب الدينية والقبلية الرافضة له، مما يساعد في فهم ديناميات السلطة والتحولات الاجتماعية في تلك المرحلة. كما يثري المعرفة التاريخية من خلال اعتماده على تتبع الأحداث والاتفاقيات الدولية التي أسهمت في رسم حدود العراق وتحديد نظامه السياسي. ويتيح هذا البحث للدارسين إطارًا تحليليًا لفهم كيفية انتقال العراق من البنية العثمانية إلى الدولة الحديثة، وما نتج عن ذلك من تحديات بنيوية وسياسية. إضافةً إلى ذلك، يعين هذا

العمل الأكاديمي الباحثين على ربط الماضي بالحاضر في دراسة إشكالية الدولة والهوية في العراق.

١٠- الإسلام والعلمانية دراسة في أبرز المواقف الفكرية السياسية الاسلامية المعاصرة (طارق عبد الحافظ عدنان)

تبرز فائدة هذه الدراسة في أنها توضح طبيعة حضور العلمانية في الفكر السياسي الإسلامي، وتكشف كيفية تفاعل المفكرين معها قبولًا ورفضًا، مما يساعد في بناء فهم متوازن يميز بين الجوانب التي يمكن الإفادة منها وبين ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية. كما تمكّن صانع القرار والباحث من إدراك أثر العلمانية على العلاقة بين الدين والدولة، وتقدّم إطارًا علميًا يساعد على التعامل مع هذه الظاهرة بوعي ودقة.

١١- العلمانية في الفكر العربي المعاصر : دراسة حالة فلسطين (جبرا الشوملي)

تُبرز هذه الدراسة كيفية حضور الفكر العلماني في السياق العربي المعاصر من خلال نموذج الحالة الفلسطينية، مما يساعد على فهم التفاعلات بين الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي وبين التيارات الفكرية الحديثة. كما تفيد في كشف العوامل التي أدّت إلى تبني بعض النخب الفلسطينية للطرح العلماني، ومدى تأثير ذلك على الهوية الوطنية والدينية.

١٢- العلمانية في الفكر الايراني المعاصر عبد الكريم سرويش أنموذجا (وجدان التميمي)

تبحث هذه الدراسة تطوّر الفكر العلماني في إيران منذ جذوره الأولى وصولاً إلى تحوّلاته قبيل الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩. كما تتناول مشروع عبدالكريم سروش بوصفه أبرز المنظّرين للخطاب العلماني في مواجهة ولاية الفقيه، من خلال تحليل أفكاره وعلاقته بالدين والسياسة. وتهدف الدراسة

إلى الكشف عن بنية العلمانية في الفكر الإيراني المعاصر وصورها المختلفة مع مناقشة نقدية لها.

عاشرا: خطة الدراسة

وقد اقتضت الدراسة تقسيم محتوياتها على مقدمة و تمهيد وثلاثة فصول، للإلمام بجوانب الدراسة كافة، وتغطية جميع تفصيلاتها، وتم ذلك عبر تقسيم الدراسة على فصول عدة كما ذكرنا، حيث قسمت الفصل الأول على أربعة مباحث وكان المبحث الأول يتحدث عن أصل كلمة العلمانية هل هي من العلم أم من العالم فكان لابد من توضيح هذا الاشكال ، وضم المبحث الثاني مظاهر العلمانية، وضم المبحث الثالث أنواع العلمانية، وضم هذا المبحث مطلبين الأول العلمانية المعتدلة، والثاني العلمانية المتطرفة، وضم المبحث الرابع أربعة مطالب الأول علاقة العلمانية بالعلمنة، والثاني علاقة العلمانية بالحداثة، والثالث علاقة العلمانية بالعولمة، والرابع علاقة العلمانية بالماسونية ، وقد ضم الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان الآثار السلبية للعلمانية وفيه ثلاثة مباحث الأول الآثار السيئة للعلمانية في العالم الغربي وقد قسمته على ثلاثة مطالب الاول آثار العلمانية في الفرد ،والمطلب الثاني آثار العلمانية في الاسرة، والثالث اثار العلمانية في المجتمع ،وبعد ذلك تحدثت في المبحث الثاني عن الآثار السيئة للعلمانية في العالم الإسلامي، وأما المبحث الثالث فهو الآثار السيئة للعلمانية على المرأة وقد قسمته على مطلبين الأول آثار العلمانية في المرأة الغربية، والثاني آثار العلمانية على المرأة المسلمة ،وأما الفصل الثالث والأخير فهو معالجة القران لمظاهر العلمانية وقد قسمته على مبحثين الأول نظرة القرآن الكريم للعلمانية ، والثاني معالجة القران لمظاهر العلمانية في مجالات الحياة، وقد ضم خمسة مطالب، الأول معالجة القران لمظاهر العلمانية في الفكر المادي ، والثاني معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في الاقتصاد ،والثالث معالجة لمظاهر العلمانية في الاخلاق ،والرابع معالجة القران لمظاهر العلمانية في الاجتماع والقانون والفن والإعلام، والخامس معالجة القران لمظاهر العلمانية في العلم .

وقد احتوت الرسالة على خاتمة مثلت خلاصة ما توصلت إليه من نتائج ، مع الإشارة الى بعض التوصيات التي أعتقد بأنها ضرورية للبحث الأكاديمي، مع ملخص باللغة الإنكليزية .

ولا يسعني إلا أن أشير إلى عدم ادعائي للكمال في دراستي هذه ، وإنما كان موضوعها ذا مجال واسع خضت فيه ، وكانت هذه الثمرة هي ما استطعت تقديمه في المجال الأكاديمي وهو شيء يسير بسيط، فإن أحسنت فبتوفيق من الله عز وجل وان قصرت فمن نفسي ولن أدعي الكمال يوما ما ؛ فالكمال لله الواحد القهار .

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وعلى اله الطيبين الطاهرين .

الباحث

١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٦ م

المبحث التمهيدي

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات العنوان

أولا: البواعث في اللغة والاصطلاح

ثانيا: الفكر في اللغة والاصطلاح

ثالثا: المظاهر في اللغة والاصطلاح

رابعا: العلمانية في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: نشأة العلمانية وأسبابها

أولا: نشأة العلمانية في أوروبا

ثانيا: نشأة العلمانية في الدول العربية

المبحث التمهيدي

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات العنوان

أولا: البواعث في اللغة والاصطلاح

١- معنى البواعث في اللغة:

البعث: الإرسال، ويستعمل في بعث الله تعالى من في القبور. وبعثت الجمل أطلقته بعد أن فككت عقاله، أو أيقظته من بركه [١] و"بعث الباء والعين والثاء أصل واحد ، وهو الإثارة . ويقال بعثت الناقة : إذا أثرتها . "فبعثتها تقص المقاصر بعدما ... كربت حياة النار للمتنور" [٢]" [٣]. ومن أَسماء الله عز وجل : الباعِثُ ، هو الذي يحيي الخَلْق أَي يبعثهم بعد الموت يوم الحشر [٤]وأيضا "بعث بَعَثَه يَبْعَثُه بَعْثاً : أَرْسَلَه وَحْدَه ، وبَعَثَ به : أَرسله مع غيره وابْتَعَثَه أَيضاً أَي أَرسله فانْبعَثَ "وفي حديث عليّ (عليه السلام) يصف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وشَهِيدُك يومَ الدين ، وبَعِيثُك بالحق"[٥]؛ أَي مَبْعُوثك الذي بَعَثْته إِلى الخَلْق أَي أَرسلته ، فعيل بمعنى مفعول"[٦].

---

(١) ينظر: كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٢ / ١١٢ ، مادة (بعث) .

(٢) ديوان ابن مقبل ، تحقيق عزة حسن ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، (١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م): ١٢٦

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر،(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) : ١/ ٢٦٦ ، مادة (بعث) .

(٤) ينظر : لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٤١٤ هـ : ٢ /١١٦ . مادة (بعث)

(٥) نهج البلاغة، خطب الامام علي عليه السلام، تحقيق محمد عبدة، دار الذخائر، الطبعة الأولى، قم ،ايران ، (١٤١٢ - ١٣٧٠ ش) : ١/ ١٢٢

(٦) المصدر نفسه: ١١٦ ، مادة (بعث) .

٢- البواعث اصطلاحا:

في لغة الشرع، هو السبب الدافع أو الموجب أو الغاية التي يقوم عليها سلوك أو فعل يخفي خيرا أو شرا . وغالبا ما يرتبط الباعث عند مقترف الكبائر أو الصغائر بالإرادة والنية [١] .

والباعث هو أي أمر يسعى إليه الإنسان للحصول عليه للوصول الى أهداف وغايات معينة [٢] .

ثانيا: الفكر في اللغة والاصطلاح

١- معنى الفكر في اللغة:

"الفكر: اسم التفكر. فكر في أمره وتفكر. ورجل فكير: كثير التفكر. والفكرة والفكر واحد"[٣] .والفكر "(فكر) الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء. يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرا. ورجل فكير: كثير الفكر" [٤] .

والفكر: إشغال البال في أمر أو شيء [٥] .

وكلمة فكرية علم مؤنث منسوب إلى فكر . ومدرسة فكرية: هي مجموعة من الفلاسفة والكتاب والفنانين الذين تبرز أفكارهم وأساليبهم وأعمالهم أصلا مشتركا أو إيمانا أو تأثيرا [٦] .

٢- معنى الفكر في الاصطلاح:

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات الفقهية والقانونية، الدكتور جرجس جرجس ، الشركة العالمية للكتاب شميل ، بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٦ : ٨٠ .

(٢) ينظر: معجم مصطلحات علم النفس ، منير وهيب الخازن ، دار النشر للجامعيين : ٦٦ .

(٣) كتاب العين ، الفراهيدي: ٥ / ٣٥٨ ، مادة (فكر) .

(٤) معجم مقاييس اللغة، القزويني : ٤/ ٤٤٦ ، مادة (فكر) .

(٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٥ / ٦٥ ، مادة (فكر) .

(٦) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) ، بمساعدة فريق عمل عالم الكتب ، الطبعة الأولى ،(١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م) : ٣ / ٧٣٤ ، مادة (فكر) .

الفكر: هو تنظيم أشياء معلومة للوصول إلى حقيقة مجهولة [١] والتفكر: إعمال القلب في معاني الأشياء وتأملها ؛ لبلوغ المقصود [٢] و"التفكر: سراج القلب يرى به خيره وشره، ومنافعه ومضاره، وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط، وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء وقيل: التفكر: تصفية القلب بموارد الفوائد، وقيل: مصباح الاعتبار، ومفتاح الاختيار، وقيل: حديقة أشجار الحقائق، وحدقة أنوار الدقائق، وقيل: مزرعة الحقيقة، ومشرعة الشريعة، وقيل: فناء الدنيا وزوالها، وميزان بقاء الآخرة ونوالها، وقيل: شبكة طائر الحكمة، وقيل: هو العبارة عن الشيء بأسهل وأيسر من لفظ الأصل" [٣] .

والفكرة: قوة التي تمهد للانتقال من العلم إلى المعلوم، والتفكر: حركة تلك القوة وفق نظر العقل، وفي ذلك يتميز الإنسان عن الحيوان، ولا له يطلق إلا فيما يمكن أن يتمثل صورة في القلب [٤]ويمكن جمع معاني هذه التعريفات في تعريف طه جابر العلواني [٥] بأنَّها: عمليَّة تفاعل

([١]) ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،بيروت –لبنان (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م):١٦٨.

([٢]) ينظر : المصدر نفسه : ٦٣ .

([٣]) المصدر نفسه : ٦٣ .

([٤]) ينظر: المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) ، المحقق: صفوان عدنان الداودي دار القلم، الدار الشامية ، الطبعة الأولى، دمشق، بيروت ١٤١٢ هـ :٦٤٣.

([٥]) طه جابر العلواني هو عالم ومفكر إسلامي عراقي، وُلد عام ١٩٣٥ وتوفي عام ٢٠١٦م، وشارك في تأسيس المعهد الإسلامي العالمي للفكر في أمريكا ، ويُعد من أبرز المفكرين الذين تناولوا قضايا التجديد الإسلامي، ومن أهم من نادوا بضرورة إعادة بناء الفكر الإسلامي على أسس تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ينظر : الأزمة الفكرية و مناهج التغيير ، د . طه جابر العلواني ، دار الهادي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان (١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م) : ٢٢٧ .

القُوى المفكّرة والعاقلة في الإنسان، سواء أكان قلبًا أو عقلًا أو روحًا ، بالتدبُّر والنَّظر لطلب المفاهيم غير المعلومة من الأمور المعلومة، أو البلوغ إلى الأحْكام، أو النسب بين الأمور [١] .

ثالثا: المظاهر في اللغة والاصطلاح

١- المظاهر في اللغة:

الظهر: ما يقابل البطن من كل شيء. ويطلق على المرتفع الغليظ من الأرض ، والبطن ما انخفض واطمأن [٢] .

والظهر "(ظهر) الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز. من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز. ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضواؤها. والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة" [٣] .

و"الظهر من كل شيء: خلاف البطن. والظهر من الإنسان: من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره، مذكر لا غير ، وهو من الأسماء التي وضعت موضع الظروف، والجمع أظهر وظهور وظهران" [٤] .

([١]) ينظر: الأزمة الفكرية المعاصرة ، تشخيص ومقترحات علاج ، طه جابر العلواني ، الدار العلمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة الرابعة(١٤١٤م ١٩٩١م) : ٢٧ .

([٢]) ينظر: كتاب العين ، الفراهيدي : ٤ / ٣٧ ، مادة (ظهر) .

([٣]) معجم مقاييس اللغة، القزويني:٣ / ٤٧١ ، مادة (ظهر) .

([٤]) لسان العرب، ابن منظور: ٤ / ٥٢٠ ، مادة (ظهر) .

والمظهر هو الهيئة التي يبدو عليها الشيء ويستخدم في علم النبات للدلالة على صفات النباتات في المواسم المختلفة فيقال المظهر الخريفي والصيفي الربيعي وجمعه مظاهر [١] .

٢- المظاهر في الاصطلاح

مظاهر الحياة هي ما يلاحظ في الكائنات من أثر التفاعل الداخلي مثل الاستجابة للمؤثرات والحركة والتغذي والنمو والتنفس [٢] .

و"الظاهر ما يبدو من الشيء في مقابل ما هو عليه في ذاته . ويقابله الحقيقي ، تقول : الحركة الظاهرة ، والأسباب الظاهرة" [٣] .

والعلم الباطن والظاهر مرة يشار بهما إلى المعارف الخفية والمعارف الجلية ، ومرة يشار بهما إلى العلوم الأخروية و العلوم الدنيوية، "وقوله : ﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾"[٤][٥].

ويمكن تعريف المظاهر بإنها المظاهر هي الصور أو السلوكيات أو العلامات الخارجية التي تعبّر عن فكرةٍ ما أو ظاهرةٍ معينة، سواء كانت فكرية أو اجتماعية أو ثقافية، دون أن تمثّل بالضرورة حقيقتها العميقة أو أسبابها الكامنة .

([١]) ينظر:المعجم الوسيط ، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية ،الطبعة الثانية ، القاهرة(١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م): ٢ / ٥٨٧ : مادة (ظهر) .

([٢]) ينظر: معجم مصطلحات علم النفس ، منير وهيب : ٦٦ .

([٣]) المعجم الفلسفي الدكتور جميل صليبا دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان ١٩٨٢ : ٢ / ٢٩ .

([٤]) سورة الحديد / ١٣ .

([٥]) ينظر: المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني :٥٤١.

رابعا: العلمانية في اللغة والاصطلاح

١- العلمانية في اللغة :

العلمانية لها أصل في المعاجم العربية فهي مفردة مشتقة من العلم بمعنى العالم .

"والعالم: الطمش، أي الأنام، يعني: الخلق كله، والجمع: عالمون" [١].

و ذهب قوم إلى أن تسمية العالَم جاءت من كونه مجموعًا مجتمعً ، قال الله – تعالى: " ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾" [٢]. ، وقالوا : العالمين بأنهم جميع الخلائق على اختلاف أجناسهم وأنواعهم [٣].

والعالم: المخلوقات كلها ، وقيل: هو ما يشتمل عليه جوف الفلك [٤].

و" (العلماني) نسبة إلى العلم بمعنى العالم وهو خلاف الديني أو الكهنوتي " [٥].

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: هي حركة اجتماعية تهدف إلى توجيه الانسان بعيدا عن الآخرة والتركيز على الحياة الدنيا فقط [٦].

وقد جاء في معجم أوكسفورد : "علماني دنيوي (غير ديني أو روحي)" [٧].

---

(١) كتاب العين ، الفراهيدي : ٥ / ٣٥٨ ، مادة (علم) .

(٢) سورة الأنعام / ٤٥ .

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس : ٤/ ١١٠ ، مادة (علم) .

(٤) ينظر: لسان العرب ، ابن منظور: ١٢ / ٤٢٠ ، مادة (علم).

(٥) المعجم الوسيط ، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية : ٢ /٦٢٤ . مادة (علم).

(٦) مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب، دار الشروق القاهرة الطبعة السابعة(١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م): ٤٤٥

(٧) English-Arabic Reader's Dictionary , el-Azabi , hornby, parnwell , Oxford University Press , 1980, pp : 619

وجاء في دائرة المعارف الأمريكية:"الدنيوية هي منظومة أخلاقية تقوم على القيم المستمدة من الطبيعة الإنسانية والعقل، وتكون منفصلة عن الأديان أو أي معتقدات غيبية أو فوق طبيعية"[١].

٢- معنى العلمانية في الاصطلاح :

سوف نعرض في هذا السياق تعريف العلمانية من وجهة نظر كلٍّ من المؤيدين والمعارضين.

أ- تعريف العلمانية عند المعارضين:

عرفها محمد مهدي شمس الدين [٢]العلمانية هي أن يتولى رئاسة الدولة السلطة وأجهزتها ومؤسساتها رجال دنيويون ، لا يأخذون خططهم وأساليبهم في التشريع والإدارة من الدين[٣] .

وعرفها محمد عمارة [٤] العلمانية "هي : جعل المرجعية في تدبير العالم إنسانية خالصة ،ومن داخل العالم ، دونما تدخل من شريعة سماوية هي وحى من الله المفارق لهذا العالم"[٥].

---

(١) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة، المنصورة (١٤١١ هـ ١٩٩٠ م) : ٧٥ .

(٢) هو "محمد مهدي بن عبد الكريم بن عباس آل شمس الدين العاملي ينتهي نسبه إلى الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي العاملي الملقب بشمس الدين المقتول سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م" الشيخ محمد شمس الدين وأثاره الفكرية في الامام الحسين عليه السلام (دراسة في الرؤية والمنهج) ،هادي عبد النبي محمد التميمي، الطبعة الأولى ،النجف الاشرف (١٤٣٤هـ ٢٠١٣ م) : ١٧ .

(٣) ينظر: العلمانية الإمام اية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، منشورات المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٩٦ م : ١٢٧ .

(٤) هو "مفكر إسلامي ومؤلف ومحقق ولد بريف مصر بقرية صروة في سنة ١٩٥٤ ،والتحق بكلية دار العلوم جامعة القاهرة حصل – من كلية دار العلوم – في العلوم الإسلامية تخصص الفلسفة الإسلامية – على الماجستير سنة ١٩٧٠ بأطروحة عن (المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية) ، وعلى الدكتواره سنة ١٩٧٥ م بأطروحة عن (الإسلام وفلسفة الحكم) تجاوزت أعماله الفكرية تأليفا وتحقيقا المائة" ، كتاب نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام ،الدكتور محمد عمارة، دار الرشاد، الطبعة الثانية ، القاهرة ،(١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م) : ٢٢٧ –٢٢٨– ٢٢٩– ٢٣٠ .

(٥) العلمانية بين الغرب والإسلام، الدكتور محمد عمارة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (١٤١٧– ١٩٩٦) : ٧ .

وميز الدكتور عبد الوهاب المسيري [١] بين نوعين من العلمانية:

أولا:العلمانية الجزئية : وهي رؤية محدودة للواقع لا تتعامل مع أبعاده الكاملة والنهائي، ولذا هي تفتقر الى الشمولية ، وتقوم هذه الرؤية على فصل الدين عن جانب السياسة وأحيانا الاقتصاد، وربما بعض مجالات الحياة الأخرى ، ويطلق عليها أحياناً مصطلح فصل الدين عن الدولة[٢].

ثانيا:"العلمانية الشاملة : رؤية شاملة للعالم ذات بعد معرفي (كلي ونهائي تحاول بكل صرامة تحديد علاقة الدين والمطلقات والماورائيات (الميتافيزيقية) بكل مجالات الحياة، وهي رؤية عقلانية مادية، تدور في إطار المرجعية الكامنة والواحدية المادية، التي ترى أن مركز الكون كامن فيه، غير مفارق أو متجاوز له، وأن العالم بأسره مكون أساسا من مادة واحدة، ليست لها أية قداسة ولا تحوي أية أسرار" [٣] .

وعرفها محمد إبراهيم مبروك[٤] بإنها الاعتماد على العقل البشري فقط ومهاراته في الوصول

([١]) هو مفكر وعالم اجتماع حصل على "ليسانس آداب – أدب إنجليزي – جامعة الإسكندرية (١٩٥٩) ماجستير في الأدب الإنجليزي والمقارن – جامعة كولومبيا الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٦٤) ،ودكتوراة في الأدب الإنجليزي والأمريكي والمقارن – جامعة رتجرز الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٦٩) خبير الصهيونية بمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام حتى عام ١٩٧٥" ، العلمانية تحت المجهر، الدكتور عبد الوهاب المسيري الدكتور عزيز العظمة ،دار الفكر المعاصر بيروت لبنان دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م) .

([٢]) ينظر: العلمانية تحت المجهر، الدكتور عبد الوهاب المسيري، عزيز العظمة ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى، ١١٩-١٢١

([٣]) المصدر نفسه: ١١٩-١٢١ .

([٤]) محمد إبراهيم مبروك هو من أبرز المفكرين المعاصرين الذين نالوا شهرة واسعة بفضل كتبه المتعددة ، وحضوره المميز في القنوات الفضائية، حيث تناول مختلف القضايا الفكرية والإنسانية بعمق وتجدد. يتميز بأنه مفكر مستقل له مشروع فكري خاص يجمع بين الأصالة الدينية والتجدد الفكري في طرحه وتحليلاته ، ينظر: ثلاثون عاما من التشرد (ريان يا فجل) ، محمد إبراهيم مبروك، مركز الحضارة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ، ٢٠١٨ .

إلى الحقائق وتدبير شؤون الحياة [١] .

ب – تعريف العلمانية عند المؤيدين:

عرفها محمد أركون [٢] : " العلمنة كما نفهمها تتركز في مجابهة السلطات الدينية التي تخنق حرية التفكير في الإنسان ووسائل تحقيق هذه الحرية " [٣] .

ويقول محمد أحمد خلف الله [٤] "العلمانية حركة فصل السلطة السياسية والتنفيذية عن السلطة الدينية، وليست فصل الدين عن الدولة مع أن التعريفات الأخرى للعلمانية تقرر فصل الدين عن الدولة" [٥] .

([١]) ينظر: العلمانية العدو الأكبر للإسلام من البداية للنهاية ، محمد إبراهيم مبروك ،مركز الحضارة العربية ،الطبعة العربية الأولى ، القاهرة ، ٢٠٠٧ : ١٨ .

([٢]) هو "باحث ومؤرخ وواحد من أكبر أساتذة تاريخ الفكر عموما والفكر الإسلامي خصوصا في جامعة السوربون (باريس) منذ حصوله على درجة الدكتوراه من الجامعة ذاتها عام ١٩٦٨ عمل باحثًا مرافقا في برلين عام ١٩٨٦ – ١٩٨٧ ، ومنذ عام ١٩٩٣ يشغل منصب عضو مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن" ،الانسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي محمد أركون ، ترجمة وتقديم : د . محمد عزب دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ م : ٧ .

([٣]) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي ، بيروت، والمركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ١٩٩٦م : ٢٩٤ .

([٤]) هو مفكر وكاتب مصري ولد ١٩١٦ في "الشرقية المؤهل ليسانس آداب لغة عربية ١٩٤٠ القاهرة ماجستير بامتياز الأولي ١٩٤٢ الوظائف مدرس الكلية العلمية بدمشق ١٩٤٢ مدرس بمعهد الدراسات العربية بدون تاريخ عمل بوزارة الثقافة وكيل وزارة الثقافة لشئون التخطيط والمتابعة والإشراف على العلاقات العامة ومركز الفن والحياة ٢٥/٨/١٩٧٠"مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية، خالد محسن، مركز الإعلام العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، (١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م) : ١٨ .

([٥]) العلمانية جذورها واصولها ، محمد علي بار، دار القلم ، الطبعة الأولى، دمشق ، (١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م) : ٣٦ .

ويرى حسن حنفي [١] : أن العلمانية حركة تنتمي إلى العالم الغربي ، وهي تعني الفصل بين الدولة والكنيسة ، ولهذا كان العلمانيون الأوائل في العالم الاسلامي كلهم من المسيحيين، وغالبيتهم من مسيحي الشام، ممن تربوا في إرساليات التبشير والمدارس الغربية [٢] .

ويعرفها مراد وهبة بأنها [٣] :"التفكير في النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق" [٤] .

ومن وجهة نظرنا نحن أن العلمانية هي فكرة فلسفية تقوم على فصل الدولة عن الميتافيزيقية[٥] في مجالها الضيق وفصل الإنسان عن الميتافيزيقية في مجالها الواسع ، فهي بضد من الدولة الثيوقراطية[٦].

([١]) هو مفكر مصري "ولد في القاهرة سنة ١٩٣٥م، ليسانس فلسفة، كلية الآداب جامعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م، دكتوراه الدولة في الفلسفة، جامعة السوربون، سنة ١٩٦٦م درس الفلسفة في كلية الآداب جامعة القاهرة منذ سنة ١٩٦٧م" ، النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الراهن، الدكتور أبو يعرب المرزوق ، الدكتور حسن حنفي ،دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان دار الفكر، دمشق ،سوريا ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ .

([٢]) ينظر : العلمانية جذورها واصولها، محمد علي بار : ١٤ .

([٣]) هو "أستاذ متفرغ بجامعة عين شمس رئيس و مؤسس شرف الجمعية الفلسفية الأفروأسيوية رئيس الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير عضو اللجنة التنفيذية للاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية عضو الهيئة العلمية للجامعة العالمية للعلوم الإسلامية عضو الأكاديمية الإنسانية عضو اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية للتبادل العلمي حول العنف والتعايش السلمي الإنساني" ، الأصولية والعلمانية ، مراد وهبة ، دار الثقافة ، طبعة اولي ، القاهرة

([٤]) المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م : ٤٣٣ .

([٥]) يرجع لفظ "ما بعد الطبيعة" إلى أحد أتباع أرسطو اسمه أندرونيقوس. وقد عنى بترتيب كتبه فوجد لواحد منها ثلاثة أسماء، هي الحكمة والفلسفة الأولى والعلم الالهى لاشتماله على ثلاثة مباحث كبرى، أولها مبادئ المعرفة إطلاقاً، والثاني الأمور العامة للوجود، والثالث الألوهية رأس الوجود. وهي مباحث تؤلف علماً واحداً يقع بعد الطبيعيات في الترتيب فأطلق عليه ذلك التابع اسماً مأخوذاً من مكانه ، المصدر نفسه : ٢٣١ .

([٦]) هذا الاصطلاح مأخوذ من كلمتين يونانيتين ، إحداهما theos بمعنى الله ، kratos بمعنى قوة أو السلطان ويقال على النظام السياسي الذي يستند إلى سلطان إلهي ، المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م : ٥٥٢ .

المطلب الثاني: نشأة العلمانية وأسبابها

يتناول البحث نشأة العلمانية وأسبابها، مع بيان الظروف التاريخية والفكرية التي أدت إلى انتشارها.

أولا: نشأتها في أوروبا

ظهر مصطلح العلمانية للمرة الأولى مع نهاية الحرب الدينية التي سميت حرب الثلاثين عاما سنة ١٦٤٨ م عند توقيع صلح وستفاليا ، وهي حرب وقعت بين الكاثوليك والبروتستانت أدت إلى مقتل الكثير من شعوب أوروبا ، وقد اعتمد من قبل أكثر المؤرخين والباحثين هذا التاريخ كبداية لولادة العلمانية في أوروبا [١] .

ونشأ مفهوم العلمانية في الصراع مع الكنيسة في عصر النهضة في أوروبا، وعارض سيطرتها على السلطة وهيمنتها على مفاصل الحياة كافة ، وتنظيمه على أساس الانتماءات الدينية والمذهبية، ونادى بفكرة فصل الدين عن الدولة ،وأن يتحول الدين إلى مجرد علاقة بين الله والإنسان أي علاقة شخصية وأن تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع على أسس إنسانية بمعزل عن الدين المسيحي [٢]،"وفي الحقيقة فإن معنى العلمانية كان موجوداً في الوثنيات القديمة عند الروم واليونان وغيرهم ، حيث كانوا يعتقدون أن آلهتهم معزولة وأنها لا تعنى بشؤون العالم"[٣].

ونود أن نوضح أنه في المسيحية يوجد من النصوص ما يدعم مفهوم العلمانية ، أي الفصل بين الدين والدولة أو بين سلطان السماء ، وسلطان الأرض، وهذا واضح كما جاء في الإنجيل قول المسيح (عليه السلام) ، كما يرويه الإنجيل : "(أعط ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله)" [٤] وهذا ساعد على تقبل الشعوب الأوربية لفكرة العلمانية في مرحلة لاحقة [٥] .

---

(١) ينظر: العلمانية تحت المجهر، عبد الوهاب المسيري، عزيز العظمة : ١١-١٢ .

(٢) ينظر: العلمانية جذورها واصولها محمد علي بار : ٣٣ .

(٣) سقوط العلمانية ونهاية إسرائيل ، محمد شهدي : ٧١ .

(٤) العهد الجديد ، إنجيل مرقس ، الأصحاح الثاني عشر: ١٨ .

(٥) ينظر: وجها لوجه الإسلام والعلمانية ، يوسف القرضاوي ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، (١٤١٤هـ -١٩٩٤م) : ٥٣ .

وحين تجاوز رجال الدين على حدود رسالة السماء سرقوا السلطة، وأضفوا عليها قداسة الدين دخلت شعوب أوروبا في قرون طويلة مظلمة يسودها التخلف والانغلاق والجهل [١] .

وعاشت أوروبا في القرون الوسطى فترة طويلة من الرعب والاضطهاد، تحت حكم الدولة الدينية المتمثلة برجال الكنيسة وهيمنتهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم، مستغلين قناع القداسة التي يضفونها على أنفسهم، ثم اضطهادهم الشنيع لكل من يخالف أوامر أو تعليمات الكنيسة المبتدعة في الدين، وكذلك اضطهاد الفكر وخنق الحريات، وقيام الحروب الدينية المفجعة، ولم تترك الكنيسة جانبا من جوانب المجتمع إلا وسيطرت عليه من جميع النواحي الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية [٢].

وادعى رجال الدين أنهم يمثلون سلطة الله في الأرض، وأن السلطة السياسية يجب أن تكون بيدهم ولذلك تدخلت الكنيسة في السياسة ومارست طغيانها على الحكام فكان البابا يتولى تنصيب الملوك وعزلهم مما أدى إلى حدوث صراعات بين البابا وملوك أوروبا ، وكان الانتصار فيها للكنيسة بسبب مكانتها القدسية ،والروحية عند الشعوب ،وكان ملوك أوروبا يخافون سطوة الكنيسة ويتذمرون من تدخلها في السياسة فضلا عن الأموال التي كانوا يدفعونها إلى كنيسة روما [٣] وكان رجال الدين يحثون الناس على الزهد في الحياة وترك ملذات الدنيا، في حين كان رجال الدين يملكون الأموال ،والأراضي ،والقصور، والأملاك ويتنعمون بخيرات الدنيا ،ولم يكتفوا بذلك بل فرضوا ضرائب على الشعب فضلا عن الهدايا والعطايا التي كانت تصلهم من الأغنياء والإقطاعيين للتملق، إضافة إلى ما كانوا يحصلون عليه من المهرجانات ،والمواسم المقدسة التي يقيمونها ،وكذلك إجبار الناس على العمل المجاني (السخرة) في خدمة مشاريع الكنيسة [٤] .

([١]) ينظر: العلمانية بين الغرب والإسلام ، محمد عمارة : ٦ .

([٢]) ينظر: العلمانية في الإسلام ، أنعام أحمد قدوح ، دار السيرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ : ٢٨.

([٣]) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب : ٤٤٥.

([٤]) ينظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، باحو مصطفى جريدة السبيل . سلا. المغرب الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١ م ٦٦.

وبعد مؤتمر(نيقية) ٣٢٥م ، ظهرت المسيحية كديانة رسمية ففرضت عقيدة الثالوث وحاربت مخالفيها بمختلف أساليب القتل والتعذيب، وصارت الكنيسة تحلل وتحرم فانقلبت الكثير من الأمور من الحل إلى الحرمة مثل أكل الميتة والختان وزواج رجال الدين، ودخلت الكثير من التحريفات إلى المسيحية ففرضت الكنيسة عقائد مخالفة للعقل والمنطق مثل عقيدة التجسيم والصور المقدسة والطقوس السبعة وعقيدة الخطيئة[١].

و فرضت الكنيسة صكوك الغفران وهي مبلغ من المال يدفعها الشخص مقابل أن يغفر ذنبه وأصبحت هذه أكبر تجارة مربحة غير مشروعة لرجال الدين حيث تكدست لدى الكنيسة ثروة هائلة من الأموال وأصبحت أغنى طبقات المجتمع في أوروبا[٢].

وتمثل محاكم التفتيش التاريخ الأسود للكنيسة حيث غرقت أوروبا في دماء الناس بلغ عددهم حوالي اثنان وثلاثون ألفا ماتوا حرقا ،فكانت أبشع أساليب القمع لكل من خالف الكنيسة بالرأي والاعتقاد، وصارت تمثل كابوسا مرعبا للشعوب وكذلك قرارات الحرمان التي طالت الملوك والشعوب [٣].

وحاربت الكنيسة العلم والعلماء استنادا على القاعدة الكنسية "إن الجهالة أم التقوى" [٤] فأصبحت بذلك عقبة كبيرة أمام التقدم والتطور، فانحصر التعليم في الكنيسة بدارسة علوم اللاهوت ومن هنا نشأت المواجهة بين رجال الدين والمفكرين والفلاسفة في أوروبا ، ومن الأمثلة على ذلك

([١]) ينظر: العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبدالرحمن الحوالي ١٢٨.

([٢]) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ،علي جريشة : ٥٥.

([٣]) ينظر: المصدر نفسه : ٥٩ – ٦٠.

([٤]) العلمانية في الإسلام، أنعام أحمد : ٢٩.

قيام الكنيسة، بمعاقبة وسجن هارفي [١] بعد أن أثبت أن الدم يجري في جسم الإنسان، و غاليلو[٢] الذي قال إن الأرض متحركة وضع تحت الإقامة الجبرية ، وغيرهم الكثير من العلماء الذين تعرضوا للتعذيب والسجن والنفي ومنعت كتبهم وأحرقت [٣]. وبدأت ثقة الناس تتزعزع بالكنيسة بعد انتشار النظريات العلمية الحديثة والفلسفية في أوروبا والتي تدعو إلى الاعتماد على العقل في المنهج التجريبي بدلا من خرافات الكنيسة وهكذا تتابعت نظريات ديكارت [٤] ، وسبينوزا[٥] ،

(١) ويليام هارفي هو طبيب ومحاضر وكاتب إنجليزي (١٥٧٨–١٦٥٧)، درس في جامعة بادو الإيطالية واشتهر باكتشافه الدورة الدموية الكبرى ووصفه الدقيق لكيفية ضخ القلب للدم في أنحاء الجسم، مما أحدث ثورة في علم الطب ، كتب غيرت العالم ، روبرت ب. داونز ، ترجمة أمني سلامة ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٢ : ١٦٣.

(٢) وُلِد في ١٥ فبراير ١٥٦٤م في مدينة بيزا بإيطاليا، وتوفي عام ١٦٤٢م و يُعدّ من العلماء البارزين في التاريخ الأوروبي ولديه العديد من الاكتشافات العلمية العديدة في الفيزياء والفلك والرياضيات وصنع تلسكوبًا محسَّنًا عام ١٦٠٩م، واستخدمه لمشاهدة أربعة أقمار من المشتري ، علماء وأدباء ومفكرون ، عبد العظيم أنيس ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٣ : ٣٥.

(٣) العلمانية في الإسلام، أنعام أحمد : ٢٩ – ٣٠.

(٤) ديكارت (١٥٩٦–١٦٥٠م)، هو فيلسوف وعالم رياضيات فرنسي ولد بلاهي بفرنسا ويُعرف بـ أب الفلسفة الحديثة اشتهر بمنهجه في التشكيك المنهجي ووضع قاعدة كأساس للمعرفة اليقينية كما ساهم في تطوير الرياضيات، خصوصًا الهندسة التحليلية التي تربط بين الجبر والهندسة ، ينظر : تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠١٢ : ٦٧ – ٦٩.

(٥) ولد بأمستردام من أسرة يهودية، وأراد والده على أن يصري حاخاما، فتلقى اللغة العبرية والتوراة والتلمود والفلسفة اليهودية للعصر الوسيط وصناعة صقل زجاج النظارات ملاً كان مقررا من أن يتعلم الحاخام صناعة يدوية، ولكن داخله الشك في الدين، فعدل عن مشروعه، وتحول إلى العلوم الإنسانية، تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠١٢ : ١٣ .

وجون لوك[١] و نظرية الجاذبية لنيوتن [٢] التي حاربتها الكنيسة بشدة[٣].

ولعل أسباب محاربة الكنيسة للعلم تكمن فيما يأتي :-

١- خوف رجال الدين من منافسة العلماء لهم خاصة أن ظهورهم في الميدان يلفت الأنظار ويجذب الناس لهم فيستيقظ العقل الأوروبي من سباته، فيرفض خرافات الكنيسة ولاسيما أن هذه العلوم مخالفة لتعليمات الكنيسة [٤].

٢- انتقلت العلوم والمنهج التجريبي إلى أوروبا من طريق احتكاك الأوربيين بالمسلمين في الأندلس وغيرها، وكانت هذه العلوم بمثابة النور الذي شع على القارة الأوروبية الغارقة بالجهل ،وبسبب عداوة الكنيسة للمسلمين والعرب قامت بمحاربة هذه العلوم [٥] ولا سيما فلسفة المفكر المسلم ابن رشد [٦] التي تأثر بها الأوربيون، فبعد ترجمة كتاب ابن رشد إلى اللاتينية انكب المفكرون والمثقفون على دراسة هذا الكتاب وذاعت أفكار ابن رشد في أوروبا، ولاقت رواجا وإعجابا مما

---

(١) جون لوك(١٦٣٢-١٧٠٤م)، هو فيلسوف إنجليزي ولد بالقرب من بريستول يُعد من أبرز مفكري عصر النهضة وهو زعيم المذهب الحسي في العصر الحديث ومن مؤسسي الفلسفة التجريبية والمذهب الليبرالي ، ينظر : المصدر نفسه : ١٤٥ – ١٤٧.

(٢) هو فيلسوف إنجليزي ولِد إسحاق نيوتن في ٢٥ من ديسمبر سنة ١٦٤٢ في منزل بسيط في وولتروب في إنجلند ويُعدّ من أهم العلماء في تاريخ الفيزياء وله العديد من الاكتشافات العلمية في الرياضيات والبصريات واكتشاف قوة الجذب ، ينظر : فلسفة التفاحة جاذبية نيوتن ، نقولا حداد ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٢ : ١٠ – ١١ – ١٢ – ١٤.

(٣) ينظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، باحو مصطفى : ٦٨ .

(٤) ينظر: العلمانية في الإسلام، انعام أحمد : ٢٩ .

(٥) ينظر: العلمانية نشأتها وتطورها واثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبدالرحمن : ١٤٩.

(٦) ابن رشد، المعروف هو فيلسوف وطبيب وفقيه أندلسي ولد في قرطبة سنة ٥٢٠ ، ونشأ في عائلة عريقة لها مكانة مرموقة عند الحكام فتربى في هذه البيئة العلمية؛ فدرس ما يدرس أقرانه من والأصول الفقه وعلم اللغة والأدب والكلام ، وكتب في الفلسفة، الفقه، الطب، وعلم الفلك. يُعد من أبرز المفكرين الذين ساهموا في=

أدى إلى الصدام مع الكنيسة التي حاربت هذا الفكر الدخيل على اعتبار أن ابن رشد كان مسلما، فقد عدته الكنيسة كافرا، و أدى قمع الكنيسة للفكر الرشدي أن جعل له أنصارا ومتعاطفين من الذين وجدوا فيه فكر تحرري مناهض للكنيسة [١].

وفي ظل هذا الصراع بين العلم ودين الكنيسة نشر تشارلز داروين [٢] كتابه أصل الأنواع وكان لهذا الحدث صدى واسعا في أوروبا في جميع الميادين العلمية والفكرية، ومقتضى الكتاب أن الخلق قد تطور عبر مراحل زمنية وأن أصل الكائنات الحية يرجع إلى خلية واحدة، وبغض النظر عن صحة النظرية أو عدمها إلا أنها تم استغلالها والترويج لها من قبل الملحدين بدعوى أنها تدعم الالحاد والمعارضين للكنيسة من المدافعين عن النظرية، فوجدو في النظرية فرصة لكي تستخدم كسلاح لمواجهة الكنيسة وقد صرحت الكنيسة بكفر هؤلاء[٣].

وبعد قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م أمرا مهما في تاريخ العلمانية حيث تم فصل الدين عن الدولة وتأسيس أول دولة علمانية لا دينية في أوروبا وكان شعار الثورة : اشنق آخر ملك بأمعاء آخر قسيس وكانت العداوة للكنيسة شديدة الى حد بعيد [٤].

=نقل الفلسفة اليونانية للعالم الإسلامي والأوروبي ينظر : ابن رشد ، الفيلسوف محمد يوسف موسى ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤ : ١٤ – ١٥.

([١]) ينظر :العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى، (١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م) : ٣٨.

([٢]) تشارلز دارون هو عالم طبيعة إنجليزي وُلِد عام ١٨٠٩م وتوفي عام ١٨٨٢م.نشأ في الريف وكان نشيطا وقويا ومتفتحا درس في جامعة كامبرج وكان والده طبيبا مشهورا اشتهر بوضع نظرية التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي، والتي أوضحها في كتابه الشهير" أصل الأنواع"سنة ١٨٥٩م ، ينظر : التعبير عن الإنفعالات فى الإنسان والحيوانات، تشارلز داروين ، ترجمة وتقديم مجدي محمود المليجي ، المجلس الأعلى للثقافة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ : ٣٧ – ٤١.

([٣]) ينظر: العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ،سفر بن عبدالرحمن :١٧٨.

([٤]) ينظر: العلمانية جذورها وأصولها محمد علي بار: ٣٥.

وكانت الامتيازات وإعفاء رجال الدين من الضرائب وحياة الترف والرذيلة والشهوات تسبب الكره والاحتقار، وعدم الاحترام لرجال الدين من قبل الشعب الفرنسي الذي عانى المجاعة والفقر[١].

ولعب اليهود دورا مهما في نشر العلمانية وذلك؛ بسبب العداوة بين اليهود والمسيحيين، وكون اليهود أقلية مضطهدة في أوروبا فوجد اليهود الفرصة سانحة فدعوا إلى إنهاء الحكم الديني المسيحي وإلى فصل الدين عن الدولة، فدعموا العلماء والمفكرين ضد رجال الدين وسعوا إلى تأجيج وإشعال الصراع بين الطرفين، و دعم مذهب البروتستانت ضد الكاثوليك[٢].

(١) ينظر: تاريخ اوروبا في العصر الحديث ، فشر دار المعارف ، الطبعة الثانية ، مصر : ٦.

(٢) ينظر: العلمانية في الإسلام ، أنعام أحمد :٣٣.

ثانيا: نشأتها في الدول العربية

العلمانية دخلت إلى بلادنا العربية في أوائل القرن التاسع عشر ، مع زيادة النفوذ الأوروبي الغربي، وبدء الاحتلال العسكري لبعض البلدان العربية حيث سلكت العلمانية طريقين للوصول إلى بلادنا العربية هما الغزو العسكري والغزو الفكري ، و لذلك ينبغي دراسة هذا الفكر الدخيل في القرنين الأخيرين[١] .

ومثلَّ احتلال نابليون بونابرت [٢] لمصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م) بداية الاستعمار الأوروبي الحديث ، وكان هذا الاحتلال مختلف عن الحملات الصليبية السابقة فقد تميزّ باستهدافه السيطرة على العقول ، وتغيير الفكر ، ومسخ الهوية مع احتلال البلد ، وسرقة الثروات ، واستعباد الشعب المصري ! فعمل الفرنسيون على نشر الثقافة العلمانية في الفكر والأخلاق والسلوك وعلى الرغم فشل الحملة لكنها زرعت بذرة الفكر العلماني في مصر [٣].

وفي كل بلد من بلاد العرب قامت فيه للاستعمار الغربي دولة وحكم ، أخذ هذا الاحتلال يحل منهج العلمانية في تدبير شؤون الدولة ،و فرض الاستعمار الغربي العلمانية بالقوة، وقمع كل الحركات الإسلامية التي كانت تدعو إلى تطبيق الشريعة الاسلامية وفقه معاملاتها ، وبعد

---

(١) ينظر: الحوار الإسلامي العلماني ، طارق البشري ، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة (١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م) : ٨ .

(٢) نابليون بونابرت هو قائد عسكري وإمبراطور فرنسي وُلِد عام ١٧٦٩م في جزيرة كورسيكا الفرنسية وتوفي عام ١٨٢١م اشتهر بذكائه العسكري وإصلاحاته السياسية التي غيّرت وجه أوروبا، وشارك في الثورة الفرنسية وأسّس الإمبراطورية الفرنسية الأولى قبل أن يُهزم وينفى إلى جزيرة سانت هيلانة حيث مات ، ينظر : كلمات نابليون ، تعريب إبراهيم رمزي ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١١ : ١١ – ١٦ – ١٧ .

(٣) ينظر : علمانية المدفع والإنجيل ، محمد عمارة، مكتبة البخاري ، الطبعة الأولى، الإسماعيلية (١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م) : ٥٣ .

الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٨٣٠ م وتونس ١٨٨١ م أخذ الاحتلال في استبدال الشريعة الإسلامية وقانونها بالقانون الوضعي العلماني، و فعلت بريطانيا مثل ذلك بمصر بعد الاحتلال عام ١٨٨٢ م[١].

وقامت فرنسا بعد احتلال المغرب سنة ١٩١٢ م ،وسوريا، ولبنان ١٩٢٠ م بإلغاء تطبيق أحكام الإسلام وحل القانون المدني العلماني محلها بعد أن كانت الشريعة هي الحاكمة لقرون عديدة [٢]

وتسرب الفكر العلماني إلى العراق في بداية القرن العشرين قادما من سوريا ولبنان، وتعد مشاركة وتوفيق السويدي [٣] في مؤتمر باريس أول تحرك للعلمانيين العراقيين، وتشكلت أحزاب وجمعيات قومية علمانية عراقية انضم إليها العديد من الضباط والسياسيين والمثقفين، ومن أهم الجمعيات جمعية العهد العراقية التي كان لها دور مهم في تلك الفترة، وبعد الاحتلال الإنكليزي للعراق تم تعطيل العمل بالشريعة الإسلامية وتأسيس أول حكومة عراقية علمانية على الرغم اعتراض الإسلاميين الذين طالبوا بتشكيل حكومة إسلامية وقيام ثورة العشرين ضد الاحتلال، لكن تم قمع هذه الحركة و بذلك نجحت بريطانيا بتنفيذ مشروعها في العراق بمساعدة العلمانيين العراقيين[٤].

([١]) ينظر : علمانية المدفع والانجيل، محمد عمارة : ٥٤ .

([٢]) ينظر : العلمانية نشأتها وتطورها واثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبدالرحمن : ١٢٨

([٣]) توفيق السويدي هو سياسي ودبلوماسي عراقي وُلد في بغداد عام ١٨٩٢م وتوفي عام ١٩٦٨م. تولى رئاسة وزراء العراق ثلاث مرات خلال العهد الملكي، وكان من أبرز رجال السياسة في تلك الفترة عُرف بدعوته إلى الإصلاح السياسي والوحدة العربية ، ينظر : رؤساء العراق (١٩٢٠ – ١٩٥٨م) دراسة في إتجاهات الحكم ، سليم الحسني ، دار الحكمة (١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م) الطبعة الأولى : ١١١ – ١١٥ – ١٢١ .

([٤]) ينظر : الإسلام والعلمانية وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة، مسعود عبد الخالق محمد أمين، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، لندن، (١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م) : ٢ / ٨٠– ٨١– ٨٣ –٨٥– ٨٧– ١٢٩– ١٣٠– ١٣١.

ونتج عن الاحتلال العسكري للبلدان العربية وسقوط الدولة العثمانية ومكانتها الدينية ورمزيتها لدى المسلمين انكسار وهزيمة نفسية وشعور بالنقص، فظهر لدى البعض الرغبة بالتقليد الأعمى للغرب فكان تقبل الأفكار الغربية بكل سهولة [١] طبقا لمقولة "المغلوب مولع بتقليد الغالب"[٢].

وكان أول من دعا إلى العلمانية في البلدان العربية وحمل لواءها وعمل على نشرها هم مسيحيو الشام ومن تبعهم من العرب، فكانوا بمثابة الجسر الذي عبرت منه العلمانية إلى العالم العربي حيث عملوا على نشر الثقافة العلمانية والدعوة إلى القومية والوطنية وفصل السلطة السياسية عن الدينية وقاموا بتأسيس جمعيات وأحزاب لا دينية استقطبت العديد من المسلمين [٣].

ولقد كان المسيحيون العرب أول من تأثر بالثقافة الغربية، وذلك لانتشار مدارس البعثات التبشيرية، في الشام حيث افتتحت العديد من المدارس الفرنسية والأمريكية التي كان لها دور مهم في الغزو الفكري في العالم العربي ، فأخذوا يقرأون كتبا تصوَّر الثقافة والمبادئ التي جاءت بها الثورة العلمانية في فرنسا ، ولقد أثرت هذه الثقافة فيهم وسعوا إلى تطبيقها في بلادنا العربية وساعدهم على ذلك انتشار الثقافات الغربية العلمانية ونفوذ الدول الغربية نتيجة ضعف الدولة العثمانية [٤].

و في بيروت سنة ١٨٦٦ م تم تأسيس الجامعة الامريكية ،و قد عملت على الدعوة إلى المسيحية في البداية ثم أدت دورا خطيرا في نشر الثقافة الغربية المتمثلة بالعلمانية والدعوة الى

---

(١) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ٧٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٧٠ .

(٣) ينظر: أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي ، محمد رشاد عبد العزيز محمود، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، (١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م) : ٢٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٢٤ .

القومية وصناعة قادة للمستقبل لخدمة المشروع الاستعماري فكانت بمثابة المصنع لإنتاج العلمانيين، وقد تخرج منها العديد من المفكرين العلمانيين العرب [١] ومن هؤلاء شبلي شميل [٢].

وتمثل الغزو الفكري بنظام التعليم الغربي والتبشير والاستشراق و والتغريب، وغيرها من الوسائل التي استعملتها الدول الاستعمارية في محاولة لإخراج المسلمين من دينهم أو إبعاد المسلمين عن دينهم ومن ثم استعبادهم، فكانت هذه من الوسائل لنشر الثقافة العلمانية الأوربية عليهم ،والتحكم بالشعوب العربية والإسلامية من خلال الغزو الفكري ، واكتساح نظام التعليم الغربي للبلاد العربية أدى إلى عملية هدم الأخلاق والقيم التي جاء بها الإسلام و التي يمكن بها السير بالإنسان إلى السلوك الحسن والأهداف السامية فلقد جرف التيار الفكري الغربي الكثير من الشباب العربي وغير عقليتهم [٣] .

وفي الفترة التي كانت أوروبا تعيش نهضتها في التقدم والازدهار حيث الإنجازات العلمية والتقدم والازدهار كان المسلمون يعيشون حالة من التخلف في مختلف النواحي العلمية والحضارية والفكرية، وكانت الشعوب العربية تعيش حالة من الجهل والأمية ، وكان التعليم محصورا في أبناء الأغنياء وفوجئ المسلمون في القرن الثامن عشر بأنهم متأخرون عن العالم وبأن عصر السيف قد انتهى وحل مكانه عصر الأسلحة الحديثة، ، وأخذوا يبحثون عن طريق يوصلهم للنهضة وتطلعوا إلى أوروبا الحديثة وأراد الكثير منهم الوصول إلى أوروبا والأخذ عنها أسرار هذا التقدم والتطور لا سيما أن أوروبا قبل نهضتها كانت قد أخذت من المسلمين المناهج العلمية [٤] .

([١]) ينظر :العلمانيون والقران الكريم ، الطعان: ١٣٣ .

([٢]) شبلي شُمَيِّل (١٨٥٠–١٩١٧) هو طبيب ومفكر وأديب وكاتب لبناني اهتم بنشر أفكار داروين عن التطور، ودعا إلى الإصلاح الاجتماعي والتقدم العلمي وفصل الدين عن الدولة ، واشتهر في بتصانيفه ومقالاته العلمية والاجتماعية في المجلات والجرائد الفرنسية والعربية ، ينظر : مجلة المنار ، الدكتور محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ) ١٣٣٥ هـ : ١٩ / ٦٢٥ .

([٣]) ينظر : أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي ، محمد رشاد : ٣١ .

([٤]) ينظر :المصدر نفسه: ١٢ .

ولعل أسباب التخلف في العالم العربي تكمن فيما يأتي :-

١- فترة الحكم العثماني للعرب والمسلمون فكانوا يعيشون حالة من الانحطاط الحضاري ،والجمود الفكري فكان اهتمام الدولة بالحروب وببناء المساجد والتكايا ،وأهملت العلم والعمران إضافة إلى الفساد المنتشر [١] .

٢- فساد الحكام وإهمال مصالح الشعب والنزاع السياسي والاقتتال على السلطة والحكم والمناصب أدى كل ذلك إلى تدهور حال المسلمين [٢] .

٣-تأثير الأفكار الصوفية على رجال الدين مما جعلهم يرفضون كل تحديث وتطوير، ومن الأمثلة على ذلك ما حصل في العراق في فترة [٣] داوود باشا [٤] حيث أنه حينما "أراد بناء مستشفى عارضوا ذلك بحجة أن قدر الله لا يرد وشملت معارضتهم فيما بعد استعمال الراديو والطابعة والصحف وقراءة الجرائد والجلوس على الكراسي والأكل بالملعقة" [٥] .

ومن وجهة نظري أن أحد الأسباب التخلف هو سقوط بغداد عاصمة العالم الإسلامي بيد المغول وما رافقها من تدمير وحرق المكتبات وقتل العلماء، وكانت حينها الدولة العباسية تركز على الجانب العلمي عكس الدولة العثمانية التي ركزت على الفتوحات، وكذلك سقوط الاندلس

---

(١) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، علي الوردي، مؤسسة السيدة معصومة سلام الله عليها ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ هـ . ق : ١٣١ ، ينظر : العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى جريدة السبيل ، الطبعة الأولى ، سلا ، المغرب ، (١٤٣٢هـ – ٢٠١١ م) : ٨٨ .

(٢) ينظر:الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة : ٦٩ .

(٣) ينظر: الإسلام والعلمانية وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة ، مسعود عبد الخالق: ٢ / ٥٨ .

(٤) هو والي مملوكي حكم العراق " ويعتبر عهد الوالي داود باشا ، الذي حكم في الفترة ما بين سنة ١٨١٦ – ١٨٣١ م من أهم العهود الثلاثة حكم المماليك الذي امتد من سنة ١٧٤٨ م حتى سنة ١٨٣١ م. وذلك لما امتاز به هذا الوالي من همة عالية ، وحب للاصلاح، ونكة في إدارة شؤون البلاد، بحيث اصبح العراق في عهده ولأول مرة، بلداً موحداً وقوياً "، رحلة الى بغداد في عهد داوود باشا ، جمس ريمود لمستيد ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي ، مكتبة النهضة العربية ، دار احياء التراث العرب : ٧ .

(٥) ينظر: الإسلام والعلمانية وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة ، مسعود عبد الخالق: ٢ / ٥٨ .

بيد الاسبان والتي كانت مركز علمي كبير يشع بالعلم والعلماء ولم تحصل بعد ذلك نهضة علمية في العالم الإسلامي.

وقد أخذ الغرب يصب تركيزه على هذا التخلف فيبث بين العرب أن سبب التخلف والجمود الفكري هو دينهم وكون القرآن دستورهم هو سر تخلفهم، وإذا أرادوا التطور والتقدم الحضاري واللحاق بالغرب فعليهم أن يسيروا على ما سار عليه الغرب من عزل الدين عن السياسة و عن جميع مفاصل الحياة وحصره في دور العبادة فقط [١] .

وكان التغرب و البعثات العلمية للطلبة العرب إلى أوروبا أحد أهم الوسائل التي استند عليها المشروع الغربي الاستعماري لإحداث اختراق نوعي داخل العالم العربي، ولهذا ركز الغرب على الطلبة المبتعثين للدراسة في أوروبا ،و كان الهدف من وراء ذلك تكوين طبقة من المفكرين والمثقفين لخدمة المشروع الاستعماري، حيث يأتي الشباب العربي إلى أوروبا المتقدمة من بيئة متخلفة حضاريا مما يسهل عملية غسيل الدماغ فيتلقون التعليم الغربي ،ويتم تلقينهم بالنظريات والفلسفات والأفكار الغربية ويتغير نمط حياتهم من حيث التفكير واللغة والزي فيصبحوا علمانيين[٢].

ومن وجهة نظرنا نحن توجد فروق جوهرية بين العلمانية في العالم الغربي ونظيرتها في العالم الإسلامي؛ إذ تبدو الشعوب الأوروبية أكثر تقبّلًا للفكر العلماني نتيجة عوامل تاريخية ودينية واجتماعية خاصة، من أبرزها هيمنة الكنيسة في العصور الوسطى، وما رافقها من ضغوط فكرية وسياسية، إضافة إلى طبيعة الدين المسيحي بعد التحريف، والتحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي شهدتها أوروبا آنذاك. في المقابل، يُلاحظ أن المجتمعات الإسلامية أقل تأثرًا

([١]) ينظر: أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي ، محمد رشاد : ٣١ .

([٢]) ينظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، باحو مصطفى: ٨٩ .

بالعلمانية، نظرًا للطبيعة الشمولية للإسلام، فضلًا عن أن الفكر العلماني يُعد نتاجًا لظروف أوروبية تاريخية خاصة، مما يجعله غريبًا عن البيئة الثقافية والحضارية الإسلامية.

وأما أسباب ومسوغات الدعوة إلى العلمانية في واقعنا المعاصر :-

١- "فشل بعض الإسلاميين في إعطاء صورة حقيقية عن الإسلام حينما مارسوا ازدواجية أدت الى عزلهم عن الجماهير

٢-الانحراف في العقيدة فان تغيير الثقافة ومظاهر الحياة باتجاه الدنيا وثقافة مادية متأثرة بالحياة الغربية ساعد على عزل الايمان بعقيدة التوحيد عن الحياة فسقطت الامة بين مظاهر الجهلة والبدع والتخلف وبين مظاهر الالحاد والشبهات والشك .

٣- الأنظمة السياسية الاستبدادية التي وضفت الدين لخدمة أغراضها ومنافعها ولضمان استمرار مؤسسة الحكم الاستبدادية واحتواء الأنظمة للمؤسسة الدينية وتبني الأخيرة لمواقف السلطة .

٤-عدم وجود ثقافة دينية معاصرة تستمد مقوماتها من المرجعية الإسلامية (القرآن والسنة) وتمزجها مع التطور العلمي والتكنولوجي المعاصر ولابد أن نعلم أن القران كتاب الله المقروء يدعو الى التأمل في كتاب الله المنظور الكوني ويدعو الى استخدام العقل في التأمل ، الامر الذي أدى الى ففدان الترابط بين الجماهير والرموز الدينية وأضعف قدرة الخطاب الديني في التأثير في المتلفين وأحدث فراغا ثقافيا عند شريحة الشباب.

٥-النظم الاستبدادية الظلمة التي كرست الظلم واجهل لبقائها واستمرارها الأمر الذي جعل قادة الاتجاهات الوطنية ينادون بمشاريع اصلاح سياسي لمواجهة هذه الأنظمة الامر الذي دفع الانظمة الى زج هؤلاء في السجون الامر الذي عزز من رصيدهم الشعبي" [1].

([1]) اتجاهات فكرية معاصرة ، د. رعد شمس الدين الكيلاني، الطبعة الأولى (١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م):٥١-٥٢

٦-إدارة التعدد الديني والمذهبي، فتُقدَّم العلمانية باعتبارها آلية تنظيمية محايدة تضمن التعايش بين مكونات المجتمع المتعددة دينيًا ومذهبيًا، وتحدّ من احتمالات الصراع الأهلي الناجم عن التنافس الهوياتي.

٧-قضايا الحقوق والحريات الفردية، فيربط الخطاب العلماني المعاصر بين المرجعية الدينية وبين تقييد بعض الحريات الشخصية وحقوق المرأة، ولا سيما في مجالات الأحوال الشخصية ونمط الحياة، ويُطرح الفصل بين الدين والقانون كمدخل لتعزيز الحقوق الفردية وفق المعايير الدولية.

٨-الضغوط الدولية والعولمة القانونية تُعد من متطلبات الاندماج في النظام الدولي بما يشمله من اتفاقيات حقوق الإنسان والمعايير القانونية العالمية، أحد المبررات المركزية للدعوة إلى العلمانية، إذ يُنظر إليها كشرط للانسجام مع المنظومة القانونية والسياسية الدولية.

٩-أزمة الخطاب الديني المعاصر حيث يُشار إلى ضعف الخطاب الديني في مواكبة التحولات السياسية والاجتماعية والتكنولوجية، وجمود آليات الاجتهاد، بوصفه سببًا مباشرًا في الدعوة إلى تحييد الدين عن المجال العام وإسناد إدارة الشأن العام إلى العقل القانوني والمؤسساتي.

١٠-صعود الفضاء الرقمي وتفكك السلطة الدينية حيث أدّت وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية إلى تآكل الاحتكار المؤسسي للخطاب الديني، وظهور قراءات دينية متصارعة، وهو ما يُستخدم لتبرير الدعوة إلى تحييد الدين عن المجال العام تجنبًا للفوضى التأويلية [١].

ومن وجهة نظرنا نحن ايضا من أسباب الدعوة الى العلمانية تصاعد العنف والتطرف باسم الدين ،ويُستدل بانتشار الجماعات المتطرفة، مثل تنظيم داعش وغيرها ، على أن توظيف الخطاب

---

(١) ينظر: اتجاهات فكرية معاصرة ، رعد شمس الدين الكيلاني، الطبعة الأولى (١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م) : ٥٢

الديني في المجال العام قد يسهم في شرعنة العنف، ومن ثم تُطرح العلمانية بوصفها إطارًا وقائيًا يحول دون احتكار التأويل الديني أو توظيفه في الصراع المسلح.

الفصل الأول

العلمانية أصلها ومظاهرها وأنواعها وعلاقتها بالمذاهب الفكرية

المبحث الاول: أصل كلمة العلمانية

المبحث الثاني: مظاهر العلمانية

المطلب الأول: مظاهر العلمانية في الفرد

المطلب الثاني: مظاهر العلمانية في مجالات الحياة

المبحث الثالث: أنواع العلمانية ومراحل تطورها

المطلب الأول: العلمانية المعتدلة

المطلب الثاني: العلمانية المتطرفة

المبحث الرابع: علاقة العلمانية بالمذاهب الفكرية

المطلب الأول: العلمانية والعلمنة

المطلب الثاني: العلمانية والحداثة

المطلب الثالث: العلمانية والعولمة

المطلب الرابع: العلمانية والماسونية

المبحث الاول: أصل كلمة العلمانية

لم تعد العلمانية مفهومًا واحدًا، بل تعددت أنواعها ومظاهرها، وارتبطت بعدد من المذاهب الفكرية الحديثة كالعلمنة والحداثة والعولمة والماسونية. وتبرز أهمية هذا الفصل في بيان أصلها، وأنواعها، ومظاهرها، وعلاقتها بالمذاهب الفكرية، لما لها من تأثير كبير في الفكر والسياسة والمجتمع المعاصر.

المطلب الأول : نطق كلمة العلمانية

هذه الكلمة في اللغة الإنكليزية secularism وقد ترجمت إلى العربية بكلمة علمانية، و اختلف الباحثون والمفكرون في تلفظ هذه المفردة، فمرة نقرأ بالعين المفتوحة عَلمانية، وأخرى بالكسر عِلمانية فإذا قرأت بالعين المكسورة عِلمانية فمادتها مفردة عِلم أي بمعنى العلمي تقريباً، فالعلمانية هنا يراد بها التحرك بوسائل العلم، وكأن ما حصل في العلمانية هو الاعتماد على المنهج التجريبي ونظرة الإنسان إلى الكون وتفسيره للظواهر الطبيعية في العالم أصبحت علمية، وهذا هو المعنى الأول للعلمانية . وأما القراءة الثانية لهذه الكلمة بالعين المفتوحة علمانية وهذا المعنى من عالم أي التمظهر بملامح ومعالم هذه الدنيا وهذا العالم الدنيوي، وكأن العلمانية بهذا المعنى تحصر نظرها إلى العالم المادي فقط دون النظر إلى آفاق السماء والغيبيات والماورائيات، حيث يتم تجاهل العالم السفلي وعالم الغيبيات والماورائيات وحصر النظر والعمل والتعاطي مع هذا العالم الدنيوي والمحسوس، هذا هو المعنى الآخر للعلمانية، فإذا أخذنا بالحسبان هذا المعنى للكلمة فإنها تتوافق أيضاً مع كلمة secularism [1] .

([1]) ينظر : التراث والعلمانية البنى والمرتكزات الخلفيات والمعطيات ،عبد الكريم سروش، ترجمة أحمد القبانجي ،منشورات الجمل، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ م : ٦٤ – ٦٥ .

واختلف المفكرون والباحثون حول النسبة الصحيحة للعلمانية، فالبعض ينطقها بالعين المكسورة ومن هؤلاء الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، وأما الدكتور عزيز العظمة[١] فقد أجاز النطق بالوجهين والأغلبية من المفكرين ينطقون الكلمة بالفتح وينسبونها إلى العالم ومن هؤلاء الدكتور محمد عمارة والدكتور عبد الوهاب المسيري و حسن حنفي ومحمد مبروك [٢] .

ولعل أسباب النطق بالكسر التي أدت إلى هذا الخلاف هي : –

أولا: لقد ظهر في القرن التاسع عشر تحديدا منذ بداية النصف الثاني حتى اليوم عدد كبير من المعاجم الثنائية اللغة ، كما ظهرت موسوعات وكتب ، أثبتت كلها مفردة العلمانية دون ضبط حروفها بتقصير من أصحابها ، أو فشل المطابع عن وضع الشكل أو تجاهلت ذلك ، مما أعطى الفرصة أكثر من انتشار قراءاتها بكسر العين توهما أنها من باب النسب إلى العلم أو لسهولة النطق . كما جاء في معاجم أخرى ضبط عين الكلمة فيها بالكسر جهلا أو ؛لأن كبار المثقفين يكسرون عين العلمانية من أجل تأييد فكرهم في عزل الدين عن القوانين والشرائع ، وأقدم معجم شاهدته وردت فيه عين العلمانية مكسورة طبع في لبنان سنة ١٨٦٢ م. ومما زاد المشكلة في ضبط عين العلمانية وانتشار نطقها بالكسر، ظهور كثير من الكتب التي تؤرخ للحضارة في الغرب أو ثورة الإصلاح الديني فيها ،وهي تعطي عناية فائقة لما تم من استقلال التعليم في أوروبا من

(١)عزيز العظمة هو كاتب ومفكر وباحث سوري ، وعضو مجلس أمناء معهد الدوحة للدراسات العليا. حصل على الدكتوراه في الدراسات الشرقية والعلوم الإسلامية من جامعة أكسفورد. درس في عدد من الجامعات العربية والأميركية والبريطانية المرموقة، و شغل عضوية عدد من اللجان الجامعية وهيئات تحرير عدد من المجلات الأكاديمية، و حاز وسام الاستحقاق الجمهوري التونسي لخدماته في مجال الثقافة العربي، أزمنة التاريخ مباحث في كتابة التاريخ الإسلامي ، ترجمة علي الرضا خليل رزق ، المركز العربي لابحاث ودراسات السياسات، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠٢٠ .

(٢) ينظر: العلمانيون والقرآن الكريم ، الطعان: ١٧١ – ١٧٢ .

سيطرة الكنيسة إلى درجة قد يتوهم معها بعض القراء أن مدلول العلمانية هو العلم ، وأحسن مثلً بأن صحة ضبط كلمة العلمانية هي بكسر العين هي ترجمة قصة الحضارة [١] لويل ديورانت [٢] ثانيا : أن التقارب من حيث الألفاظ بين العلمانية بالكسر والعلمانية بالفتح قائم في اللغة العربية مما أوقع بعض الباحثين والمعجمات بالاشتباه ،وانتشر ذلك قبل أن يعرف الباحثون الخطأ [٣] . ثالثا : مما ساعد على شهرة هذه الترجمة وشيوعها، ارتباط هذه المفردة ومعاصرتها للإنجازات العلمية في المنهج التجريبي التي حدثت في عصر النهضة في أوروبا، مما بعث على انصراف الذهن إلى معنى العلم والتقدّم بمجرد سماع كلمة العلمانية، بفضل التلازم الحاصل بينهما، وقد أطلق العالم الروسي بافلوف [٤] على أمثال هذا التقارن ظاهرة تداعي المعاني [٥] .

---

(١) ينظر: الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية في مصر منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨ ، أحمد الفرج : ١٦٢ – ١٦٣ .

(٢) ويل ديورانت (١٨٨٥ – ١٩٨١ م) هو مؤرخ وفيلسوف أمريكي يُعَدّ من أبرز كتّاب التاريخ والفكر في القرن العشرين. اشتهر بأسلوبه الأدبي السهل الذي يقرّب القارئ العام من الفلسفة والتاريخ أهم أعماله قصة الحضارة ، ينظر : الفلسفة والمسألة الاجتماعية ، ويل ديورانت ، ترجمة د . أنور الحمادي : ١٢ .

(٣) ينظر: العلمانيون والقرآن الكريم ، الطعان : ١٧٤ .

(٤) وُلد إيفان بافلوف في ١٤ سبتمبر ١٨٤٩ في ريازان، روسيا، وتخلى عن دراسته اللاهوتية المبكرة ليتفرغ لدراسة العلوم. وبصفته رئيس قسم علم وظائف الأعضاء في معهد الطب التجريبي، فقد حاز عمله الرائد على الجهاز الهضمي للكلاب على جائزة نوبل في الطب أو علم وظائف الأعضاء عام ١٩٠٤. وظل بافلوف باحثًا نشطًا حتى وفاته في ٢٧ فبراير ١٩٣٦ ، Ivan Petrovich Pavlov (1849–1936) Mr. Ankit P. Patel The International Journal of Indian Psychology: V.1 , n .3 | © 2014 April – June, pp: 1

(٥) ينظر: العلمانية؛ مفهومها ونشأتها أحمد سعدي صادق كاظم عباس الساعدي آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية السنة العشرون، العدد الثاني، ١٤٣٨ هـ .ق : ٥٠ .

رابعا : وقام بعضهم بنطقها بالعين المكسورة (عِلمانية) ليوهم الربط بينها وبين العلم. وبما أن كل العلمانيين العرب الأوائل في العالم العربي هم من مسيحيي الشام، فقد فضلوا هذا النسق إلى أن يوجد علمانيون عرب بالوراثة، ولا ينفي العلمانيون المحدثون ذلك [١] .

المطلب الثاني : ترجمة كلمة سكولاريم الى العربية

تقع المشكلة في ترجمة كلمة سكولاريم العلمانية. فلا يوجد مصطلح في العربية الوسيطة أو التركية أو الفارسية يرادف مصطلح علماني أو مشتقاتها. ولقد ذكر سيد حسين نصر [٢] أن هناك مفردة (عُرْف) والتي ترجع بالأساس إلى القانون، ومصطلح (دنيوي) منسوب لهذا العالم، في مقابل ما هو منسوب إلى العالم الأخروي، كما أن هناك مصطلح (زماني) والتي تشير إلى ما هو وقتي في مقابل ما هو خالد ودائم ، ولكن أياً من هذه المصطلحات لا ترادف المعنى الدقيق لـ العلمانية، وإن أحد التصورات الخاطئة المتعلقة بالمصطلح أنه قد اشتق من المفردة القرآنية الدهر والتي تطور معناها فيما بعد لتعني الإلحاد باختصار، فإن اختيار الكلمات يترك وراءه تراثاً وتركة لا تتزحزح بسهولة ، و هذا كان يعني بأن الرؤية إلى العلمانية منذ بداية الأمر مقترنة إن لم تكن مرادفة بالإلحاد. و النتيجة التي ترتبت على ذلك كانت كبيرة وأدت الى استمرار إساءة الفهم لموضوع العلمانية لدى الإسلاميين، وهو الأمر الذي ما زال مستمرا إلى اليوم . وزادت إساءة الفهم في العقود اللاحقة عندما اعترض على ترجمة كلمة العلمانية واعتبرت ترجمة غير صحيحة وأن الترجمة المناسبة لكلمة العلمانية هي اللادينية. أما الترجمة التالية فقد كانت مفردة علمانية والتي تشتق من علم ومن عالم وأصحبت مقابلاً للمفردة الفرنسية اللائكيةLaicisme ، والتي ظهرت في العالم العربي أول ما ظهرت على أيدي الكتاب المسيحيين اللبنانيين. وهكذا،

([١]) ينظر: العلمانية جذورها وأصولها، محمد علي بار : ٢٩١

([٢]) هو أستاذ الفلسفة والإسلاميات في عدد من جامعات العالم أبرزها جامعة جورج تاون، وجامعة هارفارد وغيرها ، ولد عام ١٩٣٣ في طهران ، تربى على يديه عدد كبير من الطلاب في دراسات الفلسفة الإسلامية ، قلب الإسلام القيم الخالدة من أجل الإنسانية ، حسين نصر ، تعريب داخل الحمداني ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠٠٩ م

فقد حصل تعارض بين العلمانية الإسلام ، أدت في نهاية الأمر إلى عدم فهم الموضوع واستيعابه فضلا انهم ترك النقاشات بين الدين والعلمانية التي كانت تجري في أوروبا بالتالي الخلط بين الإلحاد والعلمانية [١] .

ولعل أسباب الاعتراض على ترجمة كلمة سكولاريزم إلى العلمانية ترجع إلى :-

أولا : أصول الكلمة في المعاجم الأجنبية فكلمة "(العلمانية) ترجمة رديئة للفظ (Secularism) باللغة الإنجليزية، أو اللائكية (Laique) باللغة الفرنسية. وكلمة سيكولارزم (Secularism) تعني الدنيا أو العالم الآني في مقابل العالم الآخر والغيبي والديني. وأصل الكلمة (Sacculum) باللغة اللاتينية تعني العصر أو الجيل، ولكنها تحولت في القرون الوسطى لتعني العالم أو الدنيا أما كلمة موندوس (Mondos) ومنها كلمة مونديال فتعني العالم، ويرادفها باليونانية كلمة كوزموس (Cosmos) ، بمعنى الكون أو العالم" [٢] .

ثانيا: ترجمت المفردة الأجنبية بهذه الكلمة العلمانية ؛ لأن الذين قاموا بالترجمة لم يفهموا من كلمتي العلم والدين إلا ما يفهمه الأوربي منها ، والعلم والدين في مفهوم الإنسان الأوروبي متعارضان متضادان ، فما يكون علميا لا يكون دينيا ، وما يكون دينيا لا يكون علميا ، فالعقل والعلم يقعان في جانب مواجهه مع الدين ، والعقلانية والعلمانية في الصف المناقض للدين [٣].

ثالثا : إن زيادة الألف والنون ، في اللغة العربية غير قياسية ، أي في الاسم المنسوب ، وإنما أتت سماعا مثل (ربانيّ) منسوب إلى (ربّ) ، ثم زادت في حديث المتأخرين ؛ كقولهم : (نفسانيّ ، نورانيّ ، و روحانيّ...) ، واستعملها المحدثون في كلمات ؛ مثل : (شخصانيّ) و

([١]) ينظر : الإسلام والعلمانية والديمقراطية الليبرالية، نادر الهاشمي، ترجمة أسامة غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٧ م: ٢٥٥ – ٢٥٧ – ٢٥٨ .

([٢]) العلمانية جذورها وأصولها، محمد علي بار: ٢٦ .

([٣]) ينظر : العلمانية النبتة الخبيثة ، الدكتور أحمد فريد ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، جمهورية مصر العربية ، القاهرة، (١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م) : ٩ .

(عقلانيّ) ؛ مشابه (علمانيّ) [١] .

رابعا : أما انطواؤه على الخطأ ؛ فلأن المفردة في جذورها الأوروبية لا علاقة لها بالعلم، فهي في اللغة الإنجليزية (العلمانية)، وهذا تعبير لا علاقة له بالعلم، فالعلم في كل من اللغتين الفرنسية و الإنجليزية يسمى Science ، والمذهب العلمي يسمى Scienctism أما هذه المفردة العلمانية فهي الدنيوية أو اللادينية ، فنسبتها إلى العلم نسبة غير صحيحة [٢] .

خامسا : يرجح أن إشتقاق كلمة علمانية بهذه الصورة في الأصل ليس عربيا فالموضوع فيه تساهل كبير [٣] .

سادسا : الترجمة الصحيحة للكلمة الإنجليزية هي لادينية أو الدنيوية أو لامقدس أو لاغيبية ، فاللادينية أي الفصل بين الحياة والدين، و الدنيوية أي : إبعاد الناس عن الاهتمام بالحياة الآخرة، وصب اهتمامهم إلى نحو الدنيا فقط، لكن المروجين لمبدأ العلمانية في البلاد العربية عرفوا أنهم لو ترجموها الترجمة الحقيقية أي (اللادينية) لرفضتها الشعوب الإسلامية ونفرت منها وما قبلتها ، فكان مصطلح العلمانية، ليوحي بأن له علاقة بالعلم حَتَّى ينخدع الناس بصحة الفكرة ورشادها، ولإيهام الناس أن العلمانية هي المبدأ العالمي المتفق عليه والسائد بين الشعوب والأمم غير المنحاز لثقافة أو أمة أو طائفة. ومن هنا انخدع بَعْض السذج ودعاة العلم، فقبلوا هذا الفكر الدخيل منبهرين بشعاراته دون النظر إلى أبعاده و حقيقته وخفاياه [٤] .

([١]) ينظر : التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس) ، د. يوسف القرضاوي ، دار الشروق الطبعة الأولى ، القاهرة ، (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) : ١٣ – ١٤ .

([٢]) ينظر : موقف الإسلام من العلمانية ، صلاح الصاوي ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، الرياض ، (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) : ٧ – ٨ .

([٣]) ينظر: هل الولايات المتحدة دولة علمانية ، رشيد السراي ، ٢٠٢١ : ١٢ .

([٤]) ينظر: العلمانية الحديثة شجرة خبيثة ، محمد أحمد عبد الغني : ٤ .

سابعا: نطقها مفتوحة بالعين، نسبة إلى العالم وانتشر ذلك في عدد من المعاجم اللغوية، حيث أخذ بعضها عن بعض. ولو كان الأمر صحيحا لقيل : العالمانية[١]، "وأعتقد أن سبب هذا الخطأ قراءة غير صحيحة للقاموس المحيط، فقد جاء فيه : ومعلم الشيء كمقعد – مظنته، وما يستدل به كالعلامة كرمانة، والعلم والعالم : الخلق كله . فكلمة «العلم» في السياق مجرورة معطوفة على كلمة «العلامة»، أي أن العلم هو ما يستدل به . ولكن بعضهم قرأ كلمة «العلم» مبتدأ وعطف عليه كلمة العالم . فكأنه قال : والعلم والعالم : الخلق كله. وهذا وهم، وخطأ في الفهم، من غير شك" [٢] .

وفي سنة ١٨٥١م صاغ جورج هوليوك [٣] مصطلح سكولازيم باللغة الانكليزية والذي ترجم إلى اللغة العربية بمفردة العلمانية ، وذلك للتعبير عن وجهة نظره في إقامة نظام خاص منعزل عن الدين على أن يتخذ موقف الحياد من الدين نفسه كما يبدو حسب رأيه [٤] .

وأما تاريخ دخول الكلمة إلى العربية فإن أقدم و أول معجم ثنائي اللغة قدم ترجمة صحيحة للكلمة هو قاموس فرنسي عربي أعده إلياس بقطر المصري [٥] عام ١٨٢٨م، وكانت ترجمته لمفردة sécularité عالمي أو عالماني . وأول قاموس لغوي عربي عربي قدم تعريفا للمفردة هو

([١]) ينظر: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس) د. يوسف القرضاوي : ١٣ .

([٢]) المصدر نفسه : ١٣ .

([٣]) جورج جاكوب هوليوك (١٨١٧– ١٩٠٦ م) هو مفكر وصحفي وناشط اجتماعي بريطاني، ويُعدّ واحداً من أبرز الشخصيات في تاريخ الفكر الاجتماعي في إنجلترا في القرن التاسع عشر. أهم ما يُعرف به أنّه صاغ مصطلح العلمانية ينظر : المرجعية وأثرها في بناء الإنسان – المحور الثقافي ، وسن صاحب عيدان ، العتبة العلوية المقدسة : ٣٥٠ .

([٤]) ينظر : هل الولايات المتحدة دولة علمانية، رشيد السراي : ٦ .

([٥]) هو مترجم مصري عمل مع القوات الفرنسية ، وقد كان متعاوناً مع الفرنسيين وغادر معهم إلى باريس وعاش هناك، ينظر : المصدر نفسه : ١٢ .

لبطرس البستاني[١] معجم محيط المحيط صدر سنة ١٨٧٠ "حيث جاء فيه ما نصه: العلماني: العامي الذي ليس بإكليريكي" [٢] ومن الواضح جلياً أن البستاني لا يقصد بحده هذا الأفكار العلمانية الفرنسية التي تبلورت في نهاية القرن التاسع عشر أي بعد إصدار معجم البستاني بأكثر من عقدين تقريباً !ويتضح من هذين المعجمين اللذين أوردا مصطلح العلمانية لأول مرة واللذين أنجزهما كاتبان مسيحيان هما بطرس البستاني ولويس بقطر تاريخ دخول الكلمة للعربية [٣] .

"و أول معجم في اللغة العربية ورد فيه هذا التعبير هو المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة. فقد جاء في طبعته الأولى الصادرة سنة ١٩٦٠م: (العالماني) نسبة إلى العلم، بمعنى العالم ، وهو خلاف الديني أو (الكهنوتي)، وبقي الأمر كذلك في الطبعة الثانية الصادرة سنة ١٩٧٩م، أما في الطبعة الثالثة التي صدرت سنة ١٩٨٥م، فقد وردت الكلمة فيه مكسورة العين، بعد أن ظلت مفتوحة في الطبعتين الماضيتين"[٤] .

والسؤال من أين جاءت مفردتا عالماني و علماني فوضعتا إلى جانب مفردة (عالمي) في بعض المعاجم العربية ؟ ولابد لنا للإجابة على هذا السؤال من التوضيح لذلك بكلام عن أثر سيادة العربية بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام ، لقد عمد يومئذ علماء السريان إلى نقل العديد من الكتب المسيحية المدونة بالآرامية أو اليونانية إلى اللغة العربية الفصحى [٥] .

---

(١) هو أديب ومفكر لبناني بارز، يُعدّ من روّاد النهضة العربية في القرن التاسع عشر. وُلد في الدبية بلبنان، واشتهر بثقافته الواسعة وإتقانه للغات، وكان من أوائل الداعين إلى التعليم الحديث ونشر المعرفة بأساليب جديدة. أسّس أول مدرسة وطنية غير طائفية، وأصدر عدداً من المجلات مثل نفير سورية، كما ألّف معاجم وموسوعات مهمة أبرزها دائرة المعارف و محيط المحيط ، الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية ، هاشم بن خاطر بن عبد الرحمن البركي ، جامعة أم القرى، (١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م) : ٦ – ١٧

(٢) هل الولايات المتحدة دولة علمانية، رشيد السراي: ١٢ .

(٣) ينظر : هل الولايات المتحدة دولة علمانية، رشيد السراي: ١٢–١٣ .

(٤) موقف الإسلام من العلمانية ، صلاح الصاوي : ٧ .

(٥) ينظر : الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية في مصر منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨ ، أحمد الفرج : ١٥٨ .

و"العلماء السريانيين ، وهم ينقلون كلمة Seculaire إلى العربية ، استوحوا من كلمة (عُلْمُويُو) السريانية صيغة عالماني ، بزيادة الألف والنون على عادتهم في زيادتها على الأسماء المنسوبة إذا ما كانت النسبة على المجاز" [١] .

ومن وجهة نظرنا نحن أن الربط التاريخي في نشأة العلمانية والثورة العلمية والصراع بين الكنيسة والعلماء في أوروبا في عصر النهضة و كذلك التشابه اللفظي جعل الكثير يتوهمون أو ينسبون العلمانية إلى العلم ولكن في الحقيقية العلم ليس له صلة بمفهوم أو لفظ أو معنى كلمة العلمانية وفكرتها الأساسية التي هي فصل الدين عن الدولة ولذلك أنا أرجح أن العلمانية بالفتح نسبة إلى العالم الدنيوي هي الأصح والله أعلم .

([١]) الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية في مصر منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨ ، أحمد الفرج : ١٥٩ .

المبحث الثاني: مظاهر العلمانية

تُعدّ العلمانية أحد أبرز التحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدها العالم الحديث، وقد انعكست تأثيراتها في مختلف جوانب الحياة السياسية والثقافية والتربوية ، وأفرزت هذه التحوّلات مظاهر عديدة تجلت في بنية الدولة، وفي سلوك الفرد، وفي طبيعة القيم والمعايير التي تنظّم المجتمع. ويهدف هذا الموضوع إلى الكشف عن أهم مظاهر العلمانية وتحليل أثرها في الواقع المعاصر، مع بيان أبعادها الفكرية والاجتماعية.

المطلب الأول: مظاهر العلمانية في الفرد

تتجلى مظاهر العلمانية في الفرد من طريق تغيير القيم والسلوكيات الشخصية، وتأثيرها على رؤيته للحياة والدين والمجتمع .

١- العلماني ليس بالضرورة أن يكون ملحدا فممكن أن يكون مؤمناً بوجود الله تعالى ولكنه ينفي وجود أية علاقة بين الله تعالى وبين شؤون الحياة .

٢- يعد التعاليم والمفاهيم التي تدعو لها الأديان والتي تنص على إدراك صلة الشيء بالله تعالى والقيم الأخلاقية الدينية هي قيم ضارة بالمجتمع .

٣- يدعو إلى حكم الشعب للشعب وتطبيق الديمقراطية ويروج لها كنظام بديل عن الشريعة ، وقد يضلل المسلمين في أن الديمقراطية لها أصل في الإسلام وهو الشورى .

٤- يدعو إلى الحريات الأربع الغربية وهي حرية الرأي حرية التدين والحرية الشخصية وحرية التملك [١] .

٥- يطالب بالحرية الجنسية والاختلاط بين الرجال والنساء في الأماكن العامة والخاصة أي الخلوة والسفور ويحبذ عدم الترابط الأسري .

٦- يطالب بتحرير المرأة ويدعو إلى سفورها ، ومساواة المرأة بالرجل بالقوانين دون اختيار العمل الذي يناسبها ويصون كرامتها كأنثى .

([١]) ينظر : العلمانية ونقضها لأصل الدين ، إبراهيم بن الحاج خليف محمود بن الحسني الشافعي : ٢٠.

٧- لا يعارض نشر الإباحية والانحلال الأخلاقي وتخريب كيان الأسرة باعتبارها البنية الأولى في كيان المجتمع .

٨- يدافع عن قضية المرأة بدعوى أنها مظلومة ومقيدة من قبل الدين [١] .

٩- يدعو إلى تقليد المرأة المسلمة للمرأة الغربية في جميع النواحي سواء الأزياء والموضة الغربية وعمل المرأة في الرقص والغناء والتمثيل ويدعو إلى عقد المؤتمرات الداعمة إلى المرأة وغالبا ما يهاجم المحجبات ويدعو إلى تحرر المرأة من الحجاب ومن العادات والتقاليد والقيم الدينية.

١٠- يدعي أنه لا تعارض بين العلمانية والإسلام ، لأن الإسلام ليس دين دولة إنما هو دين فرد

١١- يقر بالسيادة الكاملة ، وحق التشريع للشعب ، فما تحرمه هو الحرام وإن اتفقت على حله كل دين من عند الله تعالى ،وما تحله هو الحلال عندهم وإن اجتمعت على مخالفته كافة الشرائع السماوية[٢]

١٢- يعتقد أنه ينبغي ترك الأمور الدنيوية كلها للإنسان وليس لرجال الدين ،ويطلب بأن يكون العقل البشري هو الأساس وليس الدين.

١٣- يصرح بأن الاديان لا تتلاءم مع الحضارة الحديثة، وأنها تدعو إلى الرجعية و التخلف؛ لأنها لم تقدم ما ينفع الناس.

١٤- يساوي الفقه و التشريع الإسلامي وكافة تعاليم الشرائع السماوية الأخرى مع القانون الروماني وأنها امتداد له وهي تعاليم قديمة تتعارض مع العلم.

١٥- حين يتحدث عن المتدينين فإنه يحاول في كلامه السخرية والاستهزاء بهم ويطالب بتوظيف خريجي المعاهد و الكليات الدينية في المساجد [٣].

([١]) ينظر : العلمانية الحديثة شجرة خبيثة ، محمد أحمد : ٥٤.

([٢]) ينظر : العلمانية ونقضها لأصل الدين ، إبراهيم بن الحاج خليف : ٢١ – ٢٢.

([٣]) ينظر : العلمانية الحديثة شجرة خبيثة ، محمد أحمد : ٥٥ .

١٦- يعترض على تطبيق الحدود الشرعية؛ لأنها قاسية من وجهة نظره كقطع اليد للسارق أو كالجلد للزاني أو القتل للقاتل وغيرها من الحدود.

١٧- دائما معجب بالحضارة الغربية ويكثر من المدح لها ، ويدعو إلى تقليد الغرب للتطور والتقدم والأخذ بتجاربه من خلال عزل الدين عن الدولة.

١٨- يؤكد أنه لا بد أن تتطور الشريعة لتوافق النمط الحداثي الجديد ؛ لأنها لا تصلح لهذا الزمان وأنها نزلت في زمن و ظروف مختلفة .

١٩- يذهب إلى أن الحدود الشرعية معطلة في الدولة العلمانية ولا تصلح لكل زمان.

٢٠- غالبا يستخدم المصطلحات الأجنبية أو غيرها بدلا من المصطلحات الإسلامية.

٢١- يؤمن بالولاء للوطن والقومية ثم الولاء للدين يأتي في المرتبة الثالثة [١].

٢٢- يعتقد أن الدين ينحصر في المسجد ، وأن مهمة رجال الدين تقتصر على عقود الزواج والطلاق والصلاة على الموتى [٢].

٢٣- يذهب إلى أن "السياسة ليست من الدين، ومن قبل كتب علي عبد الرازق [٣] كتابه المعروف (الإسلام وأصول الحكم) ينفي فيه أن يكون للإسلام علاقة بالسياسة، وأن تكون الخلافة الإسلامية نظامًا شرعيًا إلهيا، وإنما هي عادة أو اجتهاد فردي من الممكن الاستغناء عنه" [٤].

([١]) ينظر : العلمانية ونقضها لأصل الدين ، إبراهيم بن الحاج خليف : ٢٢ .

([٢]) ينظر : معركة الإسلام والعلمانية ، سلمان بن فهد العودة المشرف على شبكة الإسلام اليوم : ٣٢ .

([٣]) علي عبد الرازق (١٨٨٨-١٩٦٦) هو شيخ أزهري ومفكر مصري بارز ولد في قرية من قرى مصر الوسطى ، يُعَد من الشخصيات المثيرة للجدل في الفكر الإسلامي الحديث ومن أهم أعماله كتابه الأشهر الإسلام وأصول الحكم **(١٩٢٥م)**، ناقش فيه فكرة الخلافة، مؤكدًا أن الإسلام لم يفرض نظامًا سياسيًا محددًا، ينظر : بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب والمسلمين في مصر (١٩٠٠ م – ١٣١٨ هـ إلى ١٩٦٤ م – ١٣٨٤ هـ) ، د. حسين سعد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، (١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م) : ١٧٠

([٤]) ينظر : معركة الإسلام والعلمانية ، سلمان بن فهد العودة المشرف على شبكة الإسلام اليوم : ٣٢

٢٤- يدعو الى فصل الدين عن السياسة، فالدين في زعمه أرقى أنظف وأسمى من أن يدخل في السياسة، فليبق الدين للعبادة ، ولتبق الحياة تحكم بالقانون المدني ، والذين يرفعون شعارات الإسلام من التيارات والأحزاب يريدون استغلال الدين ؛ لتحقيق غاياتهم ومقاصدهم باسم الدين، وباسم الدين يتم استغلال عواطف ومشاعر الناس من أجل الوصول إلى الأغراض الشخصية، أو المطامع أو غيرها [١].

"والعلمانية ليست بالضرورة معادية للدين، بل إنها أحيانا تفضل توظيف الدين والإستفادة منه، ولكن مع ضرورة حصره في ناحية من نواحي الحياة، ولهذا قد لا تجد العلماني يطعن في الدين، بل قد يمدحه ويمجده، بل قد يقول إنه يجب المحافظة على الدين، ولكنك إذا سألته هل أنزل الله تعالى دين الإسلام ليكون هادياً لنا في كل أمور حياتنا، فلا يجوز لنا أن نرفض شيئاً منه، فإن جوابه لا يخرج عن ثلاثة احتمالات"[٢].

أ- أن يهرب من الجواب إذا خاف على نفسه من البوح بتوجهه العلماني خوفا من ردة فعل الآخرين ، كما يفعل رجال السياسة عند خوفهم من خسارة أصوات الناخبين.

ب- أن يعترف صراحة وبوضوح أن الدين يجب فصله عن السياسة والفكر ، وعن الحياة الاجتماعية، والثقافة ، كما أنه من الخطأ أن نجعل الدين هو الحكم والفيصل على كل شيء في الحياة ، وهنا قد يقول إن الدين له أن يحكم في الغيبيات ونحوها.

ت- يقول: إن الاحتكام إلى الدين واجب والدين كله حق ، ولكن أين الذين يطبقون أحكامه ، ثم يأخذ بعد ذلك بالطعن في الدعاة للدين واتهامهم بأنهم يستغلون الدين لمصالحهم الخاصة [٣].

([١]) ينظر : معركة الإسلام والعلمانية ، سلمان بن فهد : ٣٣.

([٢]) العلمانية ونقضها لأصل الدين ، إبراهيم بن الحاج خليف : ٢٣.

([٣]) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣.

"والمجتمع العلماني كما ورد في الفكر الأوروبي، وفي تطبيقات هذا الفكر له أقسام وخصائص نورد فيه : –

١ – إن قيمة المجتمع العلماني تتميز بالنفعية، أي أنه يعلن مقام المصلحة الخاصة النفعية على حساب المصلحة الاجتماعية، فماذا يقول الإسلام عن هذه الخاصة ؟! إن الإسلام هو الوحيد من بين الرسالات السماوية الذي يقدم في شؤون المجتمع وسياسة الدولة، وأمور الدنيا، ويقدم المصلحة على النص، وهو الذي يتحدث عن شريعة لها مقاصد وغايات، ويجعل المرجع في حسن الأمور وقبحها إلى رأي الأمة التي تقرر ما يحققه مصلحتها، والله سبحانه وتعالى هو المشرع الوحيد"[١].

٢ – المجتمع العلماني يدعم التغيير ويدعو إلى التحديث ويدعمه. وهذا ما يدعو له الإسلام ، إن الإسلام يدعو إلى التحديث في كل المجالات ، فهو سنة من سنن الخالق في الكون. ودعوة الإسلام إلى التحديث تجاوزت شؤون الحياة إلى شؤون الدين (الاجتهاد) إلى ما هنالك من صفات يتميز بها بالمجتمع العلماني، لا يمكن مقارنتها بالإسلام [٢].

([١]) العلمانية نشأتها وتطورها واثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر بن عبدالرحمن : ٢٣٣.

([٢]) ينظر : المصدر نفسه : ٣٣٣.

المطلب الثاني: مظاهر العلمانية في مجالات الحياة

العلمانية تتجلى في مظاهر عديدة تمس جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية وغيرها، إذ تُعيد تنظيم العلاقة بين الدين والمجتمع على أساس مادي ودنيوي. وتنعكس هذه المظاهر في أساليب الحكم، والتشريعات، ونمط الثقافة الحديثة التي تسعى إلى فصل القيم الدينية عن الشأن العام.

أولا: العلمانية في الفكر والفلسفة

تؤمن العلمانية المادية بالمادة ، ولا شيء وراء المادة، وأما الدين فلا يوجد له مكان هنا؛ لأنه يعتمد في أصوله على عقائد خرافية وغيبية ، وهي تنفي أي شيء مقدس إلا ما ثبت علميا بالتجربة. وما عداه فهو خرافة. وليس من هم العلمانية النظر للآخرة، لأنها غيبيات خرافية ، بل محورها الرئيس والوحيد هو هذا العالم الدنيوي، ولهذا السبب جاء تعريف العلمانية بالدنيوية [1].

وتبدأ الفلسفة داخل نظام العلمانية الشاملة في التجرد عن العقائد والمطلقات الأخلاقية والإنسانية والدينية ، وتظهر الفلسفات المادية العقلانية التي ترفض كل شيء سوى المرجعية المادية النهائية وتحاول البلوغ إلى الوقائع عن طريق الحواس الخمس والتجريب، أو على العكس ، عن طريق الخيال والحدس المنسلخين عن التجريب والعقل ، وعن طريق الوعي بعيداً عن أية ميتافيزيقية، أو عن منهج العقل المتجرد عن والخيال القلب [2] " وتحاول الفلسفة الوصول من خلال هذا العقل إلى يقين فلسفي صارم يستند إلى العلم الطبيعي. فتظهر الفلسفات العقلانية المادية التي ترى العقل باعتباره مقولة مطلقة، مرجعية ذاتها، مكتفية بذاتها، يصل إلى المعرفة بدون وسائط بشرية أو إلهية . هذا العقل عقل مادي ، عقل محض، لا يتجاوز بأية حال عالم الطبيعة /المادة، فهو جزء لا يتجزأ منها (فالفكر ليس سوى تعبير باهت عن المادة) . وهو عقل

([1]) ينظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى : ٥٣.

([2]) ينظر: العلمانية الجزئية والعلماني الشاملة ، د. عبد الوهاب المسيري ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، (١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م) : ٢ / ١٢٥.

مطلق يتحرر من كل الحدود، بل من الإنسان نفسه، ويرفض الماضي والتاريخ ، ويحول كل شيء إلى كم يشبه الطبيعة / المادة" [١].

ثانيا: العلمانية في السياسة

إن تطبيق العلمنة في السياسة واضح لا يخفى على الناظر، فتم فصل الدين عن الدولة وعن شؤون الحياة كلها، وترك العمل بالأحكام الشرعية والحدود [٢] .

وكان الحكام قبل العلمانية في أوروبا يلتزمون مجبرين بأخلاقيات الدين المسيحي سواء عن إيمان أو نفاق وتملق للكنيسة ولكن نتيجة الأوضاع التي عاشتها أوروبا في القرون الوسطى برز عدد من المفكرين والفلاسفة ومنهم مكيافيللي [٣] الذي نادى بقوة بفصل الدين عن السياسة ،وجاء في كتابه (الأمير) بفكرة خطيرة وهي أن الغاية تبرر الوسيلة، وأعطى للحكام الشرعية لاستخدام كل الطرق والوسائل غير الخسيسة للوصول للأهداف من غدر وخيانة وكذب وتصفية للمعارضين وسفك الدماء فلذلك على الحكام أن يسيروا على النهج وعلى الحاكم أن لا يتقيد بقواعد الدين والأخلاق، وقد قوبل بمعارضة عنيفة وقت ظهوره ؛ لأن أوروبا كانت مشمئزة من الدين ولكنها ما تزال تعترف بالمبادئ والقيم وتحاول التمسك بها ، ولكن بشرط العثور على منبع آخر لها غير المسيحية، ومن ثم ظهرت عدة نظريات تحاول أن تجعل أخلاقا للحكم غير

---

(١) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، د. عبد الوهاب المسيري ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، (١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م) : ٢ / ١٢٥.

(٢) ينظر: العلمانية حقيقتها وخطورتها ، لفضيلة الشيخ الدكتور أبي عبد المعز محمد علي فركوس ، دار العواصم للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، الجزائر ، ١٤٤٣ هـ – ٢٠١٣ م : ٢٢ .

(٣) نيكولو ميكافيلي (١٤٦٩ – ١٥٢٧) هو مفكر وسياسي إيطالي من عصر النهضة ، ولد في مدينة فلورنسا الإيطالية ، يُعتبر واحداً من أبرز المنظّرين في الفلسفة السياسية والتاريخ ومن أهم أعماله كتاب الأمير ، ينظر : الأمير ، نيقولا ماكيافيلي ، محمد لطفي جمعة ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤ : ٩ .

مستندة إلى الدين، ولكن المنزلق العلماني كان لابد أن يأخذ طريقه ... فمنذ استقلت السياسة عن الأخلاق المستمدة من منبع الدين ، أصبح من المستحيل أن تظل لها أخلاق [١].

ونشأت نظرية الحق الإلهي المقدس للحكام والملوك وهي أنهم يستمدون سلطتهم من الله لا من شيء آخر و في أول عهدها للتمرد على سلطة الكنيسة كمحاولة لتحرير الحكومات من سيطرة البابا . كما أنها كانت ردا على دعواه أنه خليفة الله وصاحب السلطة العليا ، وإنه الحاكم المطلق على الناس سواء كانوا ملوكا أو شعوبا فكانوا يطالبون بالسلطة الزمنية مقابل أن تكون السلطة الروحية للكنيسة ونظرية الحق الإلهي تستند بدورها إلى نظرية قديمة تعرف بنظرية العقد الاجتماعي، وهي نظرية ذات جذور رومانية تبنى على أساس أن الشعب الروماني هو مصدر السلطة التشريعية وقد تنازل عن هذه السلطة للإمبراطور، وكان من أسس لهذه النظرية في العصر الحديث هم كل من توماس هوز وجون لوك وجان جاك روسو وقد استغلها الملوك الأوربيين للتخلص من سيطرة الكنيسة بالتالي فإن هذه النظرية ترتكز في أساسها على الشعب ، وإن الشعب قد حولها إلى الملك أو الرئيس ليستطيع أن يؤدي الوظائف اللازمة . ومن الواضح إنها نظرية ذات بعدين فقد تفسر لتأكيد سلطة الرئيس المطلقة باعتباره مصدر لكل السلطات ، أو لتأكيد المصدر الأخير لتلك السلطة هو الشعب . وكان من أشهر المدافعين عن الحق الإلهي المقدس، وعن السلطة المطلقة للملوك كل من مكيافيللي و هوبز [٢]، ويهمنا مكيافيللي هنا أكثر، و أثاره في أوروبا العلمانية المعاصرة [٣] .

([١]) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب : ٤٦٨ .

([٢]) هوبز (١٥٨٨–١٦٧٩) هو فيلسوف إنجليزي ولد في إنكلترا ، يعدّ من أهم فلاسفة السياسة في العصر الحديث ، أفكاره وضعت الأساس للكثير من نظريات العقد الاجتماعي وفهم الدولة الحديثة ، ينظر : قصة الفلسفة الحديثة ، زكي نجيب محمود ، وأحمد أمين ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٠ م : ٥٥ .

([٣]) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب: ٤٦٥ – ٤٦٦ .

ومن ثم قامت الثورة الديموقراطية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بإلغاء السلطة المطلقة التي كانت للحكام وأحلت مكانها سلطان الحكومة الذي تولته أحزاب نيابية ينتخبها الشعب وجعلت هذه الثورة الدول على اختلافها أكثر اهتماماً بالحياة الدنيا وبالتالي أكثر استقلالاً من قبل ، وهكذا انتهى الحق الإلهي وحل محل سلطة الشعب . وكما كان الناس على استعداد لأن يموتوا و يقاتلوا في سبيل الدين المسيحي والكنيسة أصبحوا على استعداد أن يموتوا في سبيل الوطن والشعب [1].

وصار من الطبيعي أن لا يجد رئيس الدولة العلماني الحاجة إلى الاستعانة بحكم الدين في مسألة معينة ؛ بسبب أولا عدم معرفته بالدين وجهله به، وثانيا للتعارض الشديد بين الدين وبين آراء المفكرين والفلاسفة العلمانيين الذين يرون أنه لا تتحقق الرفاهية الحقيقية للشعوب إلا إذا تم إبعاد الدين تماما عنهم وحكم الشعب نفسه بعيدا عن التأثر بتشريعات الدين التي لا تشفق على الفقير ، بل تنحاز للظالمين من الحكام ، كما ظهر ذلك جليا مما رأوه من ترابط المنافع و المصالح بين أصحاب المناصب ورجال الدين ، لتآمر الجميع على إذلال الناس وسرقة خيراتهم وهو ما حصل بالفعل حين اشتد طغيان رجال الدين وساعدهم خوفا منهم الملوك الذين استفادوا هم بدورهم من رجال الدين في إقناع الناس بأن الملوك يمثلون الله ، وطاعتهم واجبة ، ومعارضتهم معارضه له ، وأن البابا الممثل المباشر للرب المسيح و السعادة كلها في يده !!. وكانت النتيجة أن الناس نظروا إلى رجال الكنيسة على أنهم مخادعون متآمرون هم والاباطرة على استعباد الشعوب وهو صحيح فتم وضع التشريعات و القوانين الوضعية بدلا عن كل الشرائع الإلهية ، فجاءت القوانين العلمانية خليطا مشوها من شتى الأفكار والفلسفات والحضارات القديمة [2] .

([1]) ينظر: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر بن عبدالرحمن : ٢٣٣.

([2]) ينظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة ، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت ، ١٤٣٣ هـ : ١ / ١٦٠ – ١٦١.

ثالثا : العلمانية في الاقتصاد

كان النظام الاقتصادي في أوروبا قبل ظهور العلمانية يعتمد على نظام الاقطاع وتحريم الربا والاحتكار، ولم يكن نظام الإقطاع مستمد من تعاليم الدين المسيحي إلا أنه كان مؤيدا ومدعوما من قبل رجال الكنيسة بالتالي أعطاه صبغة التدين ، وكان قائما على ظلم الفلاحين وجشع رجال الدين الذين سيطروا على النظام الاقتصادي ومصادره الذي كان مكبلا بالتحريم والتحليل مضافا إلى ذلك صنوف الضرائب المفروضة على المزارعين وغيرهم الذين كانوا يعاملون كالعبيد والذين أصبحوا تحت رحمة طبقة النبلاء الإقطاعية التي تملكهم ، وأوضاعا أخرى سيئة واستبداد وظلم لا نظير له، وبطالة وفقر في كل نواحي الحياة، والملاحظ أن مفكري العلمانية قد فسروا كل تلك الأوضاع على أنها إحدى نتائج سيطرة رجال الدين، وأن الدين هو وراء هذه الأوضاع الكارثية كلها بمباركته لرجال الدين وهذا التسلط والظلم ، فإذا بالنظريات العلمانية تقوم على محاربة وجود الله تعالى ومحاربة الكنيسة وأن الاقتصاد ينبغي أن يتحرر عن سيطرة رجال الدين وأن يتجه صوب النظريات الاقتصادية الحديثة بعيدا عن الدين التي يجود بها زعماء التحررية [١].

وكان من نتائج ذلك ظهور نظريات اقتصادية حديثة فظهرت الفيزيوقراطية[٢] والرأسمالية[٣]

([١]) ينظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة ، مجموعة من الباحثين بإشراف عَلوي بن عبد القادر السقاف: ١ / ١٦٣ – ١٦٤ .

([٢]) هي مدرسة اقتصادية ظهرت في فرنسا في القرن الثامن عشر، تقوم على فكرة أن الزراعة هي المصدر الوحيد للثروة الحقيقية في المجتمع، وأن الإنتاج الزراعي هو أساس نمو الاقتصاد. دعا الفيزيوقراطيون إلى تقليل تدخل الدولة واعتبروا أن الاقتصاد يعمل بكفاءة إذا تُرك للطبيعة وقوانينها ، ينظر: رأس المال المدرسي دراسة مفاهيمية ، بلحاوي فايزة ، كيم صبيحة ، مجلة آفاق الفكرية ، العدد ٣ ، المجلد ٩ ، ٢٠٢١ : ٤٧٦

([٣]) "النظام الاقتصادي الرأسمالي : هو ذلك النظام الذي يقوم على الملكية الفردية لعناصر الإنتاج، والحرية الاقتصادية في إدارة، وتسيير، وممارسة النشاط الاقتصادي من خلال جهاز الثمن أو قوى السوق" ، السبل

والاشتراكية[١] فالقيم والمثل والاخلاقيات الدينية فظهرت أنظمة اقتصادية هدفها الاهتمام في الاقتصاد، والاهتمام في تحقيق السعادة والرفاهية في الحياة الدنيا وليس لها علاقة بالأخرة، فهي تقوم على الحرية للفرد بالعمل وجمع الثروة وفق (مقولة اتركه يعمل اتركه يعبر) لتخفيف المكاسب المادية وتحسين وسائل الإنتاج. والمذهب الطبيعي الفيزيوقراطي يقوم على حرية العمل المطلقة أي ترك الحرية للفرد في العمل وجمع الثروة دون قيود أو أخلاقيات للعمل و يترك الأمور تجري كما هي وفق قانون الطبيعة [٢].

ويستند هذا المذهب إلى نظرية علمية وهي نظرية نيوتن حول الحركة الطبيعة والأجرام السماوية ، فكما أن الكواكب والنجوم تسير في وفق فضائها الخاص دون أن يحدث تعارض بينها، كذلك لو ترك البشر ولم يفرض عليهم قيود لتيسرت أحوالهم وسارت وفق القانون الطبيعي الذي يضمن تحقيق الرفاهية لهم ، والمذهب الرأسمالي ما هو إلا تطوير للمذهب الفيزيوقراطي حيث يعد آدم سمث [٣] الكاتب والفيلسوف الأول لهذا المذهب في كتابه (ثروة الأمم) وتعد نظريته الأساسية نظرية تميل بقوة إلى الميكيافللية [٤] و تعد السبب الأول في نشاط الناس

بحث مختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة الماسونية – العلمانية – الاشتراكية – الرأسمالية ، معاذ بن محمد الزغبي ، المدرسة الأثرية : ٥٥ .

(١) "الاشتراكية بتعريف مجمل هي : نظام اقتصادي يمتاز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج والإدارة التعاونية للاقتصاد؛ أو هي فلسفة سياسية تدافع عن هذا النظام الاقتصادي" ، السبل بحث مختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة الماسونية – العلمانية – الاشتراكية – الرأسمالية ، الزغبي ، : ٤٤.

(٢) ينظر : العلمانية نشأتها وتطورها واثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر بن عبدالرحمن : ٢٧٣ .

(٣) آدم سميث (١٧٢٣ – ١٧٩٠ م) هو فيلسوف واقتصادي اسكتلندي يُعدّ من أهم روّاد الفكر الاقتصادي الحديث، وغالبًا يُلقَّب بـ أبو الاقتصاد الحديث ، اشتهر بكتابه ثروة الأمم لذي أسّس فيه لعلم الاقتصاد الكلاسيكي ، ينظر : آدم سميث ، إيمون باتلر ، ترجمة علي الحارس ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤ : ٢٧.

(٤) هي فكرة الغاية تبرر الوسيلة وتنسب لمكيافلي وتعني "أنّ كل وسيلة ممنوعة في الأصل، تباح إذا كانت توصل إلى مقصود مهم، للناس عامة، وللحكام بشكل فردي، ولمصالحهم الخاصة، فالقتل بلا رحمة مباح؛ للوصول إلى استقرار الدولة، وكذلك نهب الأراضي من أصحابها الأصليين، وتهجيرهم، وإحلال رعايا الدولة=

فضلا المصلحة الشخصية ، وأن العمل على جمع المال ما هو إلا شكل من أشكالها . وبذلك قرر أن الأنانية والمصلحة النفعية تكمن وراء كل نشاط للإنسان ، وصارح المجتمع باعتقاده أنها ليست صفاتا مبغوضة يجب تجنبها وتركها ، وإنما هي على العكس عوامل تحمل الخير إلى للبشرية . وفي رأيه أنه إذا أريد توفير رغد العيش للمجتمع، فلابد من السماح لكل فرد أن يستغل أقصى إمكانياته لتحسين مستواه بشكل منظم ثابت دون قيود بالتالي تقوم الرأسمالية على المادية النفعية [١] .

وجاء أيضا النظام الاشتراكي وهو الوحيد حتى اليوم الذي فرض على الحكومات كفالة كل مواطن يعيش تحت سلطتها ، ولكن ذلك لم يكن كرماً بدون مقابل ، فهي تأخذ مقابل ذلك مجهود المواطن كله ، فمن لا يعمل لا يأكل ، ثم إن الدولة تستعبد المواطنين بلقمة الخبز على نحو لم يحصل في كل النظم البشرية على الأقل في التاريخ المعاصر وعلى رغم أنها حاربت الرأسمالية إلا انها أدت إلى ظهور طبقة حاكمة تكدست عندها الثروات كما حصل في روسيا ، وفي الحقيقية أنه لم تكن الفكرة المكيافيللية (الغاية تبرر الوسيلة) في الواقع منحصرة على عالم السياسة فقط . إنما كانت فكرا جديدا حل محل الدين. لا في السياسة فقط ، ولكن في الاجتماع والاقتصاد كذلك في كل الأمور التي تدخل فيها الغايات والوسائل [٢] .

فالنظريات الاقتصادية العلمانية تقوم على المنفعة والربح مهما كانت الغايات والوسائل لتحقيق ذلك ، ولا يهم سواء تحقق ذلك ببيع الخمور أو الربا أو القمار أو السياحة الجنسية ، أو دور الدعارة، أو المخدرات أو حتى بيع أسلحة للعصابات المسلحة، أو خداع الناس من خلال

=المستبدة مكانهم، أو معهم، بالقوة والسلاح ... كل هذا ينبغي للحاكم أن يفعله للوصول عن طريقه إلى استقرارالحكم وسيادة الدولة" ، الغاية تبرر الوسيلة بين الإسلام والميكافيلية دراسة تأصيلية فقهية فكرية ، الدكتور أسامة عدنان الغمنيين ، دار عمار ،الطبعة الأولى ، (١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ م) : ٦٤.

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب: ٤٧٣ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٤٧٢ – ٤٧٥ .

الترويج لمنتجات غذائية أو طبية أو غيرها ليس فيها نفع أو فائدة ليقبلوا على شرائها، وبذلك يحقق أصحابها أرباحا هائلة والتي تحققها المنتجات التي فيها فائدة للناس فلا اعتبار لأية كوابح دينية [١].

رابعا: العلمانية في الاخلاق

كانت من أكثر المجالات التي أثرت بها العلمانية هي الأخلاق ذلك أن الدين هو المنبع و المصدر الرئيس للأخلاق ، فإذا قطع هذا المنبع فلا بد أن يتبعه حتما تدمير تدريجي في الأخلاق ينتهى إلى اللا أخلاق ، ولقد كانت النهضة ، في البداية تعتقد وربما ، بحسن نية أن في بإمكانها أن تجد للأخلاق مصدرا آخر غير الدين من النفس الانسانية أو الطبيعة أو من أي شيء آخر ، والواقع أنهم كانوا هم أنفسهم لا يصدقون أن الناس يمكن أن تعيش بلا منظومة أخلاقية ، أو أنه سيأتي زمان عليها تكون فارغة من الأخلاق . فكانت المعضلة بالنسبة لهم هي محاولة إيجاد مصدر للأخلاق غير المسيحية والأديان حتى لا يحصل اعتراض من قبل المدافعين على الأخلاق ، وأزيلت من ميدان العلاقات الجنسية بصورة خاصة وهي أهم مجالات الأخلاق فقيل إن الجنس مسألة ، بيولوجية ، لا ربط لها بالأخلاق ! أي مسألة أنثى وذكر يحصل بينهما ما يحصل بين الأنثى و الذكر بلا حدود ولا أخلاق ولا قيود ولا تصعيد ، وظهرت الدعوة الى نسبية الأخلاق و أن ما نعتبره خيرًا أو شرًا، صوابًا أو خطأً، يتحدد بحسب المجتمع والثقافة والتاريخ، وليس وفق معايير الدين التي تكون مطلقة وثابتة. ويرى ديفيد هيوم [٢] أن الأخلاق لا تقوم على العقل المحض بل على العاطفة والشعور، ما يجعلها غير مطلقة بل مرتبطة بالانفعالات الإنسانية،

([١]) ينظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى : ٥٤ .

([٢]) ديفيد هيوم (١٧١١ – ١٧٧٩ م) هو فيلسوف اسكتلندي من أبرز أعلام التجريبية في الفلسفة الحديثة، وأحد مؤسسي الشكّية الحديثة ونظرية المعرفة الوضعية ، ومن أعماله كتاب في الطبيعة الإنسانية ، ينظر: تاريخ الفلسفة الحديث ، يوسف كرم : ١٨١ .

وكذلك نيتشه [١] الذي انتقد الأخلاق المسيحية التقليدية واعتبرها مجرد نتاج تاريخي وثقافي، وليست قيمًا مطلقة ثابتة [٢].

فالعلمانية تجعل القيم الدينية قيما سلبية، وتفتح المجال لانتشار الإلحاد والاغتراب، وإشاعة الفواحش والشذوذ والإباحية وشرب الكحول والممنوعات وإجهاض الأطفال والخيانة الزوجية والتعري وخلع الحجاب واللباس الديني المحتشم والفوضى الأخلاقية، ومحاربة الحدود الشرعية والاستهانة بالسنن [٣].

خامسا: العلمانية في النظم الاجتماعية

على الرغم من الظلم الذي عاشته أوروبا في ظل نظام الإقطاع ، إلا أن بعض الجوانب الاجتماعية فيه كانت تحكمها أعراف مأخوذة من وحي الدين ومن ذلك الحفاظ على الأسرة . وقوامة الرجل ، والزواج المبكر وقيامه بالإنفاق ، واستقرار المرأة في بيت زوجها وتفرغها لتربية الأطفال وتدبير أمور المنزل ، ومحافظتها على شرفها قبل الزواج وبعده ، واعتبار ذلك جزءا مهما من أركان الأسرة ، بالإضافة إلى التعاون بين أفراد الأسرة، ولكن ذلك كله لم يعجب العلمانيين فقرروا تبديله ، وإنشاء بديل عنه لا يقوم على أساس المسيحية و كان التبديل في المبدأ وهو تبديل المصدر، مع ترك شيء من الأخلاق ، أي البحث عن مصدر آخر للمبادئ الاجتماعية غير الدين فليكن هو المادة والطبيعة، أو يكن هو النفس البشرية ذاتها بعيدا عن الدين[٤].

([١]) فريدريك نيتشه (١٨٤٤ – ١٩٠٠ م) هو فيلسوف ألماني ولد في بلدة روكن ، و يُعدّ من أبرز فلاسفة القرن التاسع عشر وأكثرهم تأثيراً في الفكر الغربي الحديث. اشتهر بانتقاداته الجذرية للأخلاق السائدة، والدين المسيحي، والفلسفة التقليدية ، ينظر: هكذا تكلم زرادشت كتاب للكل ولا لأحد ، فريدريك نيتشه ، ترجمة فليكس فارس ، الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠١٤ م : ٢١ .

([٢]) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب: ٤٨٣ .

([٣]) ينظر: العلمانية حقيقتها وخطورتها ، لفضيلة الشيخ الدكتور أبي عبد المعز: ٢٣ – ٢٤ .

([٤]) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب: ٤٧٧ .

والنظم الاجتماعية يجب أن تؤخذ من البحوث والفلسفات في علم الاجتماع لا من تعاليم المسيحية ، بمعنى أن نظم الزواج والطلاق الدينية لا مكان لها في الحياة الحديثة ، ويجب تشريع مفاهيم جديدة لا ترتبط بنظام الأسرة القديم ، حيث يجب إضعاف سيطرة الأب على الأسرة وكذلك الدعوة إلى حرية الفرد المطلقة وحق المرأة في المساوة مع الرجل والخروج إلى العمل [١] .

وكان تركيز العلمانية على المرأة ، فبدأت بدعوة المرأة إلى التعري والإباحية وإن لها خياراتها الأخلاقية المطلقة دون قيود تحت شعار المناداة بـ (حرية المرأة) وحول هذا الشعار تجمع عدد من المدافعين عن التحرر. هذه الأفكار تدعو إلى إزالة المعتقدات الدينية المتحجرة واستبدالها بأفكار عصرية تنسجم مع تطورات الحياة الحديثة [٢] .

سادسا: العلمانية في التعليم

يعد النظام التعليمي من أخطر المجالات التي سيطرت عليها العلمانية ولاسيما إن الدولة هي المسؤولة عن وضع المناهج التعليمية لجميع المراحل التعليمية في المدارس والجامعات بمعزل عن الدين والكنيسة، ويستخدم العلمانيون نظام التعليم في غرس الأفكار العلمانية في عقول الطلبة والأطفال منذ الصغر حتى المراحل النهائية للدراسة لأعداد أجيال بعيدة عن الدين تؤمن بالفكر العلماني وتدافع عنه وتسعى إلى تطبيقه في مختلف المجالات والاختصاصات[٣].وتطبيق العلمنة في التعليم واضح فتدرس الفلسفات و النظريات الإلحادية مثل فلسفة كومت وغيرها، وإثارة الشبهات حوله، ونشر الرذائل في مختلف مراحل التعليم والدراسة،

([١]) ينظر : العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى : ٥٦ .

([٢]) ينظر : العلمانية في الإسلام ، انعام أحمد قدوح : ٧١ .

([٣]) ينظر : العلمانية وثمارها الخبيثة ، محمد شاكر الشريف ، دار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ، الرياض ، جمادى الأول ، ١٤١١ هـ: ٢٢ .

ومحاربة الفضيلة والحشمة في الأوساط التربوية والتعليمية إضافة إلى الاختلاط المحرم والتبرج[١].

سابعا: العلمانية في الفن

كان الفن في أوروبا في القرون الوسطى فنا دينيا بمعنى أنه موجه لخدمة المسيحية ، وكان يصور كل ما في العقيدة المسيحية من مظاهر وطقوس إذ كان كله موجها لتعظيم ، الرب والمسيح عيسى ابن مريم أو تعظيم عقيدة الثالوث الأب والابن وروح القدس ، مع السيدة مريم العذراء ومجموعة من القديسين سواء بالرسم أو النثر أو الشعر أو التصوير (التماثيل). والملاحظ أن الفن الأوربي في كل مراحله التاريخية كان مشغولا بالمعبود فحين كان المعبود في الحضارة الإغريقية مجموعة من الآلهة المتعددة توجه الفن إلى تلك الآلهة سواء في المسرحيات أو التماثيل أو الأساطير . وحين تحولت أوروبا إلى المسيحية صار اهتمام الفن بالإله و الكنيسة وفي أوروبا العلمانية الحديثة جعلت الطبيعة إلها وتحول الفن إلى الاله الجديد وتحديدا في الفترة الرومانسية صار المعبود هو الإنسان ، تحول الفن كله إلى دراسة الإنسان في جميع حالاته [٢] و "تشتت التوجهات الفنية في الفترة الأخيرة ولكنها استمرت بالهبوط إلى الإباحية"[٣].

" وكذلك أخذ الأدب الأوروبي يحل الإنسان شيئاً فشيئاً محل الإله، فالاهتمام بالإنسان الذي نبه إليه دانتي [٤] ومعاصروه كان المنطلق لمحاولة تأليه الإنسان وتصويره على أنه إله

---

(١) ينظر : العلمانية حقيقتها وخطورتها ، لفضيلة الشيخ الدكتور أبي عبد المعز: ٢٢ .

(٢) ينظر : مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب : ٤٨٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٨٧ .

(٤) دانتي أليغييري (١٢٦٥ – ١٣٢١) شاعر وفيلسوف إيطالي من فلورنسا، يُلقَّب بـ أبو اللغة الإيطالية، ويُعدّ من أعظم شعراء العصور الوسطى وأحد أبرز رموز الأدب العالمي ، ينظر:الكوميديا الإلهية (النشيد الأول) الجحيم ، دانتي أليجيري ، ترجمة حسن عثمان ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٤ : ٢٠ .

حقيقي وهي المحاولة التي بدأت في القرن التاسع عشر واكتملت على يد سارتر [١] وأشياعه في هذا القرن مروراً بتأليه الطبيعة الذي دعا إليه عصر التنوير، لقد كان دانتي كما وقف صديقه ومعاصره المصور الرسام جوتو [٢] على رأس حقبة جديدة في تطور الفكر البشري ولما كان كلاهما فناناً عظيما فإنهما عبرا صدق تعبير عن ذلك الشيء الجديد الذي ربما كان يجيش في صدور الكثير من معاصريهم ولكنهم لم يستطيعوا الإفصاح عنه كما أفصحا، وهو الإنسانية وهو الاهتمام بالحياة الدنيا " [٣] .

وظهر تيار في عصر النهضة يدعو إلى التمتع بملذات الحياة والشهوات الجسدية، والى تمجيد الحب ومن ذلك صدر مجموعة من الأغاني التي تدعو الكل إلى إشباع الشهوات والعواطف[٤].

وشملت مظاهر العلمانية في القرن الأخير في الفن الأفلام المخلة بالحياء والمجلات الجنسية والمسلسلات والسينما والأغاني والشعر، وقامت المتاحف في الدول العلمانية الغربية بعرض رسومات ولوحات فنية ،ومنحوتات لنساء عاريات، أو تصور جسد الرجل عاريا إضافة إلى الإساءة والسخرية والاستهزاء بالأديان والإساءة إلى الرهبان والراهبات، وتصويرهم بأوضاع

---

(١) سارتر(١٩٠٥ – ١٩٨٠) هو فيلسوف وكاتب فرنسي يُعدّ من أبرز ممثلي الوجودية في القرن العشرين، إلى جانب نشاطه الأدبي والسياسي. كان فيلسوفاً، روائياً، كاتب مسرحيات، ناقداً أدبياً، وناشطاً يسارياً ، ينظر:آراء فلسفية في أزمة العصر ، أدريني كوخ ، ترجمة محمود محمود ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٣ : ١٩٩ .

(٢) جوتّو دي بوندوني (١٢٦٧ – ١٣٣٧ م) هو رسام ومعماري إيطالي من فلورنسا، يُعَدّ رائد الفن الأوروبي في مطلع عصر النهضة، تميّز بإدخال الواقعية والتعبير الإنساني إلى اللوحات الدينية، ومن أشهر أعماله لوحة إيداع جسمان المسيح ، ينظر : العذراء والطفل كمثري إبداعي لفنانين عصر النهضة (دراسة مقارنة) ، مي شعبان محمود محمد ، المجلة العلمية للتربية النوعية والعلوم التطبيقية : ١٧١ – ١٧٢ .

(٣) العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر بن عبدالرحمن الحوالي : ٤٥٦ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٤٥٩ .

غير أخلاقية من خلال الأعمال الفنية، ووظفت هذه الأعمال لنشر وبث الأفكار العلمانية، ولا شك أن فرويد [١] له دور مهم في هذا الفن الفاحش، واكتسب هذا الاتجاه قوة في الوسط العام وزاد الإقبال على إنتاجه الهابط ووجدها المنحرفون فرصة لاستغلال مشاعر الناس بإثارة غرائزهم واللعب بعواطفهم ، ويبرز هنا اسم ديفيد هربرت لورانس [٢] تلميذ فرويد ، الذي كتب عدة قصص منها: أبناء وعشاق، و عشيق ليدي تشارلي* ، والأخيرة أثارت جدلا جدل في بريطانيا ، بسبب الفحش الشديد في تصوير العلاقات الجنسية وقد منعت عدة مرات إلى أن سمح بعرضها في ستينات القرن الماضي [٣].

ثامنا: العلمانية في العلم

لقد اقتصرت الكنيسة في تلك الحقبة على دراسة اللاهوت والناسوت، ولم تُولِ اهتمامًا بتحسين شؤون الناس أو الارتقاء بواقعهم، بل كانت تدعوهم إلى الانصراف عن الدنيا والتركيز على الآخرة. ومن هذا الانغلاق نشأ الصراع بين العلم والدين، إذ واجهت الكنيسة العلماء بالرفض والتهديد، بل وصلت إلى حد العقاب القاسي. وكان موقفها هذا خطأ واضحًا، إذ وقفت في وجه أبحاث علمية بحتة قد يخطئ العلماء فيها أو يصيبون، لكنها تبقى ضمن نطاق المعرفة التي لا يحظرها الدين في أصله، وقد أسهمت هذه السياسات في ترسيخ روح العداء بين العلم والدين،

---

(١) سيغموند فرويد (١٨٥٩ – ١٩٣٩) هو طبيب أعصاب نمساوي، يُعدّ مؤسس التحليل النفسي وأحد أبرز المفكرين في القرن العشرين. أثّر على الفلسفة وعلم النفس والأدب والفن ، نقد الدين عند سيغموند فرويد ، تونسي زكية ، جامعة فصدي مرباح ورقلة ، ٢٠٢٤ م : ٨ .

(٢) هربرت لورانس (١٨٨٥ – ١٩٣٠) هو كاتب وشاعر إنكليزي بارز في أوائل القرن العشرين، ولد في ايستوود ، عُرف برواياته الجريئة التي تناولت قضايا الطبقة الاجتماعية، والجنس، والعلاقات الإنسانية، يُعدّ واحدًا من أكثر الأدباء إثارة للجدل في الأدب الإنجليزي الحديث ، نساء عاشقات ، د. هـ . لورانس ، ترجمة أمجد حسين ، دار المدى للثقافة والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ م : ٦٠٥ .

* شخصية خيالية .

(٣) ينظر : مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب : ٤٩٣ .

حتى أصبح كل بحث يتضمن حقائق علمية يُنظر إليه بارتياب، ويُرفض بدافع الخوف أو الجهل، رغم سلامة نتائجه وفق المعايير العلمية [١] .

ولم يعد العلم معنيًا بالبحث في وجود الله أو إثبات العقائد الدينية، وجاءت العلمانية لتوفّر له إطارًا ينسجم مع اهتمامها بالعالم المادي دون الالتفات إلى الآخرة ، فمنحت العلماء حرية واسعة، وفتحت المجال أمام البحث العلمي ليتركّز على حل مشكلات الإنسان وتسهيل حياته وتحقيق الرفاه والسعادة عبر الاكتشافات والاختراعات. ومع هذا التحوّل، أصبح اهتمام الإنسان موجَّهًا نحو العلوم الدنيوية البحتة، فازدهرت الجامعات ومراكز الأبحاث، وتزايد تبادل الخبرات والمعارف، مما أسهم في حدوث تطور علمي كبير [٢] .

تاسعا: العلمانية في القانون

تشرع القوانين اللازمة لإدارة الحياة المدنية والدستورية والجنائية من قبل برلمان منتخب من الشعب، وهذه القوانين وضعية من صنع الإنسان لا علاقة لها بالدين ولا تستمد منه سواء وافقت هذه القوانين الشريعة المسيحية أو اليهودية أو الإسلامية أم خالفتها وحتى مسائل الزواج والميراث يجب أن تكون بالمساواة بين الرجل والمرأة، والطلاق بيد القاضي يجب أن يتم في المحاكم المدنية العلمانية ولا يعاقب القانون العلماني على الفساد والرذيلة سواء الزنا أو شرب الخمر وغيرها[٣].

عاشرا: العلمانية في المواطنة

الوطن القومي هو مقياس المواطنة في الدولة العلمانية بصرف النظر عن الدين ،ويجب إبعاد مفهوم الأمة المسيحية و الوحدة الإسلامية أو الأمة الإسلامية لقيامها على أسس دينية،

([١]) ينظر : مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب : ٤٧٩ .

([٢]) ينظر : المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم ، د. غالب بن علي عواجي ، المكتبة العصرية الذهبية ، الطبعة الأولى ، جدة ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م : ١ .

([٣]) ينظر : العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى : ٥٦ .

وهو ما لا تقبله العلمانية وترفضه. لأن أساس الانتماء هو الوطن، والدين مسألة شخصية بين الفرد وربه [١] .ولذلك عملوا على إذابة الفوارق بين الدين ومختلف التوجهات ، فلا فرق بين أن يكون الفرد متديناً أو غير متدين ، مسلماً أو مسيحيا أو ملحدا ، وابتكروا رباطاً يشمل جميع فئات الشعب ودياناتهم المختلفة ، وهو رباط الوطنية والقومية الذي أحلوه محل الدين [٢] .

الحادي عشر : العلمانية في الإعلام

للإعلام الحرية الكاملة في مجال عمله ولا خطوط حمراء له، سواء تعرض للأديان أو المقدسات أو الرموز الدينية. ولا مشكلة في إجراء مقابلة مع العاهرات والشواذ والثناء بهم، وعقد برامج حوارية معهم، واعطائهم الفرصة للتعبير عن أفكارهم وآرائهم، ولا مشكلة في عرض المشاهد المخلة بالحياء ، فالاشمئزاز من هذه المناظر إنما هو من منابع الفكر الديني، أما في الفكر العلماني فذلك إبداع فني وممارسة للحرية الشخصية لا صلة له بالدين. ولا ضير من إظهار الساقطين والمنحرفين خلقيا كرموز وقدوة وقادة للمجتمع ولا مشكلة كذلك من نقد الأحكام الفقهية ، بل نقد الكتب السماوية والأنبياء، وربما السخرية بهم، لأن كل هذا يمثل الحرية الشخصية، والدين مكانه دور العبادة، وحرية التعبير متاحة للجميع [٣] .

الثاني عشر: العلمانية في الرياضة

ترى العلمانية أنه يجب إبعاد وتحييد الدين من تقييد حرية الرياضيين أو تعكير صفاء ذهنهم ، كالكلام عن الحشمة والعري والرذيلة والفضيلة ، فكل هذه تعاليم دينية لا علاقة لها في مجال

([١]) ينظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى : ٥٥ .

([٢]) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم ، د. غالب بن علي: ٧٣١ .

([٣]) ينظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى : ٥٦ – ٥٧ .

الرياضة، فلا يوجد مشكلة على الفتاة في السباحة، أو لاعبة التنس أو ألعاب الجمباز من لبس ملابس ضيقة أو قصيرة ، فالعورة وأحكام سترها من مخلفات سيطرة الدين على الناس [١] .

(١) ينظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى ٥٧ .

المبحث الثالث: أنواع العلمانية ومراحل تطورها

تطورت العلمانية عبر مراحل تاريخية متعددة، انتقلت خلالها من مفهوم يهدف إلى تحرير الدولة من سلطة الكنيسة إلى رؤية أوسع تنظّم علاقة الدين بالمجتمع والفرد. وتنوعت أشكالها بين علمانية معتدلة ، وعلمانية متطرفة .

المطلب الأول: العلمانية المعتدلة

تمثل هذه العلمانية المرحلة الأولى والنوع الأول من أنواع العلمانية و لها تسميات مختلفة منها الليبرالية والمرنة وغير الملحدة، حيث اعتبر الدين شأنا خاصا برجال الكنيسة، يقوم هذا النوع على الثنائية الغيبية الله والقيصر وعلى الحرية الدينية، ولا يدعم أي دين مقابل أخر، وأما الدولة فانحصرت واجباتها في هذه المرحلة في جباية الضرائب ، و حماية الكنيسة بصورة خاصة، إضافة لنشر العقيدة العلمانية في أوساط الشعب، مع احترام كافة الأديان ، إلا أنها أخضعت جميع المفاهيم الخاصة بالمسيحية للعقل والطبيعة . ومن فلاسفة هذه المرحلة الفيلسوف الفرنسي فولتير [١] وهو من الناقدين للسلطة الدينية ورجال الدين وقد بالغ في تقديس العقل وتعظيمه، واتخذ امرأة جميلة من نساء باريس رمزاً أطلق عليها اسم آلهة العقل، وسميت الفترة التي عاش فيها عصر التنوير العقلي و ما زال يُذكر كرمز للتنوير والعقلانية والنقد الجريء للسلطة الدينية والسياسية ، وبرز الفيلسوف جون لوك في بريطانيا الذي اعتبر أن الدولة العلمانية خرجت من وصاية وتحكم رجال الكنيسة، وهي ترى أن الدين أمر خاص وشخصي للفرد، ونادى بالحرية الدينية وأنها مكفولة للأفراد طالما أنها لا تهدد الدولة العلمانية [٢] .

([١]) هو الاسم الأدبي للفيلسوف والكاتب الفرنسي فرانسوا–ماري أرويه (١٦٩٤ – ١٧٧٨) ولد في باريس ، و يُعد أحد أبرز مفكري عصر التنوير في أوروبا، واشتهر بأسلوبه الساخر وجرأته في نقد السلطات الدينية والسياسية. ينظر : كنديد فولتري ، ترجمة عادل زعيت ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٨ م : ٩ .

([٢]) ينظر: العلمانية في الإسلام ، انعام أحمد : ٣٥ .

وهذه المرتبة التي أعطاها جون لوك للدولة أضاف عليها الفيلسوف الإنكليزي توماس هوبز فاعتبر أن العقل هو المصدر الوحيد للدين والقانون والأخلاق، ولذلك منح الدولة سلطة عليا تخوّلها الفصل في القضايا الدينية حين تتعارض مع نفوذها. وبناءً على هذا المبدأ، يرى هوبز ضرورة منع أي مفهوم ديني يتصادم مع سلطة الدولة. ومن هنا جاء موقفه المعارض لهيمنة الكنيسة، بدعوى حماية سيادة الدولة وتعزيز قوتها [١] .

ومن فلاسفة هذه المرحلة أيضا الفيلسوف الفرنسي روسو [٢] وهو يرى ضرورة تقديم حرية الإنسان وسعادته على سيادة الطبقة الحاكمة ويتم بالرجوع إلى الطبيعة الأولى وهو توحد الناس بالحرية والمساوة بالتالي فهو يختلف عن هوبز في سبب المطالبة بعزل الدين عن الدولة فهو يرى سيادة الشعب على سلطة الدولة المطلقة [٣] .

وفي هذه المرحلة برزت دوافع الفصل بين الدولة والكنيسة أو الدين ومنها : –

أولا: الحرص على السيادة المطلقة للدولة ، في مواجهة رجال الدين ، ونفوذهم وتعاليمهم في القرون الوسطى على الناس كما صرح هوبز .

ثانيا: اتهام الفلاسفة المسيحية بمخالفة تعاليمها للمنطق والعقل كعقيدة الثالوث ، وعقيدة الطبيعة الإنسانية و الإلهية للمسيح .

---

(١) ينظر : العلمانية في الإسلام، أنعام أحمد : ٣٥

(٢) وهو أحد أهم فلاسفة التنوير في أوروبا في القرن الثامن عشر ، ولد في جنيف ، كان فيلسوفًا، وكاتبًا، ومؤلفًا اجتماعيًا وسياسيًا ترك تأثيرًا واسعًا على الفكر الغربي الحديث، خاصة في قضايا التربية والسياسة والاجتماع ، ينظر : العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ترجمة عادل زعيت، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠١٠ م: ٩ .

(٣) ينظر : الإسلام والعلمانية، محمد السعيد الأودن دار البشير للثقافة والعلوم الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م : ٢٤ – ٢٥ .

ثالثا: النظرة إلى الدين على أنه ضد الطبيعة في التربية كما في نظرة روسو إليه بناءً على مفهوم لاهوتي مسيحي يعرف بالخطيئة الموروثة.

رابعاً: اعتبار الدولة أمراً متطوراً، وليس كيانا جامدا [1] .

خامساً: تتيح الدولة الدينية لرجال الدين السيطرة على مختلف مؤسساتها ، و يعني أن هذه الجماعة تدعي لنفسها حقوقاً خاصة على سائر الشعب وكذلك ممارسة النفوذ السياسي .

سادساً: الدولة الدينية قوانينها ثابتة وجامدة ، ولا تتمتع بالقدرة على التطور؛ لأن تعاليم الدين مادة غير قابلة للتغيير، لأنها مبنية على أساس الحقيقة النهائية المطلقة .

سابعاً: من النادر جداً وجود دولة ينتسب جميع شعبها إلى دين أو مذهب واحد، و الدولة الدينية قد لا تحقق العدالة و المساواة بين جميع مواطنيها .

ثامناً: الدولة الدينية تقف في وجه الفكر وحركته الإبداعية، لأن قيادتها العليا تدعي الحقيقة المطلقة في تفسيرها للكون والإنسان والحياة والتاريخ ، وربما يتعرض المفكرون والعلماء للقمع والاضطهاد [2] .

والعلمانية غير الملحدة هي علمانية لا تنفي وجود الله، وتؤمن به إيمانا نظريا لكنها تنكر تدخل الدين في شؤون الدولة والحياة ، وتنادي بفصل الدولة عن الدين، وهذه العلمانية أشد خطراً من العلمانية المتطرفة من حيث الخداع والتلبيس لاسيما على الشعوب الإسلامية فعدم نفيها لوجود الله، وعدم تبنيها محاربة الدين يغطي على أكثر الناس حقيقة هذه الدعوة المنحرفة ، فلا يتبينون ما فيها من الكفر بسبب الجهل وقلة معرفتهم الصحيحة بالدين، ولذلك تجد أكثر الحكومات اليوم في الدول الإسلامية أنظمة علمانية، والكثير من الشعوب الإسلامية هي لا يعلمون حقيقة ذلك، ومثل هذه الحكومات العلمانية اليوم، تحارب الدين حقيقة، وتحارب من يدعو

([1]) ينظر : الإسلام والعلمانية، محمد السعيد الأودن : ٢٥ – ٢٦ .

([2]) ينظر : العلمانية في الإسلام، أنعام أحمد : ٣٧ – ٣٨ .

إلى العودة إلى الدين ، وهي في أمان أن يتهمها أحد بالكفر ؛ لأنها لم تظهر بالصورة الثانية وهي العلمانية المتطرفة [١] .

وتصنف من الدول العلمانية المعتدلة كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا والدول الأوروبية الغربية [٢] وكذلك كل من "كندا و استراليا واليابان وكوريا الجنوبية" [٣] "والهند" [٤] ويدخل في هذا التصنيف أغلب الدول العربية والإسلامية مثل مصر والعراق وسوريا والأردن ولبنان وبلدان الخليج وبلدان المغرب العربي [٥] .

وتعتبر علمانية الولايات المتحدة هي نموذج يضمن حرية الدين، وهو فريد من نوعه بين الأنظمة العلمانية في العالم. فهي تختلف عن النموذج الفرنسي والتركي المتشدد.

وفيما يلي توضيح شامل لأهم ملامح العلمانية الأمريكية : –

١– وجود عبارة (نحن نثق بالرب) على العملة الرسمية [٦] .

٢ – يسمح في الولايات المتحدة للطلاب بالصلاة وتلاوة الشعائر التي يرد فيها ذكر الله في

([١]) ينظر: العلمانية ونقضها لأصل الدين ، إبراهيم بن الحاج خليف : ٢٧

([٢]) ينظر: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس) د. يوسف القرضاوي : ١٦ .

([٣]) هل الولايات المتحدة دولة علمانية ، رشيد السراي : ١٨ .

([٤]) السياسة الدينية والدولة العلمانية مصر والهند والولايات المتحدة الامريكية ، سكوت هيبارد ، ترجمة الأمير سامح كريم ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠١٤ م : ١٦٠ ، الإسلام وعلمانية الدولة ، عبدالله أحمد نعيم ، دار ميريت ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ٢٠١٠ : ١٩٥ .

([٥]) ينظر : العلمانية أم الشريعة الإسلامية أيهما السبب في تخلفنا ، للكاتبة مريم الأصبحي ، مراجعة لغوية أمال هلال : ١٢٥ .

([٦]) ينظر : الاختيار العلماني وأسطورة النموذج ، سعيد ناشيد ، دار الطليعة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠ : ٤٨ .

المدارس الحكومية بالإضافة إلى الحرية التي يتمتع بها الطلاب في إظهار رموزهم الدينية [١].

٣ – الحكومة الأمريكية لا تمول الكنائس أو المساجد أو المعابد ولا تتدخل في عملها ولا في تعيين القساوسة حيث تتمتع الكنائس بالاستقلال التام .

٤ – منذ عام ١٨٩٢، يتلى تعهد الولاء في بعض الجلسات العامة والحكومية بوصفه قسم ولاء للولايات المتحدة وعلمها الوطني. أما في الوقت الحاضر فيقرأ التعهد في المدارس الأمريكية في صورة إحدى الممارسات الصباحية اليومية ويتم ترديد القسم في حال الوقوف ووضع اليد اليمنى على القلب [٢] ، و"يأخذ القسم الشكل الرسمي الآتي: أتعهد بولائي لعلم الولايات المتحدة الأمريكية، وللجمهورية التي يرمز إليها، أمة واحدة في رعاية الله، غير قابلة للتقسيم مع الحرية والعدالة للجميع" [٣] .

٥ – صدرت التوجيهات الفدرالية حول الحرية الدينية في أماكن العمل وتضمنت جملة من التعليمات وكان من أبرزها ما يأتي [٤] : "يجب السماح للموظف بارتداء أي زي أو استخدام أي شعار ديني، مثل الصليب أو الطاقية اليهودية أو غطاء الرأس أو الحجاب، ولا سيما إذا كان ارتداء مثل هذه الملابس خلال يوم العمل هو جزء من ممارسة الموظف لشعائر دينه أو جزء من حرية التعبير الديني، طالما أن ارتداء هذا الزي لا يتعارض مع الوضع الوظيفي لمكان العمل" [٥] .

([١]) ينظر : الاختيار العلماني وأسطورة النموذج ، سعيد ناشيد : ٤٨ .

([٢]) ينظر : العلمانية وسياسات الدولة تجاه الدين الولايات المتحدة ، فرنسا ، تركيا ، أحمد كورو ، ترجمة ندى السيد ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠١٢ : ٨٣

([٣]) المصدر نفسه : ٨٣ .

([٤]) ينظر: المصدر نفسه : ٨٩ .

([٥]) المصدر نفسه : ٨٩ .

وعليه يمكن القول أن إعفاء الطلاب من تطبيق قواعد الزي المدرسي المعمول بها بوجه عام في مدارس الولايات المتحدة إيماناً بمعتقداتهم الدينية، فلا يمكن للمدارس حظر الملابس الخاصة بدين بعينه أو الملابس الدينية عموماً في مناطق الولايات المتحدة كافة[١] .

٦ – يؤدي الرئيس الامريكي اليمين الدستوري بوضع اليد على نسخة من الإنجيل، وكذلك أعضاء الكونغرس وسبق وقد سمح لعضو الكونغرس المسلم كيث إليسون [٢] القسم على نسخة من القرآن الكريم وهناك أمور أخرى كتعيين القساوسة في الوظائف الحكومية، واليوم الوطني للصلاة ، وصلاة التطوع في وجبات الطعام للجيش الأمريكي ، واجتماعات صلاة التطوع في وزارة العدل خارج ساعات العمل، وامتيازات وقوف السيارات الخاصة بالكنائس، وإدراج اختياري لقسم ديني لوكلاء مكتب التحقيقات الفيدرالية(FBI) ، وإعفاء ممتلكات الكنائس من الضرائب فضلاً عن العطل الدينية مثل أعياد الميلاد وغيرها [٣].

(١) ينظر: العلمانية وسياسات الدولة تجاه الدين الولايات المتحدة ، فرنسا ، تركيا ، أحمد كورو: ٨٩ .

(٢) كيث إليسون هو سياسي ومحامٍ أمريكي، يُعرف بكونه أول مسلم يُنتخب لعضوية الكونغرس الأمريكي، وينتمي إلى الحزب الديمقراطي ، ينظر : مسلمو الحزب الديمقراطي الأمريكي كيث إليسون إنموذجا أ.د. نغم طالب عبد الله جامعة بغداد كلية التربية بن رشد المجلة السياسية الدولية العدد (٦١) ٢٠٢٤ م : ٣١ .

(٣) ينظر: هل الولايات المتحدة دولة علمانية ، رشيد السراي : ٣٠ .

المطلب الثاني: العلمانية المتطرفة

وهي مرحلة متطورة من العلمانية وتمثل النوع الثاني ولها تسميات مختلفة منها الملحدة والصلبة والماركسية[١] وتقوم على المادية أو ما يسمى بالثورة العلمانية ومحاربة الدين . فما أن أطل القرن التاسع عشر حتى ظهر على الساحة الأوروبية فكر علماني جديد متطرف ، برز في الفكر الماركسي الذي جاء في قوالب مادية جدلية ، حيث نلمح مرحلة الانتقال من دين أرضي جاف بعيد عن المادية، إلى المادية المتطرفة، وهي علمانية تخلع الإله المسيحي من عرشه ، وتسقط الثنائية الغيبية الله والقيصر والعالم المشاهد [٢] .

"وقد عرفت هذه المرحلة من مرحلتي التطور العلماني بـ العلمانية الثورية ذلك لأنها شهدت أبرز ثورتين عرفتها البشرية وهما : الثورة الفرنسية والثورة الروسية وكان شعار الأولى : اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس، في حين كان شعار الثانية : الدين أفيون الشعوب" [٣]

وكانت علمانية كارل ماركس [٤] تهدف إلى تدمير الدين كبداية ضرورية لقيام عالم جديد يكون فيه الفرد سيد نفسه وتنتهي سيادة الفرد إلى سيادة الدولة والمجتمع ووضعها بالنسبة للناس

---

(١) "الماركسية مدرسة من مدارس التاريخ، التي تعتمد في تفسيرها للظواهر التاريخية على النظرة المادية، وقد ظهر هذا الفكر على يد كارل ماركس الذي اقترن اسمه بالتعليل الاقتصادي، والذي كان يرى أن مجمل الثورات التي عرفها العالم حدثت بسبب مجموعة من التغيرات التي طرأت على نظام الإنتاج، مثلما يرى أن المضطهدون والمضطهدين كانوا على الدوام في مواجهة تنتهي غالبا بثورات" ، المدرسة الماركسية وتفسيرها للظاهرة التاريخية ، أحمد زاوي ، رشيد مياد ، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، ٢٠٢٢ م : ١

(٢) ينظر : العلمانية في الإسلام، أنعام أحمد : ٣٩

(٣) المصدر نفسه : ٣٩ .

(٤) كارل ماركس (١٨١٨–١٨٨٣) هو فيلسوف واقتصادي ألماني ولد في ترير بروسيا ، وضع أسس النظرية الماركسية، وانتقد الرأسمالية، ودعا إلى الثورة العمالية وبناء مجتمع شيوعي لا طبقي ، ينظر: كارل ماركس سيرة مختصرة وعرض للماركسية ، فلادمير لينين ، دار الصمد ، تونس : ٣ .

، هو وضع الخالق المعبود من البشر المخلوقين وكذلك علمانية لينين [١] تهدف إلى الماركسية اللينينية [٢] كدين جديد بدلاً من المسيحية ويعمل هذا الدين في خدمة سيطرة الحزب ويحل هذا الحزب محل عبادة الله والدين [٣] .

ويمثل هذا النموذج كل من فرنسا وتركيا وتونس وهي الدولة العربية الوحيدة التي تمثل العلمانية المتطرفة[٤] وإضافة إلى الاتحاد السوفيتي سابقا والصين وكوريا الشمالية و كوبا والمكسيك[٥].

سنتناول نموذجين من نماذج العلمانية المتطرفة بشكلٍ مفصل، والتي حاربت الحرية الدينية :-

أولا: النموذج الفرنسي

تعتبر فرنسا نموذج العلمانية المتشددة و المتطرفة ، و هي نتاج تحول تدريجي من ضمان حياد الدولة إلى تقييد حرية الأفراد، حتى في سلوكهم الشخصي. لقد نتجت عنها قوانين حازمة ، وأثار نقاش حول حدود حرية الدين ، وسعي الدولة للحفاظ على الهوية العلمانية من جهة أخرى وقد تعرض هذا النموذج للانتقاد باعتباره تطرفا ضد الدين .

وفيما يلي توضيح شامل لأهم ملامح العلمانية الفرنسية : -

١- منع تدريس المواد الدينية في المدارس والجامعات الحكومية الفرنسية .

---

(١) لينين هو قائد شيوعي روسي، قاد الثورة البلشفية عام ١٩١٧ وأسّس أول دولة اشتراكية في العالم، وشغل منصب رئيس الحكومة السوفيتية من ١٩١٧ حتى وفاته عام ١٩٢٤ ، ينظر : مذكرات لينين عن الحروب الأوروبية ماضيها وحاضرها ، فلاديمري لينني ، ترجمة أحمد رفعت ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٧ م : ٩.

(٢) هي نظرية فكرية سياسية تنسب إلى لينين لأنه هو من قام بتطبيقها عمليا وهي تطوير لأفكار كارل ماركس وانجلز ، ينظر: الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري ، منير شفيق ، دار الطليعة ، بيروت : ١٨

(٣) ينظر: الإسلام والعلمانية، محمد السعيد الأودن : ٢٩ .

(٤) ينظر: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس)، د. يوسف القرضاوي: ١٢٢ .

(٥) ينظر: العلمانية وسياسات الدولة تجاه الدين الولايات المتحدة ، فرنسا ، تركيا ، أحمد كورو : ٢٧ .

٢- صدر في يوم ١٥ أيار/ مايو ٢٠٠٤ ، قانون حظر الرموز الدينية في مدارس الجمهورية الفرنسية والذي ساوى في منعه للرموز الدينية ،ولم يعط أي استثناء أو تمييز بين رموز كافة الديانات أو المذاهب وشمل ارتداء الصلبان المسيحية الكبيرة وعمامات السيخ والقلنسوة اليهودية[١].

٣- صدرت في فرنسا العديد من القوانين من أجل علمنة التعليم خلال حقبة الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، و حلّ الفكر العلماني محل الهيمنة المسيحية في مدارس الجمهورية . منذ ذلك الحين لم يعد هناك وجود لأي تعهد طلابي يتضمن ذكر الرب ولم يعد مسموحاً بأداء الصلاة المنظمة [٢] ،وقد "ورد في توجيهات وزارة التعليم الفرنسية في إطار قانون تعميم التعليم الصادر يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٨٢ ما يلي : يجب ألا نذكر للطفل البالغ من العمر سبع سنوات شيئا عن الله، ليشعر هذا الطفل من تلقاء نفسه على امتداد الساعات الست التي يتلقاها يوميا أن الله غير موجود أصلا، أو أننا في أحسن الأحوال لم نعد بحاجة إليه" [٣] .

٥- بعد الثورة الفرنسية وصدور الدستور الجديد، وجدت الكنيسة نفسها خاضعة لهيمنة الحكومة والشعب من عدة جوانب، خصوصًا بعد أن لم تعد المسيحية الدين الرسمي للدولة. وقد ترتّب على ذلك خسارة الكنيسة لكثير من امتيازاتها؛ فتمّ طرد عدد كبير من رجال الدين والراهبات، وأُعدم بعضهم، كما أصبحت رواتب رجال الكنيسة تحدَّد من قبل الشعب. وأصبح تعيين الأساقفة والكهنة يتمّ عن طريق الهيئات الانتخابية في المديريات، مع إلزامهم بأداء قسم الولاء للحكومة الفرنسية بدلاً من الولاء للبابا. وإضافة إلى ذلك، صادرت الدولة ممتلكات الكنيسة[٤].

([١]) ينظر : الاختيار العلماني وأسطورة النموذج سعيد ناشيد : ١٠٧ .

([٢]) ينظر : العلمانية وسياسات الدولة تجاه الدين الولايات المتحدة ، فرنسا ، تركيا ، أحمد كورو : ١٦٨ – ١٧٢ .

([٣]) العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى : ٥٩ – ٦٠ .

([٤]) ينظر: العلمانية ، غي هارشير ، ترجمة رشا الصباغ ، تدقيق د. جمال شحيد ، دار المدى للثقافة والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ : ١٤

٦ – لم تعد فرنسا تعترف بأي دين رسمي، وأصبحت الكنائس تُعامل بوصفها مؤسسات خاصة. ورغم بقاء حرية العبادة مكفولة، فإن المظاهر والشعائر الدينية العلنية التي تُعد أساسية في المذهب الكاثوليكي خضعت لعملية علمنة واضحة.

٧– وظيفة تنظيم قرع الأجراس انيطت إلى رؤساء البلديات المحلية و كذلك شرطة المقابر ، ومنع وضع شعارات وإشارات دينية على المباني العامة [١] .

٨– بالنسبة للمسلمين فقد أصدرت الحكومة الفرنسية قانون سنة ٢٠٠٤ م يمنع الحجاب في المدارس والجامعات والمعاهد وكذلك قانون سنة ٢٠١٠ م الذي يحظر النقاب في الأماكن العامة[٢] .

ثانيا : النموذج السوفيتي

كانت العلمانية المتطرفة في الاتحاد السوفيتي ذات سياسة ممنهجة اتبعتها الدولة السوفيتية منذ تأسيسها عام ١٩١٧ م وحتى انهيارها عام ١٩٩١م، وقد ارتكزت على الإلحاد الرسمي للدولة وعلى أيديولوجية الماركسية اللينينية التي ترى الدين أداة لتخدير الشعوب وهي تقوم على محاربة الدين وهو ما أكدته وثيقة من عهد لينين تنصح أولهما القضاء على الإسلام والمسيحية (شعارهم الدين أفيون الشعوب) باستثناء اليهود باعتبارهم أقلية مضطهدة وما أكده واقع الاضطهاد للمسيحيين والمسلمين في الاتحاد السوفيتي . والتعرض حتى لحرية شعائرهم وإغلاق الكثير من المساجد والكنائس . وما أكده اضطهاد المسلمين في البلدان الإسلامية الواقعة تحت سيطرتهم [٣] حيث اعتدوا على حرمة دينهم ومقدساتهم ، فكانوا يهدمون المساجد ويحولونها إلى مراكز للحزب

([١]) ينظر: العلمانية ، غي هارشير ، ترجمة رشا الصباغ ، تدقيق د. جمال شحيد ، دار المدى للثقافة والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ : ١٤ – ١٨ – ٢٤ .

([٢]) ينظر: مدى مشروعية حظر إرتداء الحجاب والنقاب في فرنسا ، هبة بوكر الدين ، جامعة باجي مختار– عنابة ، عدد ٣٨ ، ٢٠١٤ م : ٢١٣ .

([٣]) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة : ١٦٩ .

الشيوعي و دورا للترفيه ، ويمنعون إظهار الشعائر الإسلامية ، وأما اقتناء القران الكريم فهو جريمة يعاقب عليها المسلم بالسجن لمدة سنة [١] .

وظهر في أحد الوثائق الخاصة بأرشيف الاتحاد السوفيتي الوسائل المتبعة لمحاربة الإسلام جاء فيها ما يأتي :-

١- مهادنة الإسلام حتى يتم الانتصار عليه .

٢- تدريس الإلحاد في المدارس الحكومية وتشجيع الكُتَّاب الملحدين .

٣- تدمير القيم الروحية والدينية والضمير الديني .

٤- بث الإشاعات السيئة لتشويه سمعة رجال الدين .

٥- محاربة الحركات الإسلامية وعدم السماح بأي نشاط لها في الدولة .

٦- محاصرة وتضييق الخناق على الدين في جميع الاتجاهات .

٧- قطع الصلات الدينية لاسيما مع الشعوب الإسلامية.

٨- تفسير النصوص الدينية تفسيرا تاريخيا ماديا [٢] .

وفي عهد ستالين [٣] استخدم أقسى أساليب الاضطهاد ضد المتدينين والهيئات الدينية وألغيت كافة الاحتفالات الدينية ومنع رجال الدين من الأعمال ، وحُرموا من البطاقات التموينية

([١]) ينظر : السبل بحث مختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة الماسونية – العلمانية – الاشتراكية – الرأسمالية ، معاذ بن محمد الزغبي : ٤٨ .

([٢]) ينظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة : ١٧٢ – ١٧٣ .

([٣]) ستالين هو زعيم شيوعي حكم الاتحاد السوفيتي من ١٩٢٤ حتى وفاته عام ١٩٥٣، ويُعرف بسياساته الاستبدادية، وتصفياته السياسية الواسعة، وتحويله البلاد إلى دولة صناعية قوية . ينظر : ستالين ، فرج جبران ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٦ م : ٨ .

، وحرم أولادهم من التسجيل بالمدارس أو أخذوا بعيداً عنهم إلى الملاجئ وخلال الفترة من سنة ١٩٢٩م وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية أعدم آلاف من رجال الدين ، وأرسل الآلاف إلى المعسكرات ، وتحولت الكنائس إلى مدارس أو مسارح أو مخازن [١] .

" وفي سبتمبر ١٩٣٢م نشرت جريدة الحارس الروسية أنه بناء على خطة السنوات الإلحادية سوف تنتهي الكنائس في مدة خمس سنوات ، ويُمحق الدين من الوجود ، ويصمت للأبد صوت الله وفي سنة ١٩٣٧م فقط تم إغلاق ١١٠٠ كنيسة أرثوذكسية ، و ٢٤٠ كنيسة كاثوليكية ، و ٦١ كنيسة بروتستانتية ، و ١١٠ مسجد ، واعتبر المسلمون أيضاً عديمي الولاء للدولة ، وصارت الشيوعية ديناً " [٢] .

وفي النهاية يمكن القول أن كلا من النموذجين يمثل خطرا على الدين، وقد يكون النموذج الأول متميز بطابع الحياد تجاه الدين من حيث كونه يعمل على تحييد الدين بشكل غير مباشر وكذلك يحترم الأديان ويسمح بالمظاهر الدينية عكس النموذج الثاني الذي يحارب الدين بشكل مباشر ولا يسمح بظهوره في الفضاء العام .

([١]) ينظر : رحلة إلى قلب الإلحاد، حلمي القمص يعقوب : ١ / ١٠٩ .

([٢]) المصدر نفسه : ١ / ١٠٩ .

المبحث الرابع: علاقة العلمانية بالمذاهب الفكرية

تتشابك المفاهيم الفكرية الكبرى في العصر الحديث بطريقة تجعل فهم أحدها مرهونًا باستيعاب الآخر؛ فالعَلمانية بما تحمله من فصل للدين عن مجالات الحياة العامة ترتبط بعمليات العَلمنة التي تُعبّر عن التحولات الاجتماعية والثقافية العميقة. وهذه التحولات نفسها تنبثق من إطار أوسع هو مشروع الحداثة الذي سعى إلى إعادة صياغة العقل والمجتمع على أسس جديدة. ومع صعود العولمة اتسعت دائرة انتشار هذه الأفكار عبر انتقال النماذج الثقافية والسياسية والاقتصادية بين المجتمعات. وفي خضم هذا المشهد ظهرت تصورات مختلفة عن الماسونية ودورها في تشكيل بعض مسارات الفكر الحديث، سواء عبر النفوذ الثقافي أو الرمزي المنسوب إليها، مما جعل العلاقة بين هذه المفاهيم محل نقاش واسع في الفكر المعاصر.

المطلب الأول: العلمانية والعلمنة

لا تتوقف العلمنة عند حدود السياسة والمجتمع، بل تمتد بالضرورة إلى المجال الثقافي، إذ تعني تراجع الدور الذي يؤديه الدين في صياغة منظومة الرموز والمعايير التي تمنح المجتمع وحدته وهويته الثقافية [1] . وتقوم العلمنة على افتراض وجود مسار تاريخي يكاد يكون حتمياً، تتخلص من خلاله البنية الاجتماعية والثقافية من هيمنة التفسيرات الدينية والأنساق الميتافيزيقية المغلقة. ويُنظر إليها بوصفها عملية تحررية تُفضي في نهايتها إلى الاعتراف بالنسبية التاريخية للقيم والمعايير. ومن هذا المنطلق، يصبح التاريخ – في الرؤية العلمانية – حركة مستمرة تتجسد فيها عملية العلمنة. وترتكز العلمنة على عناصر أساسية، من أبرزها: زوال الانبهار بالعالم الطبيعي ، وانفصال المجال السياسي عن المرجعية الدينية، وتجريد القيم من طابعها القدسي ،

([1]) ينظر: مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية ، سيد محمد نقيب العطاس ، ترجمة محمد طاهر الميساوي ، المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م) : ٤٣ .

ومفهوم (نزع السحر عن العالم) الذي صاغه عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر[١] يُمثّل محوراً لهذا التوجه؛ فهو يشير إلى إعادة تفسير الطبيعة بوصفها مجالاً مادياً خالصاً خالياً من المعاني الدينية والرمزية [٢] .

والعلمنة هي الحالة التي يصير الشخص أو المجتمع علمانيًا بعيدًا عن سيطرة الدين والكنيسة ؛ ومنها الفعل: يُعلمن؛ أي يحول الفرد أو المجتمع إلى العقيدة العلمانية، وذلك بأن تتحكم السلطة الحاكمة (المجتمع) بدلاً من تحكم رجال الدين في حياة الإنسان ومصيره [٣]

ومن وجهة نظري فإن العلمنة هي الحالة التي يصبح فيها المجتمع علماني لاديني من حيث التفكير والسلوك والقيم والمظهر.

ومن الواضح أن الصلة بين العلمانية والعلمنة وثيقة جدا لكن من الضروري التفريق بين مصطلحي العلمنة والعلمانية، فالعلمانية هي نظرية أو منهج ولدت وتطورت في السياق التاريخي للنزاع بين الدولة القومية والكنيسة في أوروبا لعزل الدين عن الدولة وحياة الناس من جهة، وبين تعاليم الكنيسة والعلوم التجريبية الحديثة عن الكون والإنسان والحياة من جهة أخرى، وأما العلمنة، فهي التطبيق الفعلي لتلك النظرية في الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، والميل المتزايد للإنسان للقيام بالأفعال بمعزل واستقلال عن الدين والديني كما يقول الباحث الإنكليزي تشادويك[٤] فالعلمنة تعني (اللاديني) على وجه الدقة، وهي تكتفي بنفي أي دور لله تعالى أو

---

(١) هو "أحد علماء الاجتماع والاقتصاد السياسي الألمان، وهو أحد مؤسسي الجمعية الألمانية لعلم الاجتماع، وله مؤلَّفات هامة في علم الاجتماع وفي الاقتصاد والسياسة، ولد في عام ١٨٦٤م وتوفى في عام ١٩٢٠م" ، علم الاجتماع ، موريس جنزبرج ، ترجمة فؤاد زكريا ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٢ : ١٣ .

(٢) ينظر: مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية ، سيد محمد نقيب العطاس : ٤٣ .

(٣) ينظر :العلمانية جذورها وأصولها ، محمد علي بار : ٢٧ .

(٤) "وُلِد إدوين تشادويك في مانشستر في ٢٤ يناير ١٨٠٠. شجعه والده على قراءة كتبٍ لفنانين متطرفين مثل توم باين. ذهب تشادويك إلى لندن لدراسة القانون، لكن موارده المالية كانت محدودة. كسب رزقه من كتابة مقالاتٍ لمنشوراتٍ مثل ويستمنستر ريفيو. ورغم دراسته للقانون، كانت مقالاته عادةً تتناول المبادئ العلمية=

الدين في تدبير أمور المجتمع العامة كالإدارة والسياسية والتعليم والاقتصاد والثقافة والإبقاء على هذا التنظيم إنسانيا بحتاً تتنازع فيه برامج الناس ومصالحهم الاجتماعية و الاقتصادية المتغيرة باستمرار، دون التعرض إلى مؤسسات الدين أو المساس بدوره في نشر قيم الإيمان بين مريديه. وفي هذه الحالة يحافظ الدين على قداسته وبدوره في تنظيم الجوانب الأخلاقية الروحية للناس دون التدخل في النشاطات السياسية المتقلبة دائما في كل فترة من الزمان ، أي أن عدم قبول الدين والإيمان ليس من الصفات الذاتية للعلمنة [١] .

وأيضا "لا بد لنا من التنبه هنا إلى أنهم يفرقون بين العلمنة والعلمانية. فالعلمنة تعني مساراً لا نهاية له ولا حدود، تخضع فيه القيم والرؤى الكلية للوجود للمراجعة الدائمة حسب ما يقتضيه التغير في المسيرة التطورية للتاريخ، بينما تعكس العلمانية – شأنها شأن الدين مثلاً – رؤية مغلقة ومجموعة من القيم المطلقة المتوافقة مع غاية نهائية للتاريخ تنطوي على أهمية كبرى للإنسان. وهكذا، فالعلمانية تمثل بالنسبة للغربيين منظومة فكراني" [٢] .

ولم تقتصر العلمنة على الدولة والمجتمع بل شملت الدين أيضا حيث يتم إعادة تفسيره وفق رؤى تحديثية تُخضعه لمعايير الدولة الحديثة، أو تجعل دوره روحياً وأخلاقياً فقط، لا تشريعياً وتنظيمياً.وجرت محاولات من العلمانيين العرب لعلمنة الإسلام ونذكر هنا بعض أشكالها : –

أولا : علمنة الإسلام باختزال البعد القانوني فيه

=وكيفية تطبيقها في الحكم الديمقراطي" ، Edwin Chadwick: A Pioneer of Public Health Reform and His Role in Sanitary Awakening , Pooja Mary Vaishali , Nisha Boopathy , Saveetha Institute of Medical and Technical Sciences, Saveetha University, Chennai, IND , 2024 , PP : 1

(١) ينظر : الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، محمد كامل ظاهر ، دار البيروني للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م) : ١١٣ – ١١٤ .

(٢) مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية ، سيد محمد نقيب العطاس : ٤٥ .

في فترة السبعينات من القرن الماضي شهدت صعود التيارات والحركات الإسلامية و تصاعدت الدعوات في بلدان العالم الإسلامي الى ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ككل، الأمر الذي أزعج الغرب والعلمانيين المسلمين، فاتخذ كل من هؤلاء الأعداء الخطط لمواجهة هذه الدعوة وعلى هذا عمل القساوسة بمخططهم الجديد لنشر التنصير في العالم الإسلامي، وعمل المفكرون العلمانيون العرب على حصر الشريعة الإسلامية في الرحمة، وتجريد الإسلام من القانون الشامل لمختلف شؤون الحياة ، أي اختصر الإسلام في مجموعة من الوصايا الأخلاقية، التي يمكن أن توضع مكان وصايا الإنجيل، ولأجل ذلك انبري المستشار محمد سعيد العشماوي [١]. للتبشير بأن ما في القرآن الكريم من آيات للتشريعات والأحكام هو من القلة القليلة بحيث يؤكد عدم اهتمام الإسلام بالتشريع والقانون والتشريع [٢] .

"وبنص عبارته: فإن بالقرآن الكريم ستة آلاف آية، وما يتضمن منها أحكاماً للشريعة، أو تشريعات – في العبادات أو في المعاملات – لا يصل إلى سبعمائة آية منها حوالي مائتي آية فقط هي التي تقرر أحكاما للأحوال الشخصية والمواريث أو للتعامل المدني أو الجزاء الجنائي، أي أن الآيات التي تعد تشريعات (قانونية) للمعاملات . هي مجرد جزء من ثلاثين جزءا من

([١]) "محمد سعيد عشماوي مصري الجنسية عمل رئيسًا لمحكمة جنايات، ومحكمة أمن الدولة العليا، كما عمل وكيلا للنائب العام، وقاضيًا ورئيسًا للنيابة العامة، وتقلب في عدة مناصب أخرى، وعمل محاضرًا للقانون المقارن والشريعة الإسلامية في عدة جامعات مثل الجامعة الأمريكية بالقاهرة وتوبنجن بألمانيا والسوربون بفرنسا، ومعهد الدراسات الشرقية بروسيا. من مؤلفاته : أصول الشريعة الإسلام السياسي جوهر الإسلام، من وحي القلم حصاد العقل، وغيرها" ، التيار العلماني وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد، منى محمد بهي الدين الشافعي، دار اليسر جامعة الأزهر، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ هـ : ٩٥ .

([٢]) ينظر : الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ، د. محمد عمارة ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة (١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م) : ٥٧ .

آيات القرآن ٢٠٠ / ٦٠٠٠ بعضها منسوخ ولا يعمل به، أي أن الأحكام السارية أقل من واحد على ثلاثين، وعلى وجه التحديد ٨٠ آية، أي ٨٠ / ٦٠٠٠ = ١ / ٧٥ " [١] .

والانطلاق من هذا القصر والاختصار للمنظومة القانونية والمقاصد التقنينية للإسلام، إلى زعم آخر يقول شريعة المسيحية هي المحبة كما إن شريعة الإسلام هي الرحمة أما الشريعة القانونية الوحيدة فهي شريعة موسى حيث كانت الشريعة الموسوية هي الحق، فهي تضع الواجبات مع الحدود ، وتحدد العقوبة لكل ذنب، وشريعة المسيحية هي الحب، وشريعة الاسلام هي الرحمة فرسالة الإسلام ليست كالرسالة الموسوية ، رسالة أحكام وتشريع ، وإنما هي رسالة أخلاق ورسالة رحمة ، بحيث يعد التشريع مرتبة ثانوية ، غير رئيسة ... وإن دفع رسالة الإسلام لتكون رسالة تشريع وأساسا وأصلا وهي ليست كذلك ، هو اتجاه يفهم الإسلام بمنطق الإسرائيليات ، أو هو اتجاه يعطي الإسلام صيغة عربية لليهودية ،وهذه الدعوى الشاذة التي تسعى لعلمنة الإسلام بنفي طبيعته التشريعية تتجاهل حقيقة تميّز الشريعة المحمدية عن الموسوية؛ فالموسوية – لكونها مؤقتة – جاءت بتفاصيل تشريعية محددة، بينما جاءت الشريعة المحمدية بالكليات والقواعد والمبادئ التي تستوعب جميع مجالات الحياة، لأنها الرسالة الخاتمة. وهكذا فكلتا الشريعتين تشريعية، لكن امتازت الشريعة الإسلامية بأنه تقف عند الكليات في شؤون المتغيرات الدنيوية، لتظل صالحة لكل زمان ومكان، ومصدراً دائماً للأحكام الفقهية المواكبة لتطور الواقع [٢] .

"وإذا كان دعاة اختزال آيات الأحكام – والتشريع – في القرآن الكريم بخمسمائة آية، قد استندوا إلى مقاتل بن سليمان [٣] [١٥٠ هـ ، ٧٦٧م] الذي كان أول من أفرد آيات الأحكام في

([١]) الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ، د. محمد عمارة : ٥٧ – ٥٨ .

([٢]) ينظر : المصدر نفسه: ٥٨ .

([٣]) "ولد مقاتل بمدينة بلخ من إقليم خراسان، ولم تذكر المراجع سنة ميلاده، وان ذكرت أنه مات بالبصرة سنة ١٥٠ هـ ، وذكر بعضهم أنه قديم معمر ، أي أن مقاتلا ولد ما بين سنة ٦٠– ٧٠ هـ، فيكون عمره عند وفاته ٩٠ أو ٨٠ عاما.حتى يكون قديما معمرا" ، تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير=

تصنيف وجعلها خمسمائة آية فإن مقاتل لم يدّع أن هذه الآيات الخمسمائة هي كل آيات الأحكام، وإنما رآها دالة دلالة ظاهرة على الأحكام، لا التي تحصر الأحكام في القرآن الكريم... وبعبارة الزركشي[1] ((ولعلهم قصدوا بذلك الآيات الدالة على الأحكام دلالة أولية بالذات، لا بطريق التضمن والالتزام))، أما عبارة ابن دقيق العيد [2] [٦٤١ – ٦٨٥هـ / ١٢٤٤ – ١٢٨٦م فإنها تقول : إن الأمر غير منحصر في هذا العدد، بل هو مختلف باختلاف القرائح والأذهان، وما يفتحه الله على عباده من وجوه الاستنباط" [3] .

وقد عبّر العلماء عن هذا المعنى بعبارة جازمة مفادها: لا يخلو شيء في القرآن من حكم يُستنبط منه .فالقول بأن آيات الأحكام تبلغ نحو خمسمائة آية إنما يُراد به الآيات التي تتضمن الأحكام نصًا وصراحةً .أمّا من جهة الالتزام والدلالة والاستنباط، فإن غالب القرآن – بل القرآن

=الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ) ، تحقيق عبد الله محمود شحات ، دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٢٣هـ : ٥ / ٢٤ .

([1]) هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المصري الشافعي، إمامٌ علّامة ومصنّفٌ محقق، وُلد سنة ٧٤٥هـ. تتلمذ على أيدي كبار العلماء، منهم جمال الدين الإسنوي وسراج الدين البلقيني، ثم ارتحل إلى حلب ليلتقي بالشيخ شهاب الدين الأذرعي، وسمع الحديث في دمشق وغيرها. تميز بسعة علمه في الفقه والأصول والأدب، وبرز في التأليف والتدريس والإفتاء، وتولى مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى، فكان من أعلام عصره ومقدَّميه في العلوم الشرعية ، ينظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩ هـ) ،حققه: محمود الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] دار ابن كثير، الطبعة: الأولى ، دمشق ، بيروت (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) : ٨ / ٥٧٢ .

([2]) هو"موسى بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، سراج الدين ابن دقيق العيد :فقيه، له شعر حسن.انتهت إليه رئاسة الفتوى بقوص في صعيد مصر (ومولده ووفاتها فيها). له المغني في فقه الشافعية، قال الأدفوي :ما أظنه أكمله. وهو أخو تقي الدين أحمد بن علي المعروف مثله بابن دقيق العيد، وذاك أعلم وأشهر" ،الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م : ٧ / ٣٢٥ .

([3]) الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ، د. محمد عمارة : ٥٧ – ٥٨ .

كله – مشتمل على أحكام ومعانٍ يمكن استخراجها، فلا توجد آية تخلو من توجيه أو قاعدة أو أصل يُهتدى به في التشريع أو في مقاصد الشريعة.هكذا سقطت وتسقط محاولات علمنة الإسلام و دعوى اختزال الشريعة الإسلامية في وصايا الرحمة، أو في عدد ضئيل من آيات الأحكام، هي مما رفضها ويرفضها العقل المسلم، منذ صدر الإسلام [1].

ويمكن القول أنه وردت أحكام شرعية كثيرة جاءت بها السنة النبوية ولم ترد صراحة في القرآن الكريم، سواء في المعاملات أو الأسرة أو الحدود والقضاء وغيرها الكثير من الاحكام ، وهي ملزمة للمسلمين؛ لأنه من الواجب الأخذ بها.

ثانيا: علمنة الإسلام بدعوى تاريخية الاحكام

في محاولة أخرى لعلمنة الإسلام فتح العلمانيون بابا حسبوه جديدا على العقلية الإسلامية ، وإن كان قديما قدم المواجهة التي حدثت بين فلاسفة عصر التنوير في أوروبا وبين النصوص الدينية، والمسيحي منه على وجه الخصوص ... وهذا الباب هو باب التأويل لكل ظواهر النص الديني، والقول بأن ما جاء به القرآن الكريم من تشريعات وأحكام ، مهما كان سعته ، هو تاريخي وتاريخاني ، أي أنه كان صالحا للزمان الذي نزلت به هذه الأحكام ، ثم نسخ التطور التاريخي والمتغيرات المادية هذه السلطة التشريعية، فلم يعد في القرآن الكريم معنى دائما ومستمرا . بل لقد عمموا هذه التاريخية لتشمل حتى العقيدة ، ودلالات القصص القرآني ، ومنظومة القيم ، أي أن محاولتهم هذه قد تجاوزت محاولة العلمنة باختصار الشريعة في عدد قليل من آيات أحكام، عندما وصلت إلى نسخ كل الإسلام، بدعوى شمول التاريخية والتأويل في كل ما جاء به هذا الدين !! ... وهذا يعني ظهور باطنية حديثة ، تلغي جميع أحكام ومعاني القرآن، بدعوى أن لكل تنزيل

(1) ينظر: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ، د. محمد عمارة : ٥٨ – ٥٩ .

تأويلا ، وان لكل ظاهر باطنا ولقد تولى كبر هذه الدعوى عدد من الذين أرادوا تقليد التنوير الأوروبي في التاريخية والتأويل ،ومن بين أشهر هؤلاء كان الدكتور نصر حامد أبوزيد [١] [٢].

ويمكن القول أن فكرة تاريخية القرآن تقوم على قراءة أيديولوجية لا علمية، تتجاهل إعلان القرآن عن عالميته، وتتغافل عن شواهد إعجازه، وعن قدرته المستمرة على تشكيل منظومات تشريعية وأخلاقية صالحة للإنسان عبر الزمن. فالقرآن نصٌ إلهي خالد، يتفاعل مع التاريخ لكنه لا يُختزل فيه.

ثالثا : محاولات أخرى لعلمنة الأحكام الشرعية

إن الوعي المسلم مدرك لخطر العلمانية بمفهومها المتطرف أو بمفهومها المعتدل (الأقل تطرفاً). والإشكالية التي هي بحاجة إلى وعي وبحث وعناية هي في دخول بعض المفاهيم العلمانية إلى الأحكام الفقهية ؛ حيث أصبحت مجموعة من الأحكام الشرعية تقدم بصورة حديثة تجعلها مقبولة لدى الرؤية العلمانية ، فالرؤية العلمانية ترفض قيام الأنظمة والقوانين في الدولة العلمانية بناءً على فكر ديني ومن ثم فلا مشكلة لديه على كثير من الأحكام الفقهية التي ليس لها تأثير على النظام العام : كأداء الصلوات والصوم واجتناب المعاصي وأداء الأمانات ... إلخ؛

---

(١) نصر حامد أبو زيد (١٩٤٣–٢٠١٠) هو مفكر وباحث مصري بارز في الدراسات الإسلامية واللسانيات. وُلد في طنطا ، ودرس اللغة العربية في جامعة القاهرة حيث حصل على الليسانس، ثم الماجستير والدكتوراه اشتهر بقراءاته التأويلية للنص القرآني، واعتماده على المناهج الحديثة في تحليل الخطاب الديني، ينظر : نصر حامد أبو زيد دراسة النظريات ونقدها ، مجموعة مؤلفين ، العتبة العباسية المقدسة المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، الطبعة الأولى ، النجف ، العراق ، (١٤٤١هـ – ٢٠١٩ م): ١٤ – ١٥ .

(٢) ينظر : الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ، د. محمد عمارة: ٦٠ .

وإنما الإشكالية في الأحكام التي لها تأثير كالعقوبات ومنع ارتكاب المحرمات والإلزام بالواجبات فجاءت هذه الخطة لتتعامل مع هذه الأحكام بطريقة معينة تجعلها موافقة للرؤية العلمانية [1].

وهذا ما دفع بعضهم لرفع خاصية (المنع) و (الإلزام) عن الأحكام الشرعية، فقدم الأحكام الشرعية على أنها أوامر ونواه يطلب من المسلم فعلها أو اجتنابها، ومن يخالف ذلك فيمكن مراقبته ومحاسبته من خلال النصيحة والموعظة الحسنة من غير أن يكون ثمة منع لهذه المحرمات أو إلزام لتلك الواجبات فضلاً عن العقوبات والحدود، فرسمها في هذه الصورة بحالة مقبولة تماماً لدى التفكير العلماني المعاصر .

ومن الأمثلة على ذلك : –

١– الزيادة المحرمة في الشريعة من الربا الذي يجب منعه ليس هو ما اتفق العلماء عليه من الزيادة على الإسلام ، وإنما هو ما يحصل به ضرر على الفقراء نتيجة هذه الزيادة فيتدخل النظام لمنعه كما يتدخل لمنع أي أذى دنيوي .

٢– الجهاد في الدين الإسلامي ليس هو الدفاع عن الإسلام وإعلاء كلمة الله تعالى؛ وإنما هو في القتال للدفاع عن الأراضي المحتلة فقط كما تقرره جميع القوانين الدولية في حق الشعوب لصد أي عدوان خارجي على أراضيها .

٤– شرط الإسلام الذي يتفق الفقهاء على اشتراطه لكل من يتولى الحكم أو الرئاسة أو القضاء، أصبح أمراً تاريخياً متعلقاً بزمن معين حين كان الدين هو الأساس الذي تقوم عليه الدولة وقد زال سببه مع الدولة الحديثة التي تلغي عنصر الدين في التمييز بين الأفراد الذين تشملهم المساواة.

---

(1) ينظر : معركة النص ، فهد بن صالح العجلان ، مجلة البيان ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٤٣٣ هـ : ٢٣ .

٥- إن وصف الأنوثة الذي أثّر في أحكام الشهادة والولاية وغيرها، وكان محلّ اتفاق بين الفقهاء، كان مرتبطاً بزمانٍ لم تكن فيه المرأة تخالط الرجال أو تشاركهم في ميادين الحياة، فاعتُبر هذا الوصف مؤثراً في بعض الأحكام. أما في العصر الحاضر، فقد زال ذلك الظرف وتغيّرت مشاركة المرأة في المجتمع، فلم يعد لذلك الوصف نفس العلة أو الوزن في الاستدلال كما كان سابقاً [١].

(١) ينظر : معركة النص ، فهد بن صالح العجلان ، مجلة البيان ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٤٣٣ هـ : ٢٤.

المطلب الثاني: العلمانية والحداثة

يرجع أصل مصطلح الحداثة (Modernity) إلى اللغة اللاتينية، حيث اشتُق من ظرف زمان يُعبّر عن معنى الآن أو في اللحظة الراهنة، وقد استخدم الإنجليز هذا المصطلح لأول مرة خلال الفترة (١٥٢٣ – ١٦٠٣) للدلالة على ما هو حديث في مقابل ما هو قديم، ثم انتقل فيما بعد إلى اللغات الأوروبية الأخرى محافظًا على المعنى نفسه، الذي يرتبط بفكرة التجديد والتطور ومواكبة الحاضر [١] . "وعرفت الحداثة بأنها حركة علمانية عظيمة للفردية الثقافية اجتاحت الفن والثقافة بعد عام ١٨٨٠م واخترقت ببطء المقياس الاجتماعي لتحرير التوجهات في عقد الستينيات من القرن العشرين" [٢].

وفي تعريف للحداثة هي المرحلة التي يصبح فيها الحديث قيمة بحد ذاته، بل القيمة العليا التي تُستمد منها سائر القيم. وهذا التعريف ينسجم مع تعريف آخر للحداثة بوصفها عملية علمنة وزمننة، فإن الحداثة ترتبط بمفهوم الحديث الذي يشير في الوقت نفسه إلى ما يحدث في عصر معين ويعبّر عن سمته المميزة، كما يشكّل القيمة الأساسية التي تُوجّه الوعي وتتحكم به في ذلك العصر. وفي هذا الإطار، تُعدّ الحداثة إيمانًا بالتقدّم وبالسير التاريخي الذي ينفصل تدريجيًا عن المرجعيات الدينية والميتافيزيقية، ليغدو الإيمان بـ قيمة الجديد والتطور المستمر هو المبدأ الذي يوجّه الفكر والوعي في هذا العصر [٣] .

([١]) ينظر : الصراع بين تيارين الديني والعلماني في الفكر العربي والحديث المعاصر ، الدكتور محمد ظاهر: ١٢ – ١٣ .

([٢]) الحداثة مقدمة قصيرة جدا ، كريستوفر باتلر ، ترجمة شيماء طه الريدي ، مراجعة هاني فتحي سليمان ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٦ : ٨٤ .

([٣]) ينظر : الصلة بين الأصول الفكرية للتنوير، و الليبرالية، و العلمانية، و الحداثة، و مابعد الحداثة د.آمال بنت عبد العزيز العمرو ، الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٤٣ – ١٤٣٥ هـ : ٢٣ – ٢٤ .

وتعرف "الحداثة الثقافية: أن فصل العقل الجوهري الذي يعبر عنه الدين والما وراء الطبيعة إلى ثلاثة مجالات مستقلة، وهي العلم والأخلاق والفن . وتعرف أيضا بإنها : سلسة من التحولات في المجتمع المعاصر قائمة على أساس التمدن والتصنيع والعلم والتكنولوجيا والتي أصبحت أساسًا لفكرة الشك الديني، وعدم معاناة علم الكتب المقدسة" [1].

ويتفق الغربيون المختصون بدراسة الحداثة على أصولها وأسمها وإن اختلفوا حول طبيعة هذه المفردة وتفاصيلها فهم يجمعون على أن الحداثة مذهب انقلابي ومنهج تغييري في القيم و والأفكار والمفاهيم يقبع تحت شعار التقدم والتطور ، ويختبئ أحياناً وراء ستار الفن والأدب . والحداثة تعني عند الغربيين حتمية الثورة على كل قديم ما عدا الظواهر الباطنية الفلسفية والثورية ، وبالتالي نفيه ورفضه وضرورة التطور إلى فكر حديث يحل محل القديم. ويختلف معه في أفكاره ومعانيه ، ثم تأتي المرحلة اللاحقة بعد هذه المرحلة. فتتغير وتتبدل المفاهيم والأفكار لتناسب العصر الحديث ، وهكذا فالعقائد والمبادئ والقيم في تطور دائم ولكل فترة من حداثته ،والحداثة عند الفرنسيين ، مفهوم فكري فوضوي ينفي كل ما جاءت به الكنيسة من قيم و تعاليم والمعتقدات الوثنية ، والافكار المحرفة عن الإله والكون والإنسان والحياة ،وهذه المفاهيم فرضتها الكنيسة بالقوة على الشعوب الغربية . وفي الوقت نفسه حاربت كل من يعارض هذه المفاهيم ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك فحرمت التجارب والنظريات العلمية ، وحاربت العلماء والمفكرين ، مما أدى إلى ظهور المعارضين لها فجاء مجموعة منهم بالفكر الحداثي وكذلك الأمريكان والإنجليز ينهجون الحداثة على أنها مفهوم فكري متطور وثائر ضد حالات من التأزم والتاريخي والعقدي والاجتماعي ، فهي حركة تغييرية لكل ما يسمى بالحقيقة المطلقة والثابتة ، تسعى نحو الانقلاب

(1) الصلة بين الأصول الفكرية للتنوير، و الليبرالية، و العلمانية، و الحداثة، و مابعد الحداثة د.آمال بنت عبد العزيز: ٢٤ .

في شتى المجالات الاجتماعية الفكرية وغيرها ويجمع الأمريكان والإنجليز على أن الحداثة عندهم ما هي إلا امتداد ونتيجة للحداثة الفرنسية [١] .

ولا يمكن تحديد مفهوم الحداثة بشكل دقيق؛ لأنها لا تخضع لقوانين ثابتة أو معايير محددة تفسر طبيعتها أو تحدد مسارها، ولذلك تتباين مظاهرها ومفاهيمها من مجتمع إلى آخر تبعًا لاختلاف النظم والثقافات. ومع ذلك، فإن هذا التباين في الوسائل لا يعني اختلافًا في الغايات، إذ تشير الدراسات المقارنة لعمليات التحديث في ستة مجتمعات متباينة الأنظمة والثقافات إلى وجود مجموعة من السمات المشتركة التي تُميز الإنسان الحديث وتشكل القاسم المشترك بين أفراد هذه المجتمعات منها :-

١- الانفتاح على الأفكار الجديدة .

٢- القدرة على التعبير عن الرأي، مع الإحساس بالوقت الذي يجعل الإنسان يهتم بالحاضر والمستقبل أكثر من الماضي .

٣- الالتزام بالدقة والحرص على التخطيط والتنظيم والفعالية في مختلف مجالات الحياة.

٤- الميل إلى اعتبار العالم قابلاً للفهم والحساب بأسلوب علمي ورياضي.

٥ - النزعة العلمية والتكنولوجية، والإيمان بالعدالة الاجتماعية .

وهذه السمات مجتمعة تشكل ما يُعرف بـ البعد الحديث للإنسان، الذي يعكس روح الحداثة في المجتمعات المختلفة رغم تباينها الثقافي والنظامي [٢] .

([١]) ينظر: الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية ، محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٤ هـ : ١ / ١٢٣ – ١٢٤ – ١٣٤ .

([٢]) ينظر: الصراع بين تيارين الديني والعلماني في الفكر العربي والحديث المعاصر ، الدكتور محمد ظاهر: ١٢ – ١٣ .

ونشأت الحداثة في عصر النهضة بنفس السياق التاريخي والفلسفي وارتبطت بجملة من التحولات الاجتماعية الذي نشأت فيه العلمانية، فتمثلت الحداثة الغربية منذ بداياتها في النزاع مع قوانين الكنيسة والمؤسسات المسيحية والمفهومات الموروثة والعادات الاجتماعية ثم في مرحلة لاحقة مع العادات الأدبية لصالح قيم الحرية الفردية والعفوية والابتكار لما سبقه من ثقافات ومبادئ، إنها موقف مخالف لجميع الثقافات والاديان السابقة القائمة على الحقيقة المطلقة ، وهذا الموقف يجب أن يكون شاملاً كلياً عالمياً بعد انطلاقه من أوروبا [١] .

وارتبطت الحداثة الغربية بالسياق التاريخي والحضاري العلمي والمعرفي العلماني الذي تكونت فيه، وهو السياق الفكري الذي له جذور يونانية ورومانية ،ومسيحية، ويهودية ،وفلسفة غربية ،وعلوم حديثة انتهت حسب رأي أصحابها إلى أنها حداثة متفردة وأوروبية في منشأها ، علمانية في منطق تفكيرها وروحها ومادية في طريقة فهمها للعالم من حولها [٢] .

وهناك ترادف ما بين العلمانية والحداثة ، وهي أنها تتفق على الابتعاد عن الدين، وذلك الهجران هي ما يمكن أن يسمى العلمنة، ويفسر مارسيل غوشيه[٣] الابتعاد عن الدين بأنه لا يعني التخلي عن الإيمان الديني، ويخالف الخروج من عالم يشكل الدين فيه التنظيم البنيوي ، ويوجه البعد السياسي للحضارات ويعين القواعد الاقتصادية للصلات الاجتماعية ، بمعنى فصل

([١]) ينظر : الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية ، محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٤ هـ : ١ / ١٢٨ .

([٢]) ينظر : مقاربة نقدية في العلاقة بين الحداثة والعلمانية من قلق السؤال إلى ارتباك المآل ، أ.د. عبد العزيز فضيل بوالشعير ، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ، المجلد ٩ ، العدد ٢ ، ٢٠٢١ هـ : ٦٥ .

([٣]) "ولد الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي مارسيل غوشيه عام ١٩٤٦ في منطقة المانش الفرنسية، من أب عامل طرقات وأم تعمل في الخياطة تلقى تعليمه في مدرسة المعلمين العليا التي انقطع عنها لفترة قبل أن يستأنف دراسة الفكر السياسي في العام ١٩٦٨"، في حوار حول الدين والحداثة والعلمنة الفيلسوف الفرنسي مارسيل غوشيه – سمة العالم الحديث.. الجهل ، حاوره : ماتيو جيرو ، مجلة الاستغراب ، العدد١ ، (١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م) : ١٨ .

الدين عن إدارة أمور الحياة. لذا فإن بناء فكر سياسي واجتماعي حديث هو التكملة التي لايستغنى عنها للفكرة القديمة عن الحداثة في علاقتها بالعلمنة، حيث يحل الشعب محل الله كأساس للحكم الأخلاقي، ويصبح عقل الإنسان مرجع للتفسير وتقرير السلوك[١]. يقول: هابرماس[٢] "يعتبر كل دين في الأصل تصورا عن العالم أو فهما عقائديا يهتم بحقه في السلطة لكي يبني شكلا من أشكال الحياة في كليته لكن على الدين أن يستغني عن هذا الحق، والحق في احتكار التأويل وتنظيم الحياة الشاملة، نظرا لشروط علمانية العلم ومحايدة سلطة الدولة، والحرية الدينية الشاملة"[٣].

فالصلة بينهما بالغة الوضوح من وجوه:-

الأول: اتفاقهما على نزع القداسة عن الوجود وإعلاء القيم الدنيوية بوصفها أساس الفكر الإنساني الحديث .

---

(١) ينظر : الصلة بين الأصول الفكرية للتنوير، و الليبرالية، و العلمانية، و الحداثة، و مابعد الحداثة د.آمال بنت عبد العزيز: ٢٧ .

(٢) وُلد يورغن هابرماس في دوسلدورف عام ١٩٢٩، ونشأ في أسرة ألمانية متوسطة الحال تعاملت مع النظام النازي بطريقة متوازنة، دون معارضة صريحة أو تأييد فعّال. ويُعتبر هابرماس من أهم المفكرين الاجتماعيين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث امتدت تأثيراته إلى مجالات متعددة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وقد ساهمت أعماله النظرية في تشكيل رؤية جديدة للنقد الاجتماعي والفكر المعاصر.، ينظر: يورجن هابرماسٍ مقدمة قصرية جدا ، جيمس جوردن فينليسون ، ترجمة أحمد محمد الروبي الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٥ : ٩ – ١٠ .

(٣) الصلة بين الأصول الفكرية للتنوير، و الليبرالية، و العلمانية، و الحداثة، و مابعد الحداثة د.آمال بنت عبد العزيز: ٢٧ .

الثاني: تقومان معًا على الإيمان بالتقدّم المادي وإلغاء المرجعية المعنوية والدينية في توجيه حياة الإنسان ومجتمعه [1] .

([1]) ينظر : الصلة بين الأصول الفكرية للتنوير، و الليبرالية، و العلمانية، و الحداثة، و مابعد الحداثة د.آمال بنت عبد العزيز : ٢٧ .

المطلب الثالث : العلمانية والعولمة

مصطلح العولمة مصطلح حديث في طرحه الآن في هذه المرحلة، لكن التخطيط له بدأ منذ زمن بعيد :

وهذا المصطلح يعني عالمية القيم والثقافات والعادات لمصلحة الدول الاقتصادية المتقدمة.

وبمعنى آخر: محاولة فرض قيم وثقافات وعادات الدول الغربية على بقية بلدان العالم، لاسيما دول العالم الثالث ، بشكل يؤدي إلى مزج جميع الحضارات، وتمييع صفات المجتمعات هذا بالإضافة إلى تهميش ومحاربة المعتقدات الدينية .

و العولمة هي بمعناها العام ظاهرة الانتماء العالمي ، وهي مصطلح مختصر ومعبر عن مفاهيم عدة، فهي تشمل تجاوز الأطر الضيقة الإقليمية والطائفية والعنصرية وغيرها والخروج إلى الانتماء العالمي الأعم، وفي جانبها الاقتصادي تشمل إلغاء القيود التجارية والانفتاح التجاري ، وتوفير فرص للتبادل التجاري الشامل مقيد بقواعد السوق فقط بدون وجود قيود حماية حكومية. وفي جانبها الثقافي والفكري هي عدم الانغلاق على الذات والانفتاح الفكري على الطرف الآخر ، ومنع التعصب الفكري الذي يدعو لتهميش الآخر، لا لشيء سوى أنه مخالف في الفكر. وفي جانبها السياسي هي شيوع تطبيق القانون على الجميع ومراعاة الحقوق الأساسية للإنسان ... فهي اختصار الشعور بالارتباط الواسع (العالمي) بدلاً من الاكتفاء على الانتماء المحلي الإقليمي، والطائفي ، والعنصري [1] .

(1) ينظر : العولمة ، سليمان بن صالح الخراشي ، دار بلنسية : ٧ – ٨ .

وفي تعريف أخر "هي المنهج الجديد للغرب لفرض سيطرته سياسيا واقتصاديا وعلميا واجتماعيا وثقافيا على مجتمعات العالم الثالث ، هي شكل جديد من أشكال الاستعمار والهيمنة والسيطرة على هذه الشعوب" [١] .

والعولمة من وجهة نظري هي منهج بديل للحرب والاحتلال العسكري للبلدان من أجل السيطرة والهيمنة على العالم من خلال الشركات العابرة للقارات وفرض الثقافة الغربية على شعوب ودول العالم من خلال المنظمات الدولية والحقوقية والتكنولوجيا الحديثة وفرض العقوبات الاقتصادية.

والعولمة ليست ظاهرة حديثة أو وليدة هذا القرن ، وإنما هي ظاهرة تاريخها قديم جدا، ولكنها متجددة في وسائلها لا يقل عمرها عن خمسة قرون، ومن الآراء أن تاريخ العولمة يبدأ باستعادة الإسبان الأندلس، واكتشاف قارتي أستراليا وأمريكا ، وبعدها التطورات السريعة في عصر النهضة جاءت الثورة الصناعية ، وشهدت هذه المرحلة صعود الغرب بشكل متسارع، وبناء اقتصاد قوي وعملاق معتمدة في ذلك على الشركات التجارية ذات أساطيل بحرية وبرية ، فالعولمة ليست ظاهرة حديثة وإنما هي مرتبطة بالنظام الرأسمالي في الغرب وتطوره [٢] .

و قد خلفت نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م آثارا تعد نقطة تحول مهم في تاريخ العولمة، إذ بدأ واضحا أن السيطرة الحقيقية لا ينبغي أن تكون عسكرية، وإنما اقتصادية وثقافية ، وهذا ما سوف يؤدي في النهاية إلى سيطرة سياسية كاملة لكل المناصب، ومن هنا تم وضع المخططات لتجاوز النتائج الكارثية التي تسببت بها الحرب [٣] .

([١]) الفكر الإسلامي وأثره في محاربة النهج الثقافي للعولمة الغربية ، الدكتور حيدر تقي فضيل ، مجلة كلية التربية ، العدد التاسع عشر ، نيسان ، ٢٠١٥ : ٥ .

([٢]) ينظر: العولمة في المفهوم والمظاهر والآثار ، لعساس آسيا : ٨٦ .

([٣]) ينظر: أساليب الغزو الفكري (العلمانية ، العولمة) ، أ.م.د. وليد احمد عبد الشجيري ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ، المجلد الثالث ، العدد الثالث والثلاثين : ١١٧٧ .

وقد تبلورت العولمة وأخذت شكلا واضح المعالم في فترة التسعينات عقب سقوط الاتحاد السوفياتي وتفكك الدول الاشتراكية وما لحق ذلك من ظهور قطب واحد وهو الولايات المتحدة الأمريكية المنفرد بالسيطرة على العالم في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية [١] .

وصحيح أن العولمة موغلة بالقدم عبر التاريخ ولكن وسائلها متجددة في كل عصر من العصور ، وتتسع مساحة العولمة بقدر اتساع وسائلها، فالاستعمار القديم الذي شمل جميع الجغرافية الإسلامية تقريبا هو شكل من أشكال العولمة، لكنه لم يتمكن من تجاوز الفكر العسكري بسبب قوة المناعة الاسلامية، وفي القرن التاسع عشر وخلال النصف الأول من هذا القرن استطاعت العولمة من إحداث ثغرة في الهوية الإسلامية من خلال تطور وسائل النشر والطباعة ، وفي النصف الثاني من هذا القرن ازداد اختراق العولمة للهوية الإسلامية، من خلال تطور أجهزة الاتصالات والمواصلات ، وبانت القنوات الاذاعية والتليفزيونية والنشر والكمبيوتر وشبكات الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي من أبرز وسائل العولمة. والمرحلة الجديدة في تطور وسائل العولمة باستخدام ثروة التكنولوجيا ، تشكل مزيدا من الاختراق في العالم الإسلامي[٢].

ومن وجهة نظري أن العلمانية تمهد للعولمة وتسهل عمل العولمة من جانب أن فصل الدين عن الدولة يؤدي إلى تكوين دولة لا دينية تطبق نظاما غربيا، و بالتالي لن تكون هذه الدولة تشكل عائقا أمام العولمة بل تسهل عمل العولمة ونموها في داخل دول العالم سياسيا واقتصاديا وثقافيا وغالبا ما نجد الدول العلمانية في الشرق تعاني الضعف وعدم الاستقلال في اتخاذ القرارات في مواجهة الغرب نتيجة اتباعها نمطا غربيا معينا يفقدها القدرة على المواجهة، فتبني نموذجا غربيا في الحكم يجعل هذه الدول ضعيفة الأمر الذي يفتح الباب للثقافة الغربية والشركات الغربية

([١]) ينظر : العولمة في المفهوم والمظاهر والآثار ، لعساس آسيا : ٨٦ .

([٢]) ينظر : أساليب الغزو الفكري (العلمانية ، العولمة) ، أ.م.د. وليد احمد عبد الشجيري: ١١٧٧ .

، وتنفتح الأسواق للسلع الغربية، و غالبا ما تكون هذه الدول تابعة للغرب بشكل وبآخر، ومن ناحية أخرى العولمة تخدم العلمانية من جهة أن العلمانية هي نموذج غربي يتم عولمته وتصديره إلى بلدان العالم المختلفة وهنا يبرز دور العولمة في تصدير هذا الفكر الى العالم .

المطلب الثالث: العلمانية والماسونية

"قبل تناول نشأة الماسونية يجب إيضاح المعنى اللغوي لها ، فالماسونية freemasonry تتكون من ثلاثة مقاطع وهي فرى free حرة وتعنى الحر الذي لا يضبطه قيد من القيود ثم ماسون mason وتعنى الحرفة أو مهنة البناء وأخيراً ري ry وهي ياء النسبة.ويتكون من هذه المقاطع الثلاثة المعنى الكامل وهي جمعية البنائين الأحرار ، ولم تختلف المراجع العربية أو الأجنبية أو حتى المؤيدين من الماسون والمعارضين على تفسير معنى الماسونية" [١] .

وعرفت أيضًا الموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica أن الماسونية حركة حرة تتعلق بتنظيماتها الخفية في جميع أجزاء العالم ولها انتشار واسع في بريطانيا .

وعرفتها الموسوعة الماسونية Encyclopedia of Freemasony بأنها حركة أخوية عالمية بتشارك فيها الأخوة في العقائد والمفاهيم فيما يخص الإيمان بإله والأخلاق وتفسير الظواهر الكونية والحياة [٢] .

والماسونية هي منظمة تنظيمية سرية قام بها على الأرجح حاخامات التلمود وبخاصة في مراحل الضياع والتشتت السياسي الذي تعرض له يهود العهد القديم فأخذ رجال الدين على عاتقهم إقامة حركة يهودية تهدف إلى حكومة صهيون العالمية [٣].

([١]) الماسونية بين المؤيدين والمعارضين، التعريف والنشأة نوران محمد أحمد السيد باز كلية البنات جامعة عين الشمس العدد الثامن عشر ٢٠١٧: ٤ .

([٢]) ينظر : المصدر نفسه: ٤ .

([٣]) ينظر: الماسونية ذلك العالم المجهول دراسة في الاسرار التنظيمية لليهودية العالمية ، الدكتور صابر طعيمة ، دار الجليل ، الطبعة السابعة ، بيروت ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م: ١١ .

وتعريف الماسونية كما في الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان: أنها منظمة يهودية خفية هدامة إرهابية غامضة، محكمة التخطيط والتنظيم لضمان سيطرة وحكم اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والفساد والإباحية ، وتختفي وراء شعارات خداعة (حرية – إنسانية – إخاء – مساواة)، معظم المنتمين إليها من الشخصيات البارزة في العالم، ويؤخذ منهم العهود بحفظ الأسرار، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتكليف بالواجبات والتخطيط ، تمهيدا لتأسيس دولة ديمقراطية عالمية، وتتخذ النفعية والوصولية أساسا لتحقيق أهدافها في تكوين دولة لا دينية عالمية[١].

واختلفت الأقوال في تاريخ ظهور الماسونية، نظرا للسرية الشديدة لهذه المنظمة ، واختلاف أساليب ظهورها ومراحله، ولذلك فإن الأنسب أن تُقسم إلى عدة مراحل بحسب ظهورها وتغير طبيعة عملها :

أولا: يرجح أن وجود هذا التنظيم كان حتى قبل ميلاد عيسى عليه السلام، وهذه المرحلة أسسها اليهود معتقدين أن الله تعالى أعطى اسمه الأعظم لنوح عليه السلام فحصل له بذلك على ميزة خاصة تجعله قادرا على فعل ما لا يقدر عليه أحد من الناس، وأن هذا الاسم والميزة الخاصة ورثه سليمان عليه السلام ثم بعد ذلك ورثه اليهود عن طريقه، فهم ورثته الذين يحق لهم دون غيرهم حكم العالم كله [٢] .

([١]) ينظر : الماسونية نشأتها وخطرها على العالم الإسلامي ، حميد صالح الحميدة ، جامعة الأزهر ، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، العدد التاسع والثلاثين : ٣٥٣ .

([٢]) ينظر : السبل بحث مختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة الماسونية – العلمانية – الاشتراكية – الرأسمالية ، معاذ بن محمد الزغبي: ١١ .

ثانيا: و كان المؤسس الأول للحركة الماسونية هو هيرودوس الثاني هيرودس فيليبس [١] والذي كان حاكما على القدس في عهد الدولة الرومانية حيث أسسها في القدس بالتعاون مع مستشاريه اليهود وكانت منظمة سرية عرفت باسم (القوة الخفية) وكان هدفها التصدي لدعوة المسيح لأنه كان ينذر بزوال هيكل سليمان ، وكانت تعمل على متابعة و قتل معتنقي الدين المسيحي الجديد ، وكان لهذه الحركة مجلس سرى مؤلف من تسعة أفراد وقد عقد أول اجتماع له في مدينة القدس حيث أطلق على مكان الجلسة باسم الهيكل وكان ذلك في ١٠ / أغسطس / ٤٣ م ، وقد اتفقت الجماعة فيما بينهم على التحالف لإسقاط دعوة عيسى عليه السلام وعليه بدأت هذه القوة في التحرك لتصفية معتنقي الدين الجديد[٢] .

ثالثا: يرى أنها ترجع إلى العصور الوسطى وتصل بحركة عرفت باسم (فرسان الهيكل) وهذه الحركة نشأت بين عامي ١١١٨ م و١١١٩م في القدس وكانت في بدايتها تعمل بشكل مخفي وقد تأسست في البداية بدعوى للدفاع عن المسيحية، ثم ما لبثت أن انكشف أمرها ، وعليه تم اعتقال جميع اليهود وطردهم خارج فرنسا، ثم في عام ١٣٠٠ م تم اتهام أعضاء حركة فرسان الهيكل بأنهم يقومون بأعمال السحر والشعوذة ويقدسون الأوثان بالرغم من أنهم يدعون الدفاع عن المسيحية وأنهم يميلون إلى استخدام القوة والتهديد وإلى مجموعات اليهود التي وجدت في فرنسا قبل طردها وغير مؤمنين بالمسيحية. وعليه فقد تمت محاكمتهم بعد إثبات الاتهامات عليهم فحكم على البعض بالسجن مدى الحياه ،وبعضهم الآخر بالإعدام حرقا ، كونها كانت حركة سرية

---

(١) هيرودوس أجريبا عاش في الفترة (١٠ ق.م – ٤٤ م) أسرته حكمت في فلسطين زمن عيسى (الله)، عينه الرومان واليا على فلسطين بعد وفاة عمه (فيليب) ، الماسونية نشأتها وخطرها على العالم الإسلامي ، حميد صالح الحميدة ، جامعة الازهر ، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، العدد التاسع والثلاثين : ٣٥٥ .

(٢) ينظر : الماسونية بيه المؤيدين والمعارضين التعريف والنشأة نوران محمد: ٥ .

في بداياتها وأطلق عليها اسم فرسان الهيكل أي هيكل سليمان الذي يذكره اليهود في الكتاب المقدس التلمود بوجوب إعادة بنائه لتطهير جميع يهود العالم ، ثم الاتهامات التي تم إثباتها عليهم بالنسبة لأعمال الشعوذة والعبادة الوثنية كلها تتصل بالمفاهيم الماسونية في العصر الحديث لذلك رجح أن حركة فرسان الهيكل كانت البذرة الأولى للماسونية قبل اختفائها ثم ظهورها مرة ثانية بعنوان القوة الخفية ثم بعنوان الماسونية [١] .

رابعا: "البناؤون الأحرار الماسونية وهذه المرحلة هي المرحلة الحالية المعاصرة التي لا زالت هذه الحركة فيها، متخفية بنقابة (البناؤون الأحرار) والتي تعني الترجمة اللغوية لـ (FREE MASON) والتي عُرفت بها بعدها بمصطلح (الماسونية). [٢] وهذه المرحلة الأخيرة هي الأكثر شيوعا وربما الأرجح في تاريخ الماسونية ، حيث يرى أن الماسونية بدأت في العصر الحديث عندما اتخذت في مؤتمر لندن عام ١٧١٧م ،وتم عمل أول محفل ماسوني علني في لندن ومن بعده أخذت المحافل تنتشر [٣] .

وقد ارتبطت العلمانية بالماسونية فهي أداتها وخطتها التي تلعب بها لمسخ الهوية الدينية عموماً والإسلامية خصوصا، وإلغاء كافة الأديان ونشر الإلحاد وإضعاف البشر للتسليم لها. فهي لا تستهدف فقط المسلمين، بل وحتى غير المسلمين لم يسلموا منها. حيث هي تحارب الأديان جميعا وتؤكد على إنهائها. وقد جاء في قرارات المؤتمر العالمي الماسوني المنعقد في فرنسا عام ١٩٠٠م وإن مخطط الماسونية تأسيس جمهوريات علمانية لا دينية ومحاربة الأديان ودعم الحكومات العلمانية اللادينية ولذا فهي تستسيغ الإرهاب بالتجرد عن مفاهيم الأخلاق والضمير والماسونية تعمل بشكل خفي ، و تهدف لإعادة سيطرة اليهود وحكمهم للعالم ، ومن

([١]) ينظر : الماسونية بيه المؤيدين والمعارضين التعريف والنشأة، نوران محمد أحمد: ٥ – ٦ .

([٢]) السبل بحث مختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة الماسونية – العلمانية – الاشتراكية – الرأسمالية ، معاذ بن محمد الزغبي: ١٢ .

([٣]) ينظر : الماسونية بيه المؤيدين والمعارضين التعريف والنشأة، نوران محمد : ٦ .

الأفكار التي تروج لها الماسونية، الشيوعية والعلمانية عموماً، وهذه من جملة الأفكار ، ومن المؤكد أن بعض من يدعون إلى هذه العلمانية الجديدة التي تسمى العصرانية أو العصرية أو الإنسانية أو التجديدية أو العقلانية إلى آخر هؤلاء الأسماء من المؤكد أن بعضهم له ارتباط وعلاقة ما بالشبكات الدولية للماسونية[1].

(1) ينظر : فشل العلمانية وإرتباطها بالماسونية د. منال محمد أبو العزائم ١٤٤٥ هـ : ١١ – ١٢ .

الفصل الثاني

الآثار السلبية للعلمانية

المبحث الأول: الآثار السلبية للعلمانية في العالم الغربي

المطلب الأول: آثار العلمانية على الفرد

المطلب الثاني: آثار العلمانية على الاسرة

المطلب الثالث: آثار العلمانية على المجتمع

المبحث الثاني: الآثار السلبية للعلمانية في العالم الإسلامي

المبحث الثالث: الآثار السلبية للعلمانية في المرأة

المطلب الأول: آثار العلمانية على المرأة الغربية

المطلب الثاني: آثار العلمانية على المرأة المسلمة

المبحث الأول: الآثار السلبية للعلمانية في العالم الغربي

في البداية يجب أن نذكر أن العلمانية قدمت بعض الإيجابيات وأهم عمل قامت به تحرير العلم من سيطرة الكنيسة فمع تحرير العلم من القيود التي فرضتها عليه والحرية والدعم الذي حصل عليه العلماء والباحثون والمفكرون أدى كل ذلك إلى النهضة العلمية و التطور العلمي الهائل وتحقيق منجزات لم تحصل ربما في تاريخ البشرية ، فالثورة الصناعية وصناعة السيارات والطائرات والصواريخ وغزو الفضاء ووسائل الاتصالات الحديثة هي تطور علمي وتكنولوجي هائل والاهتمام بالعلم المادي وصرف الكثير من المال عليه جعل الدول العلمانية الغربية هي الأقوى والأغنى في العالم زد على ذلك قدمت نوعا من الحرية والديمقراطية للأفراد في الآراء والعقيدة والدين وحرية العمل وأنقذت أوروبا من الجهل والفقر والبؤس ومن استغلال رجال الدين الفاسدين للشعوب الاوروبية ومن مشكلات كانت تعاني منها [١] .

ولكن في مقابل هذه الإيجابيات حصلت الكثير من السلبيات فعزل الدين عن الدولة و الحياة أدى إلى كوارث وانهيار وانحلال وفساد أخلاقي في المجتمع الغربي وتدمير المجتمع وربما سوف يؤدي إلى انهيار الحضارة الغربية في المستقبل كما تنبأ أوسفالد شبينغلر [٢] [٣] .

([١]) ينظر : العلمانية منبع الضياع ، عيد الدويهيس ، الطبعة الأولى ، (١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م) : ٧٨ ، ينظر : فشل العلمانية وإرتباطها بالماسونية ، د. منال محمد أبو العزائم ، ١٤٤٥ هـ : ٧ .

([٢]) أوسفالد شبينغلر هو مفكر وفيلسوف ومؤرخ ألماني بارز، اشتهر بكتابه المؤثر (تدهور الغرب) الذي نُشر في جزأين (١٩١٨ و١٩٢٢). في هذا العمل، قدم نظرية مثيرة للجدل حول صعود وسقوط الحضارات ، ينظر : تدهور الحضارة الغربية ، أوسفالد شبينغلر ، ترجمة أحمد الشيباني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان: ٨ .

([٣]) ينظر :المصدر نفسه : ٩ – ١٠ – ١١ .

"الأمر الذي دعا رئيس الوزراء البريطاني جون ميجور [١] – مثلا – لأن ينبه إلى ضرورة العودة إلى الأخلاق والقيم في المجتمع الإنجليزي. وتعالت أصوات أخرى عديدة تطالب بإحياء قيم الأسرة والتراحم والفضيلة"[٢] . وذلك بعد ما عانت المجتمعات من أمراض وتفسخات وأصبحت تهدد وجودها واستقرارها. وأصبح الإيدز والتشرد و واللقطاء وإدمان المخدرات والتحلل الأخلاقي من صفات المجتمعات الغربية الحديثة [٣] .

المطلب الأول: آثار العلمانية في الفرد

يتناول الموضوع آثار العلمانية في الفرد الغربي وتأثيرها على الدين والروح والقيم المادية.

أولا: الابتعاد عن الدين المسيحي

كان من نتائج العلمانية أن أصبحت الديانة المسيحية مجرد هيكل بدون أهمية فهي شبه ميته ليس لها تأثير في حياة أكثر الأفراد في الغرب، والكثير من الغربيين أصبحوا ملحدين أو بدون ديانة كيف لا ،والكنيسة تقول لهم أن المسيح هو الله ،فلم يعد الإنسان الغربي الحديث يصدق مثل هذا الكلام؛ لأنه يؤمن بالمادة فقط وفق نظرية مالا تراه عيني لا أصدقه، وأصبحت وظيفة الكنيسة ورجال الدين هي دفن الموتى والصلاة عليهم، وكذلك زوال أهمية المسيحية كسلطة عامة لإعطاء الشرعية على السياسة والنظام والقانون والتعليم والتربية [٤] .

([١]) هو سياسي بريطاني من حزب المحافظين، وُلد في ٢٩ مارس ١٩٤٣ في لندن. تولّى رئاسة الوزراء في المملكة المتحدة بعد استقالة مارغريت تاتشر في عام ١٩٩٠، وبقي في المنصب حتى عام ١٩٩٧، حين خسر الانتخابات أمام توني بلير من حزب العمال ، ينظر : جون ميجر قصة حياتي ، تعريب وليد شحادة ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ، الرياض ، (١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م) : ١٥ .

([٢]) المفترون خطاب التطرف العلماني في الميزان ، فهمي هويدي ، دار الشروق ، القاهرة : ٢٤٣ – ٢٤٤.

([٣]) ينظر : المصدر نفسه : ٢٤٣.

([٤]) ينظر : مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة المانية) ، للقس الألماني الدكتور جوتفريد كونزلن ، تقديم وتعليق محمد عمارة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٩ م : ١٧.

ثانيا: الابتعاد عن الجانب الروحي

عملت العلمانية على إفراغ عقل الفرد وقلبه من الجانب الروحي لأنها أشعرته بعدم أهميته و لزومه هذا الفراغ الذي يعيشه الأمريكي أو الأوروبي بعيدا عن الدين ، والذي أجبر الكنائس لاجتذاب الناس لها بأن تقيم حفلات الرقص المختلط في نهاية كل صلاة لتشجيع الناس على الارتباط بالكنيسة هذا الفراغ الذي يعيشه الأوربي أو الأمريكي ، روحيا ، فكريا له أثر عميق داخل الفرد ، فالإنسان الأمريكي أو الأوربي وإن يظهر سعيدا لكنه في حقيقته غير ذلك على رغم من توافر إمكانات الحياة المادية ، لأنه يحس بفراغ داخلي وقلق لم تستطع الفلسفات والأفكار البشرية أن تملأه ، ولا محاولات اللهو الخاوية التي وصلت في سقوطها وانحدارها لدرجة تمتعض بعض الحيوانات من فعله ؛ لأن الحل الحقيقي هو الايمان بالله والدين ، وكان من نتيجة ذلك إصابات بأمراض نفسية وعصبية مثل الاكتئاب و الجنون و الصراع الذي انتشر بشكل كبير حيث لم تكن متوافرة قبل ظهور الحضارة الحديثة المادية وصاحب ذلك ارتفاع نسبة انتحار بشكل كبير وتفسير ذلك أن الإنسان الغربي يعيش حياة الضنك ، التي قد تتوافر مع توافر الرفاهية المادية لأنها أمر نفسى داخل الفرد لا صلة له بتوفر إمكانات الحياة أو عدم توافرها [١].

"ومن ثم فإن الضنك أكثر انتشارا في مجتمعات الرفاهية المادية التي سعى الغرب للوصول إليها ، ونسى أنه قد ترك نصف تكوينه أشبع (الجسد) ، وتغافل عن (الروح). وصدق رب العالمين : "﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونَحْشُرُه يوم القيامة أعمى ﴾" [٢] هذا في مقابل المؤمن المطمئن السعيد : "﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾" [٣][٤] .

([١]) ينظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة : ٧٩ –٨٠ .

([٢]) سورة طه / ١٢٤ .

([٣]) سورة طه / ١٢٣ .

([٤]) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ٨٠ .

وفي ظلال البيئة العلمانية يتشتت الفرد، بناء على تشتت مصيره، ويكون مزدوج الشخصية بين الروح والمادة بسبب الثنائية التي اصطنعها وانقطاع الصلة الأمر الذي باعد به بين عالمي الأرض والسماء كل ذلك يؤدي إلى شعور العلماني وتصوره إلى فوضى يسودها والصدأ والانفصال والجفاء الذي فتح عين الإنسان على حقيقة مؤلمة، وهي أن ليس ثمة مصير مشترك ينتهي إليه، ومن ثم أصبحت حياته متناثرة لا يجمعها مصير مشترك ينتهي إليه بينما يسير المؤمن الموحد بطريق ثابت واضح في طريق واضح أبلج لا عثار فيه ولا زلل ، وهو مملوء يقيناً وثقة بأن سيره في غير هذا الطريق، أو تركه سيؤدي به إلى الخسران [1] .

وعلى الرغم من أن الحضارة الغربية العلمانية قد قدمت للفرد كل وسائل الرفاهية وكل أسباب النجاح المادي، إلا أنها لم تنجح في أن تقدم له شيئا واحدا وهو والطمأنينة والسعادة والسكينة ، بل العكس قدمت للفرد مزيدا من القلق والتعاسة والتمزق والبؤس والاكتئاب، وذلك لأن السكينة والسعادة أمور ترتبط بالروح، والروح لا يشبعها إلا الإيمان بالله، واجتناب نواهيه والالتزام بأوامره[2].

ثالثا : الابتعاد عن الله

العلمانية تدعو للابتعاد عن الله و الدين عن طريق عزل الدولة عن الدين، بل عن الحياة كلها ، والدين هو القرب من الله وذكره وعبادته ، ومعرفة شريعة الله وقصص أنبيائه واتباع أوامره ، وهذه أمور لا تجدها في السياسة ولا في أنظمة التعليم العلماني ولا في التفكير العلماني، ولا فهمنا للغاية التي من أجلها خلق الإنسان، فاتهام العلمانية للأديان السماوية بأنها تخلف و رجعية وأساطير وأنها ضد التقدم والعلم والحضارة وربطها جهلاً بما صدر عن بعض المنحرفين من الأديان من الحروب والجرائم والجهل ، يؤدي في النهاية إلى ابتعاد كثير من الناس عن الله تعالى

([1]) ينظر : العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، محمد حامد الناصر ، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، الرياض ، (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م): ٤١٦ .

([2]) ينظر : العلمانية وموقف الإسلام منها ، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١١٥ ، ١٤٢٢ هـ : ٣٦٠ .

ورسله وكتبه مما يؤدي إلى فتح أبواب كثيرة للشر ، فالعلاقة الصحيحة مع الله مرتبطة كليا بسعادة الإنسان ، فهذه العلاقة هي باب الفكر والعلم ، وباب العبادة، وباب الأخلاق السامية وباب الإخلاص في العمل .. إلخ ، وقد يقول قائل هناك كثير من العلمانيين يؤمنون بوجود الله وليس كلهم ملحدين فهذا تجن على العلمانية ، ونقول الإيمان بوجود الله بدون معرفة وتصديق رسله والعمل بشرائعه وعبادته هو كفر بالله، فكفار قريش كانوا يؤمنون بالله، قال تعالى: " ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ " [1] فالعلمانية جعلت حتى هؤلاء بعيدين عن الله وعن الكتب السماوية، فهم يبحثون عن العلم والفكر في كلام المفكرين والفلاسفة ، وشجعت الناس على الممارسات غير الأخلاقية والشاذة، لأن التمسك بالأخلاق والعبادة أصبح من صفات الماضي والرجعية [2] .

رابعا: خلق انسان مادي بحت

من أهم أسباب انتشار سيطرة المادة على الإنسان الحديث هو اقتناعه بالعلمانية أو نتيجة سيطرة العلمانية على طريقة التفكير الإنساني ، فأهم شيء أصبح اليوم عند الكثيرين هو الحصول على المال ، وبأي وسيلة ، ومستقبل الكثيرين أصبح يعني فقط المستقبل المادي ، وهذا ينطبق على الدول و الأفراد ، ولا شك أن المال ضروري ومهم ، ولكنه أخذ حجما كبيرا جدا ، وأكثر مما يستحق ، وقيمة الإنسان هي للمال وأصبح يُجَوِّز في سبيل امتلاك المال الكذب والنفاق والغش ، فالمبادئ والقيم الروحية كالإخلاص والصدق والأمانة لا مكان لها في نفوس الغالبية ، بل يتهم بالسطحية والسذاجة من يرفض أخذ رشاوى أو هدايا أو مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، فالفلسفة العلمانية صنعت لنا إنساناً ماديا بامتياز ، فجمع المال والثروة والمصالح أصبحت هدف الإنسان في الحياة الدنيا والتمتع بها ، فلا مكان للجوانب الروحية والنفسية ولا حياة أخروية ولا يوجد ثواب

([1]) سورة لقمان / ٢٥ .

([2]) ينظر : عجز العقل العلماني ، عيد الدويهيس ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) : ٧٢ .

ولا حساب إلهي ، ولو أمن الإنسان أن المناصب هي بيد الله سبحانه وتعالى يهبها من يشاء وينزعها ممن يشاء وبأن الرازق هو الله سبحانه وتعالى ، لامتنع عن كثير من الانحرافات ، وأصحاب الشركات وأصحاب المناصب هم الآلهة التي يعبدها الإنسان الحديث فهم عبيد له ، يتباكون إذا بكى ، ويتضاحكون إذا ضحك ففي سبيل المادة يتم التضحية بكثير من القيم ، وهذه هي الحالة التي وصل لها المجتمع الغربي ، حيث كان من المفروض أن يكون الفرد الغربي إنساناً قوياً عزيزاً ، ولكن العلمانية جعلته ضعيفاً ، فهو لا يعرف القناعة ، وهدفه التمتع بأكبر قدر من الرفاهية في المسكن والمأكل والملبس والسيارات الفارهة ، ولهذا تجده يسعى طول يومه ليعيش حياة مادية بائسة فحياته أصبحت عملاً مرهقاً ، وإذا كانت الأديان السماوية تدعو الإنسان إلى التمسك بالقيم والأخلاق في الحياة الدنيا ، فالعلمانية تقول أنت تعيش مرة واحدة لذلك عليك أن تتمتع بالملذات والشهوات ، وهذه عقيدة شيطانية ، والمادية تجعل علاقة الإنسان ضعيفة بالله وبوالديه وجيرانه وأقاربه ، ومن المعروف أن شعوب الدول الغربية من أقل الشعوب تواصلا [1] .

([1]) ينظر :عجز العقل العلماني ، عيد الدويهيس: ٧٣ – ٧٤ .

المطلب الثاني: آثار العلمانية في الأسرة

من آثار العلمانية السلبية على الأسرة تفكك الروابط الأسرية، نتيجة تغيّر القيم المرتبطة بالزواج والمسؤولية. وإلى أن ضعف الالتزام بالضوابط الدينية قد يؤثر في استقرار الأسرة وتماسكها.

أولا: انخفاض نسبة الزواج

كان من نتائج ظهور العلمانية انخفاض نسبة الزواج بشكل كبير ، ومدة فترات المعاشرة مع الشريك التي تسبقه والتي تمتد سنين هي مدة فترات الزواج (الحقيقي) ، وإن كان في حقيقته علاقات محرمة غير شرعية وغالبا ما تنتهى مدة فترات المعاشرة بالانفصال للانتقال إلى المعاشرة مع شريك آخر أو الغاء فكرة الزواج وتحمل المسؤولية إلى فكرة المعاشرة الحرة الاختيارية بينهما دون أعباء الزواج ، وحتى إذا اختاروا الزواج فهم يكرهون الأطفال ، وقد وصل بهم الأمر إلى حد أن أكثرهم إذا رزق بأطفال فإنهم غالبا لا يصحبونهم في العطل في نهاية الأسابيع حتى يستمتعوا وحدهم بالنزهة دون ازعاج الأطفال [١] .

و الجنس المفتوح والحرية الجنسية أدت إلى عزوف كبير من الرجال عن الزواج وانخفاض كبير في أعداد المتزوجين فشعوب الدول الغربية أقل الشعوب رغبة في الزواج مع أن أوضاعهم المادية ممتازة وهذا وضع طبيعي؛ لأن الرجل يستطيع أن يصل للجنس بيسر و سهولة ولن يكون راغبا بالزواج أصلا حتى من أجمل النساء ، وإذا حدث الزواج فالمجتمع العلماني ملوث بالخيانة الزوجية والعناد والأنانية والطمع والقيم الخاطئة وغير ذلك ، فمن الطبيعي أن تكون نسبة الطلاق أكثر من ٥٠٪ أو أكثر في أوروبا وأمريكا فهل هذا تخلف أم تقدم ؟ أليس في هذا عسر وتعاسة للإنسان وهذه التعاسة لم تكن موجودةً بهذه الدرجة في القرون الوسطى أيام حكم الكنيسة قبل ظهور العلمانية [٢] .

([١]) ينظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ٧٩ – ٨٠ .

([٢]) ينظر : العلمانية منبع الضياع ، عيد الدويهيس: ٧٩ .

ثانيا: المساكنة

المساكنة هي ظاهرة انتشرت في الغرب بشكل كبير في السنوات الأخيرة والمساكنة تعني أن يشترك شخصان بالسكن في منزل واحد دون زواج ويقيمان علاقة عاطفية وجنسية وفي بعض الأحيان من الممكن أن يحصل إنجاب للأطفال ، ومن أسباب ذلك الحرية الجنسية والانسلاخ عن تعاليم الدين المسيحي الذي يُحَرِّم الزنا وقيام الدول العلمانية بوضع قوانين تصعب الزواج إلى درجة أنه في حالة الطلاق تأخذ المرأة نصف ثروة الرجل وكثرة الزيجات الفاشلة ، مما جعل الكثيرين ينفرون من الزواج ومسؤولياته إضافة إلى العوائق التي يفرضها المجتمع الآلي والاستهلاكي أمام العلاقة الزوجية بما فيها علاقة الحب ، وأن المرأة غير المتزوجة تخدم الاقتصاد الرأسمالي العلماني لأنها تكون أكثر إنتاجية من المرأة العاملة المتزوجة التي لديها أطفال [1].

ثالثا: أسرة الام العزباء وأسرة المثليين

عملت العلمانية على تدمير الأسرة من خلال تشجيعها على العلاقات خارج إطار الزواج وما ينتج عنها من أطفال بلا أباء مما أدى إلى مشكلات كبيرة وتدمير بنية الأسرة وظهور أسر جديدة و زيادة عدد اللقطاء والجمعيات التي ترعاهم ، وشيوع الإجهاض، فظهر في الدول الغربية مصطلح أسرة الأم العزباء للإشارة إلى الأسرة المكونة من أم وأطفالها الذين أنجبتهم من علاقات غير شرعية خارج إطار الزواج واختارت هي رعايتهم، في حين اختار الأب الهروب من مسؤوليتهم . وهذا الشكل شائع ومنتشر ، وكذلك ظهرت أسر المثليين أي أسرة مكونة من رجل ورجل أو امرأة وامرأة وفي بعض الأحيان يكون لديهم أطفال من خلال التبني حيث أن الدول العلمانية تسمح بذلك فتصور هذه الكارثة ،فكيف يتربى طفل في أسرة مكونة من الشواذ [2].

([1]) ينظر: الجنس في أنوار وظلاله رؤية إنسانية و إيمانية ، كوستي بندلي ، منشورات النور : ٣٦ –٣٧ .

([2]) ينظر: العلمانية المعاصرة مخاطرها وسبل مواجهتها ، إيمان طلال أحمد المقادمة ، الجامعة الإسلامية غزة ، (١٤٣٥ هـ – ٢٠١٣ م) : ٤٥ .

رابعا: الجرائم الأسرية

لا شك أن من أبرز آثار العلمانية والبيئة الثقافية الغربية الحديثة، تفكك الأسرة وانهيارها في المجتمعات الغربية حيث أدى انتشار الفكر العلماني وتراجع الدور الديني في حياة الناس إلى تفكك البنية الأسرية وانهيار القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحفظ تماسك الأسرة .[١] "فقد ذكر تقرير أعدته جامعة أوهايو الأمريكية عن قيام عشرة آلاف مراهق ومراهقة تتراوح أعمارهم ما بين (١٤) سنة، و (١٧) سنة بقتل آبائهم وأمهاتهم خلال العام الماضي بإطلاق الرصاص عليهم. وأوضح التقرير أن غالبية القتلة من المراهقات اللاتي حكمن بالإعدام على الوالدين لسوء المسلك الأخلاقي لهما"[٢].

خامسا: انفصال الأبناء عن الاسرة

تُلاحظ في كثير من الأسر الغربية هشاشة الروابط العاطفية والأسرية، حيث يُتوقَّع من الأبناء، عند بلوغهم سن الرشد، مغادرة المنزل الأسري، بل وقد تُمارَس عليهم ضغوط مباشرة لفعل ذلك إن تأخروا. ويُعزى هذا التوجه إلى التغيرات الاجتماعية التي أحدثتها العلمانية في الغرب وهيمنة النزعة الفردانية التي تُعلي من شأن الاستقلال الذاتي ومركزية الفرد على حساب الأسرة كوحدة اجتماعية متماسكة. وقد عبّرت إحدى الفتيات المسلمات المقيمات في الغرب عن استيائها من تعرّضها للّوم من أسرتها بسبب استمرار إقامتها معهم بعد تجاوزها سن الثامنة عشرة، وهو ما يعكس اختلافًا ثقافيًا وقيميًا في تصور العلاقة بين الفرد والأسرة.ويترتب على هذا النموذج الأسري تراجع أدوار الدعم العاطفي والتكافل بين الأجيال، الأمر الذي يؤثر سلبًا في الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد. كما تسهم هذه النزعة في إعادة تعريف الأسرة بوصفها مرحلة مؤقتة

---

(١) ينظر : النظام السياسي الإسلامي والفكر الليبرالي ، دكتور محمد الجوهري حمد الجوهري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٣ م : ١٢٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٨ .

في حياة الفرد، لا إطارًا دائمًا للانتماء والرعاية. ويقابل هذا التصور نماذج ثقافية أخرى ترى في الأسرة نواة أساسية لبناء القيم واستمرار الروابط الاجتماعية عبر الأجيال [١] .

سادسا: انتشار زنا المحارم في الأسر الغربية

أدى الانفلات الأخلاقي والفكري ؛ إلى انتشار ظواهر شاذة مثل زنا المحارم في المجتمعات الغربية ؛ وترجع جذور هذه الانحرافات إلى الفكر التحليلي لفرويد الذي فصل الغريزة عن الضوابط الدينية، فحوّل العلاقات الأسرية إلى تفسيرات جنسية مريضة، ثم تبنّت العلمانية الغربية هذه النظريات في التعليم والإعلام، مما مهّد لانتشار الفساد تحت شعار الحرية الشخصية. وهكذا يتضح أن العلمانية حين تنزع القداسة عن الأسرة وتلغي المرجعية الدينية، تفتح الباب أمام انهيار القيم وخراب المجتمع من الداخل. [٢] "وقد نشرت صحيفة الهيرالید – تربيون[٣] في عددها الصادر (١٩٧٩ / ٦ / ٢٩) ملخصاً لأبحاث قام بها مجموعة من الأخصائيين من القضاة والأطباء وعلماء النفس في الولايات المتحدة حول ظاهرة نكاح المحرمات في الولايات المتحدة خاصة والمجتمعات الغربية عامة. ويقول الباحثون : إن نكاح المحرمات لم يعد نادر الحدوث، وإنما هو منتشر لدرجة يصعب تصديقها ، فهناك عائلة من كل عشر عائلات أمريكية يمارس فيها هذا الشذوذ والغريب حقاً : أن الغالبية العظمى (٨٥) بالمئة من الذين يمارسون هذه العلاقة الشاذة مع بناتهم وأولادهم أو بين الأخ وأخته أو بين الأم وابنها هم من العائلات المحترمة في المجتمع والناجحة في أعمالها، والتي لا تعاني من أي مرض نفسي، وليسوا من المجرمين ولا من العتاة

([١]) ينظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ٨٢ .

([٢]) ينظر : العلمانية جذورها واصولها ، محمد علي بار: ٢٦١- ٢٦٢ ,

([٣]) هي صحيفة يومية تصدر باللغة الانكليزية تصدر في باريس للقراء الناطقين بالإنجليزية الدوليين. كان هدفها أن تصبح أول صحيفة عالمية في العالم .نُشرت منذ ١٩٦٧ إلى ٢٠١٣، انترناشيونال_هيرالد_تريبيون https://ar.wikipedia.org/wiki

ولا من السيكوبات[1]، وإنما هم في الغالب من رجال الأعمال أو الفنيين الناجحين في أعمالهم وحياتهم"[2]. وفي النهاية نذكر أنه يتم الآن في السويد دارسة إصدار قانون يسمح رسمياً أن يمارس الفتى العلاقة الجنسية مع أخته، وعما قريب ربما سيتوسع ذلك إلى بقية الدول الغربية[3].

(1) هي حالـه قصـور كبيـر فـي التوافـق الاجتماعي للفرد، يلازمـه طـوال حياتـه، وهـ ي حالـه مرضـية، تبـدو فـي سلوك انـدفاعي، مستمر يستهجنه المجتمع، ويعاقب عليه، الشخصية السيكوباتية وعلاقتها بالوحدة النفسية وتقدير الذات لدى السجناء المودعين بسجن غزة المركزي ، رائد أحمد أبو هويشل ، الجامعـة الإسلامية – غـزة (١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣م)

(2) العلمانية جذورها واصولها ، محمد علي بار: ٢٦٥ .

(3) ينظر: المصدر نقسه : ٦٦٧ .

المطلب الثالث: أثار العلمانية على المجتمع

تؤدي العلمانية إلى تراجع دور الدين في الحياة العامة؛ مما يؤثر في تماسك المجتمع وهويته.

أولا: انتشار الزنا

يشهد الغرب في العصر الحديث أزمة اجتماعية متفاقمة تتمثل في انتشار العلاقات غير الشرعية وارتفاع معدلات الإجهاض والمواليد خارج إطار الزواج، رغم التقدم المادي، وتعد هذه الظواهر نتيجة مباشرة لفصل الدين عن الحياة العامة حيث غابت القيم الدينية التي تضبط السلوك وتحمي الأسرة. لقد جعلت العلمانية الحرية الفردية مطلقة بلا ضوابط ، مما أدى إلى تفكك الروابط الأسرية وتدهور القيم الإنسانية. وقد جاء مقالاً بعنوان (شيء للتفكير) نشرته الشرق الأوسط في عددها الصادر (١٩٨٠ / ١ / ٦): إن عدد اللواتي يلدن بسبب الزنا في الولايات المتحدة في سن المراهقة[١] "لا يقل عن ستمائة ألف فتاة سنوياً، بينهن أكثر من عشرة آلاف فتاة دون سن الرابعة عشرة. وإن إجمالي عدد اللائي يلدن سفاحاً في سن المراهقة وغيرها أكثر من مليون امرأة سنوياً، وذلك في الولايات المتحدة فقط حسب إحصائيات عام ١٩٧٩م ، وما يهم المسؤولين في أمريكا هو أن على الدولة القيام بإعالة هؤلاء لفترة قد تطول وقد تقصر بسبب انتشار البطالة. وأن كل طفل يولد من سفاح سيكلف الدولة ثمانية عشر ألف دولار والكارثة في الواقع ليست اقتصادية فحسب، فهي اجتماعية قبل كل شيء، وقد تزلزل بنيان الأسرة التقليدي وتهدم وفي هذا عبرة وأي عبرة للدول النامية. وفي تقرير أعدته لجنة إن في الولايات المتحدة ١٢,٥ مليون طفل أمريكي يعيشون مع أمهاتهم فقط، لأنه لا يعرف لهم آباء أصلا، أو بسبب الطلاق" [٢]

ثانيا: إجهاض الأطفال وقتل الاجنة

---

(١) ينظر:الامراض الجنسية أسبابها وعلاجها ، الدكتور محمد علي بار ، دار المنايرة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، جدة ، (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) : ٢٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٢ ، ينظر : العلمانية جذورها واصولها ، محمد علي بار: ٢٥٨ .

تلجأ النساء في الدول الغربية إلى عمليات إجهاض للتخلص من الجنين الذي جاء نتيجة العلاقات غير الشرعية خارج أطر الزواج وكثرت هذه الظاهرة بالغرب نتيجة انتشار الزنا والانهيار الأخلاقي الذي أفرزته العلمانية، وسماح الدول الغربية حيث قامت هذه الدول بسن قوانين وتشريعات تسمح بعمليات إجهاض قانونية دون اعتبار أن إجراء هذه العمليات هو قتل الأجنة وجريمة جنائية وإنسانية ومحرمة من الأديان السماوية ويستثنى من ذلك اسبانيا والبرتغال ودول أمريكا اللاتينية الكاثوليكية التي تحرم الإجهاض ووسائل منع الحمل ومع ذلك ينتشر الإجهاض غير القانوني والجنائي بشكل كبير [١] ونذكر هنا بعض الإحصاءات :

١- "مليون حالة إجهاض سنويا في الولايات المتحدة .

٢- مليون حالة إجهاض سنويا في أوروبا ، عدا اسبانيا والبرتغال.

٣- مليون حالة إجهاض سنويا في اسبانيا والبرتغال؛ لتحريم المذهب الكاثوليكي حبوب منع الحمل ، ولكثرة السياحة هناك .

٤- ٣ مليون حالة إجهاض سنويا في أمريكا اللاتينية" [٢].

ثالثا: الخيانة الزوجية

كان الزواج هو رباط مقدس في الديانة المسيحية وكانت الزوجة تحافظ على عرضها وشرفها قبل الزواج وبعده ،وكذلك الزوج، فالديانة المسيحية تحرم الخيانة الزوجية ،والعلاقات خارج نطاق الزواج هذا هو الحال في القرون الوسطى قبل ظهور العلمانية في عصر النهضة والذي حصل أن ظاهرة الخيانة انتشرت في المجتمع الغربي العلماني بشكل كبير ومرعب وأصبحت أمرا طبيعيا لا مشكلة فيه لاسيما عندما يغيب الخوف من الله وعندما يغيب الدين من

([١]) ينظر : مشكلة الإجهاض دراسة طبية فقهية ، د. محمد علي بار ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، جدة ، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) : ٢٣ - ٢٤ .

([٢]) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ٨٣ .

عقول الناس فلا يوجد رادع ولا عقاب ولا شعور بالذنب فتصبح الخيانة أمرا سهلا وعلى الرغم من أن الخيانة الزوجية في الدول العلمانية الغربية كانت تعتبر جريمة جنائية يعاقب عليها القانون إلا أن أكثر الدولة العلمانية قامت بإلغاء القوانين التي تجرم الخيانة طالما أنها حصلت بين شخصين بالغين بالتراضي [١]. وتشير الاحصائيات أن "٨٠٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم وقريبا من هذه النسبة زوجات يخن أزواجهن"[٢].

رابعا: ادمان الخمر والمخدرات

تُعدُّ ظاهرة إدمان الخمر في الغرب من أبرز المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المجتمعات المتقدمة. إذ لا يقتصر تأثير هذه الظاهرة على الفرد المدمن فحسب، بل يمتد ليشمل الأسر، والمؤسسات التعليمية والصحية؛ وكل ذلك نتيجة القوانين العلمانية التي تبيح المتاجرة وتصنيع هذه المواد، [٣] "وقد نشر المجلس الوطني في أحد السنوات إحصائية يذكر فيها أن في أمريكا وحدها عشرات الملايين من الرجال والنساء، يدمنون الخمر إلى حد التسمم وأن الخمر تتسبب في: ١٠% من حالات الجنون والاضطراب العقلي التي أدخلت المستشفيات ٣٠% من حالات الطلاق وتشرد الأطفال، ٤٥% من حوادث السيارات ٦٥% من أسباب البطالة أو التهرب من العمل" [٤] .وهناك الكثير من الشخصيات في الغرب ممن كتبوا سيرة حياتهم أو تحدثوا عنها ذكروا مشاكلهم مع إدمان الكحول أو المخدرات فهذه الممنوعات دمرت عوائلهم أو ضيعت أموالهم أو دفعتهم لعصابات الجريمة المنظمة أو غير ذلك ،ويعد الإنسان الغربي نفسه قد حقق

---

(١) ينظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٣.

(٣) ينظر : الإدمـان الكحولي مرض نفسي وبؤس عقلي وتخلف حضاري تحريمه أنواعه ،مخاطره علاجه والوقاية منه ، د . ناصر محيي الدين الملوحي ، دار الغسق ، الطبعة الخامسة ، سوريا (١٤٤٤ هـ – ٢٠٢٣ م) : ٦٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٦٤ .

إنجازاً كبيراً بتخلصه من إدمان الكحول ، في حين أن هذا الإنجاز حققه مئات الملايين من المسلمين سواء الملتزمين منهم أم غير الملتزمين ، فنسبة إدمان الخمر منخفضة جداً في عالمنا الإسلامي؛ لأن الإسلام يعتبرها من الكبائر ،وينظر المجتمع المسلم بازدراء لمن يشرب الخمر[١].

ويتفق جميع الأطباء والباحثين والدارسين على أن للخمر أثارا سيئة ، و إدمان الخمور والمخدرات تؤدي إلى امراض صحية و نفسية كثيرة ، وإلى العنف الأسري وإلى مشاكل في الأسرة والطلاق ،و إلى مشكلات في العلاقات الاجتماعية ،وقد تؤدي في بعض الحالات إلى الانتحار أو الاغتصاب سواء اغتصاب المحارم أو غيرها أو الجرائم والسرقة وغيرها الكثير ومع كل هذه المشكلات تسمح الدول العلمانية بتصنيع الخمور والتسويق والدعاية والمتاجرة بها [٢] .

وأما المخدرات فهي السم القاتل المدمر للفرد و للمجتمع وهي أشد خطرا وتدميرا من الخمر وعلى الرغم كون جميع أنواع المخدرات ممنوعة في أغلب الدول الغربية إلا أن الكثير من الدول العلمانية سمحت بالحشيش للاستخدام الشخصي والترفيهي مثل هولندا وألمانيا لوكسمبورغ وغيرها فضلا عن دول أخرى في الطريق بالسماح به [٣] .

خامسا: الجرائم

يؤدي الدين دورا مهما في الحفاظ على المجتمع ،ومع فصل الدين عن مناحي الحياة تبرز العديد من المشكلات الاجتماعية، فتشير الإحصائيات الغربية الى ارتفاع الجرائم بشكل كبير جداً مع وجود أجهزة أمنية قوية ، فجرائم القتل والاغتصاب والخيانة الزوجية والمخدرات والإجهاض والابتزاز مرتفعة وهذه الإحصائيات في حالة ازدياد كل يوم ، ويوجد في الدول الغربية أخطر العصابات الاجرامية والمافيات وتجار المخدرات وتجار السلاح وعلى الرغم من ارتفاع جرائم

([١]) ينظر : العلمانية منبع الضياع ، عيد الدويهيس: ٨٠ .

([٢]) ينظر : الخمر عقوبتها واثارها ، د علي بن راشد الدبيان ، مجلة العدل ، العدد ٣٧ ، ١٤٢٩ هـ : ٢٤٤.

([٣]) ينظر : المخدرات نيكول مايستراشي ، ترجمة زينا مغربل ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، الرياض ، (١٤٣٦ هـ – ٢٠١٤ م) : ٩٧ – ٩٨ .

القتل بسبب السماح بترخيص استخدام الأسلحة النارية ومع ذلك لا يتم منع حيازة السلاح في أمريكا [١] . و"أما نسبة الجرائم فقد تزايدت بصورة رهيبة ، وفى إحصائية عن الولايات المتحدة الأمريكية : ١,٧٥٠,٠٠٠ جريمة خطيرة كل عام ، وقبض على٠٠٠ , ٥٠٠ , ١ طفل ما بين ٧ – ١٧ سنة ، كما وصلت حالات الانتحار ٠٠٠ , ٢٠٠٠ حالة كل عام" [٢] .

سادسا: الشذوذ الجنسي وزواج المثليين والهوية الجندرية [٣]

يستمر العالم الغربي بالهبوط الى ما دون الحيوانية فالشذوذ الجنسي تتعفف الحيوانات على فعله ،وصار ظاهرة طبيعية في الغرب من الناحية الاجتماعية، وسمحت القوانين العلمانية بالشذوذ الجنسي على الرغم من التحريم الديني حتى أن المحاكم العلمانية تقوم بعقد زواج للمثليين وهم يتمتعون بكافة الحقوق والدعم من الأحزاب والحكومات الغربية ، ومن المهازل هو سماح الحكومة البريطانية لأعضاء البرلمان الذي حكم العالم في فترة من العصور بممارسة الشذوذ الجنسي بشرط أن يتم خارج مقر البرلمان [٤]. وتشير الإحصائيات الجديدة في الولايات المتحدة إن عدد الشاذين جنسين يتراوحون ما بين ١٨ و ٢٠ مليوناً [٥]. و لقد أصبح الزواج المثلي في الدول الغربية أمراً مقبولاً تحت شعار الحرية، بعد أن كان يُعدّ في السابق انحرافاً جنسياً. ويُنظر إلى تغيّر الرأي

([١]) ينظر : العلمانية منبع الضياع ، عيد الدويهيس: ٨٠.

([٢]) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ٨٤ .

([٣]) هي "ما يشعر به كل شخص في قرارة نفسه من خبرة داخلية وفردية بالنوع الاجتماعي، بصرف النظر عن النوع المقيد في شهادة الميلاد، بما في ذلك إحساس الشخص بجسده (ها) وقد يشمل ذلك . بشرط حرية الاختيار . تعديل مظهر الجسد أو وظائفه بوسائل طبية أو جراحية أو بوسائل أخرى، وغير ذلك من وسائل التعبير عن النوع كاللباس وطريقة الكلام والسلوكيات" ، المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية ، أحمد طه ، الطبعة الالكترونية الأولى ، (١٤٤٢ هـ ٢٠٢١ م) : ٥٢ .

([٤]) ينظر : الإسلام يتصدى للغرب الملحد ، الدكتور محمد نبيل النشواتي ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، دمشق ، (١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م) : ٤٦ .

([٥]) ينظر : العلمانية جذورها واصولها ، محمد علي بار: ٢٦٠ .

العام تجاه المثلية بوصفه أحد المظاهر البارزة لحالة الانفلات والاضطراب الأخلاقي التي رافقت الثورة الجنسية. فحتى ما بعد الحرب العالمية الثانية، كان الطبّ النفسي يصنّف المثلية ضمن أشكال الانحراف والفساد الجنسي. غير أنّ تحولاً مهماً وقع عام ١٩٧٢م حين عدّ الدليل الأمريكي لتصنيف الاضطرابات النفسية المثليةَ مرضاً نفسياً، لكنه سرعان ما تراجع عن ذلك في النسخة اللاحقة!، ليُعاد توصيفها كميول شخصية وطريقة حياة لا تستوجب العلاج أو التصحيح[١] .

و"يتم تدريس المثلية الجنسية في المدارس من مرحلة "الروضة، والمرحلة الابتدائية، إلى المرحلة المتوسطة" خاصة في بلدان أوروبا الغربية، وأمريكا الشمالية .فعلى سبيل المثال: في السويد وفي روضة للأطفال تقول سياسة المدرسة: يتجنب المعلمون استخدام الضمير هو و هي عند التحدث إلى الأطفال؛ بهدف تحرير الأطفال من التوقعات الاجتماعية على أساس جنسهم، وهم أحرار في ارتداء الملابس التي يرونها مناسبة لنوعهم بغض النظر عن طبيعتهم البيولوجية" [٢] ،و يُعَدّ ما يُعرف بالهوية الجندرية من أخطر الآليات المستخدمة في تطبيع الممارسات الجنسية الشاذة، بل ربما يكون أخطرها على الإطلاق؛ لأنه يسعى إلى إضفاء بُعد فلسفي وعقلي على الشذوذ بطريقة لم تخطر ببال قوم لوط ولا حتى الشيطان نفسه. فمصطلح (Gender) يشير إلى النوع الاجتماعي، ويُفهم وفق هذا الاتجاه على أن تحديد هوية الإنسان الجنسية أمر يقرره الفرد لنفسه، ويُعدّ جزءاً أصيلاً من حرّيته الشخصية. ويرتبط بذلك مفهوم آخر ملازم له وهو التوجّه أو الميول الجنسية(Sexual Orientation) ،الذي يقوم على فكرة أن الإنسان يختار بنفسه نوع الميول التي يرغبها، بحيث يُفصل تحديد نوعه الجنسي عن الطبيعة التي خُلق عليها ذكراً كان أم أنثى، ويُفصل أيضاً تحديد ميوله عن مقتضى الفطرة البيولوجية التي تميل فيها الذكورة إلى الأنوثة والعكس. ووفق هذا التصور، يصبح كل من الهوية الجندرية والميول الجنسية خيارات ذاتية مطلقة

---

(١) ينظر : العلمانية المعاصرة مخاطرها وسبل مواجهتها: ٤٥ .

(٢) المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية ، أحمد طه ، الطبعة الالكترونية الأولى ، (١٤٤٢ هـ ٢٠٢١ م) : ٧٧ .

لا يقيّدها قيد بيولوجي أو فطري أو ديني أو. كما يفترض هذا الفكر أن المجتمع هو الذي يفرض على الأطفال هويتهم الجندرية من خلال أساليب التعامل والتنشئة، مما يجعلها بزعمهم هوية مكتسبة وليست فطرية، وبالتالي يحق للإنسان عند بلوغه أن يغيّر هويته وفق ما يراه مناسباً [١].

سابعا: انتشار الدعارة

تبيح القوانين في غالبية الدول العلمانية تجارة الدعارة والخدمات الجنسية؛ ولذلك، فهي منتشرة بكثرة على رغم من انتشار السفاح والشذوذ والإباحية، وهو أمر تعجب له وفي رأى الغربيين في سبب انتشار الدعارة أنه بمقياسهم المادية أقل تكلفة من المعاشرة والصداقة فما يقدمه الشريك لشريكته يفوق تكلفة الدعارة ، فضلا عن أن البعض من الرجال قد لا يجد شريكه بسهولة أو قد يكون منشغلا وليس لديه الوقت الكافي لإقامة علاقات ، ومن ثم فهو يجد الدعارة ، بكل سهولة والدعارة لم تعد قاصرة على حاملي رخصة الدعارة، وأحيانا يمارس من سيدة البيت المحترمة بموافقة زوجها لتحسين واقع الأسرة أو شراء شيء في البيت لا يتوفر من الدخل[٢].

ثامنا : انتشار الامراض الجنسية

تُظهر الإحصاءات الطبية الحديثة الانتشار الواسع للأمراض الجنسية في العالم بصورة مقلقة، نتيجة الانحلال الأخلاقي وتفشي العلاقات غير الشرعية والشذوذ الجنسي، خصوصاً في الدول الغربية. فقد أصبحت هذه الأمراض من أكثر الأوبئة المعدية انتشاراً، يصاب بها مئات الملايين سنوياً رغم التقدم الطبي الهائل. ويُعدّ هذا الواقع انعكاساً مباشراً لغياب القيم الدينية وهيمنة الفكر العلماني الذي فصل الأخلاق عن السلوك الإنساني، واعتبر الحرية الجسدية حقاً مطلقاً بلا ضوابط. وهكذا، تُثبت الوقائع أن العلمانية التي تنكر التوجيه الديني لا تجلب إلا

(١) ينظر: المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية ، أحمد طه: ٤٧

(٢) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ٨٣ .

الانحراف والدمار الصحي والاجتماعي، وأن سلامة الإنسان لا تتحقق إلا في ظل قيمٍ تحفظ العفة والطهارة [١].

"وفي الولايات المتحدة فإن عدد المصابين بالكلاميديا يبلغون ستة ملايين حالة سنوياً، والمصابون بالسيلان ثلاثة ملايين. وفي عام (١٩٨٢م) كان عدد المصابين بالهربس التناسلي قد بلغ عشرين مليوناً مع وجود نصف مليون حالة جديدة من الهربس التناسلي كل عام، ونصف مليون حالة جديدة من الزهري سنوياً. وقد بلغ عدد المصابين بمرض الإيدز حتى نهاية عام (١٩٨٥م) أكثر من (٢٠) ألفاً، حظيت الولايات المتحدة بأكثر من سبعة عشر ألف حالة. وبحلول عام (٢٠٠٧م) كان عدد حالات الإيدز قد وصل إلى خمسين مليوناً، توفي منهم أكثر من عشرة ملايين شخص"[٢]

تاسعا: انتشار الاباحية

سيطرة الإباحية على المجتمع الغربي ؛لأن العلمانية أقنعت الغربيين أن ممارسة الجنس من دون زواج هو حرية شخصية فانتشرت الإباحية وممارسة الجنس في الشوارع والحدائق والغابات لقد سيطرة الاباحية على حياة الكثيرين منهم ؛ نتيجة انتشار المجلات الجنسية والأفلام وأصبح هناك أكثر من أربعة ملايين موقع اباحي على الإنترنت ، هذا غير قنوات التلفزيون الجنسية وتنتج أمريكا فيلم اباحي كل ٣٩ دقيقة وإذا أضفنا إلى ذلك الملابس الفاضحة والحفلات المختلطة والتواجد في النوادي الليلية فمن الطبيعي أن يغرقوا في المستنقع الجنسي وأن تسيطر الشهوات على حياتهم [٣] .

وبسبب الإباحية "يعاني الفتية والشبان من ظاهرة الضعف المهني والأكاديمي ، فالذكور كما أوضح أكثر عرضة للفشل في الدراسة أو التخلّي عن طلب العلم في سن مبكر ، ونسبة الشبان الذين ينجحون في إتمام الدراسة والحصول على درجة الشهادة الجامعية أقل من نظيراتهم

([١]) ينظر : العلمانية جذورها واصولها ، محمد علي بار: ٢٥٩ .

([٢]) المصدر نفسه: ٢٥٩ .

([٣]) ينظر : العلمانية منبع الضياع ، عيد الدويهيس: ٧٨ .

من الفتيات، وقد أفادت دراسة طويلة الأمد أجريت بين عامي ١٩٩٧-٢٠١٢م أن ٢٥ ٪ من الرجال في سن ٢٧ عاما قد حصلوا على الشهادة الجامعية، مقابل ٣٣٪ من النساء في نفس السن، وفي أستراليا وكندا ٦٠٪ من خريجي الجامعات هم من النساء" [١] .

وشهدت الأوساط الطبية في السنوات الأخيرة ظاهرة مفاجئة تمثّلت في ازدياد حالات العجز الجنسي بين الشباب دون سن الأربعين، حيث أشارت تقارير الأطباء والباحثين إلى ارتفاع غير مبرر في مختلف أنواعه داخل هذه الفئة العمرية، وبمعدلات تفوقت أحياناً على نسب الإصابة بين الأكبر سناً، وهو ما أثار قلق المختصين لعدم شيوعه بهذا الشكل من قبل [٢] .

"ففي عام ٢٠١١م كانت نسبة العجز الجنسي لدى الرجال الأوروبيين في سن ١٨-٤٠ عاما تتراوح بين ١٤-٢٨٪، ووجدت دراسة سويدية شملت شبانا في سن ١٨-٢٤ عاما أن نسبة العجز الجنسي تصل إلى ٣٠٪، وفي دراسة أخرى أجريت في كندا عام ٢٠١٤م صرّح ٥٣،٥٪ من المراهقين الذكور في سن ١٦-٢١ عاما بأنهم يعانون من أعراض توحي بوجود مشكلات جنسية .وقد أجمع الباحثون على أن الانتشار الكبير لظاهرة مشاهدة الأفلام الإباحية على الإنترنت بين أفراد هذه الفئة العمرية قد يكون المسبب الفعلي لمشكلات الأداء الجنسي، وخاصة في وجود تقارير تؤكد تحسن الأداء بعد التوقف عن مشاهدتها" [٣] .

عاشرا : اغتصاب الاطفال

تشهد المجتمعات الغربية في العصر الحديث انتشارًا مقلقًا لظاهرة الاعتداء الجنسي على الأطفال نتيجة غياب الوازع الديني وضعف القيم الأسرية. وقد تحوّلت هذه الجريمة إلى ظاهرة اجتماعية خطيرة تهدد براءة الطفولة وتكشف الانحدار الأخلاقي الذي أفرزته الحياة العلمانية

---

(١) دماغك تحت تأثير الإباحية أضرار المرئيات الجنسية على الإنترنيت في ضوء علم الإدمان الحديث ، غاري ويلسون ، ترجمة مي بدر ، كومون ويلث ، المملكة المتحدة للطباعة والنشر ٢٠١٤ م : ٦ .

(٢) ينظر :المصدر نفسه: ٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٧ .

المادية البحتة. وذكرت مجلة الريدرز [1] ."عشرات من قصص الاعتداءات على الأطفال، وعن استخدامهم استخداماً جنسياً ليس فقط من قبل المعتدين، بل إن الأمر اتسع وأصبح تجارة واسعة باسم الفن الإباحي بحيث إن هؤلاء الأطفال يُصورون في هذه الأوضاع الشاذة، ويقوم هؤلاء التجار بتوزيع هذه المجلات وبيعها، حيث يبلغ ثمن العدد الواحد من هذه المجلات اثني عشر دولاراً ونصف وتقول المجلة: إن الأمر لم يعد محدوداً ولا ضيق الانتشار، وإنما أصبح يهدد كل بيت وكل طفل ... إنك تجدهم في المدرسة وفي المجتمعات الخيرية وبين القسس، وفي الجمعيات الرياضية وفي الكشافة، وفي الرحلات التي تنظم للأطفال وتقول الريدرز دايجست : إنَّ هناك مليون حالة من الاعتداء على الأطفال جنسياً في كل عام في الولايات المتحدة الأمريكية، ولا يكتفي المجرمون في هذه الحالات بالاعتداء الجنسي على هؤلاء الأطفال، بل يقومون بتصويرهم في أوضاع شائنة"[2] .

الحادي عشر: اشعال الصراعات والحروب

العلمانية بعزلها الدولة عن الدين ، تفتح الباب للناس للانتماءات الوضعية يلتفوا حولها ، لأنه لا يمكن للفرد إلا الانتماء، وبالتالي فهي تفتح الباب للطبقية والفردية والمذهبية والعنصرية والحزبية والقومية والعشائرية والطائفية، فالعلمانية فتحت المجال للعقول البشرية للبحث عن الحقيقة الفكرية بصورة خاطئة ، ولتصل إلى مبادئ وعقائد متناقضة ، وبالتالي فهي المسبب الرئيس للصراعات والخلافات بين المخلصين لأن كل واحد منهم سيدافع عن مشروعه ، وهذا الأمر أشعل الحروب والفتنة ليس فقط بين أهل الأديان السماوية والعلمانيين بل أيضًا بين العلمانيين أنفسهم ، كما حصل بين الرأسماليين والشيوعيين ، حيث انقسمت كثير من الدول إلى أحد الطرفين ، وأشعلت الحروب الباردة والساخنة ، ويكفي أن نعلم أن العلمانية من رأسمالية ونازية وشيوعية

([1]) ينظر: العلمانية جذورها واصولها ، محمد علي بار: ٢٦٨ .

([2]) المصدر نفسه : ٢٧٠ .

كانت وراء إشعال حربين عالمتين من أبشع الحروب في تاريخ البشرية ، كما أن أكثر الحروب خلال مائة عام الأخيرة هي حروب علمانية [١] .

الثاني عشر: انخفاض الإنجاب وخطر انقراض الشعوب الغربية

يشهد الغرب في العقود الأخيرة انخفاضًا ملحوظًا في معدلات الإنجاب نتيجة التحولات الفكرية والاجتماعية التي أفرزتها العلمانية الحديثة. وقد أدّى هذا التراجع إلى أزمة ديموغرافية تهدد التوازن السكاني واستمرار الدور الحضاري والاقتصادي للمجتمعات الغربية. [٢] و"صدر في الولايات المتحدة عام ١٩٨٧ كتاب بعنوان : (ندرة الإنجاب) أثار نقاشا حادا في مختلف الأوساط الأمريكية . وقد أوضح المؤلف – كما تقول مجلة تايم من واقع الإحصاءات أن معدل نمو السكان انخفض بشكل مخيف في الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى ، بينما تشهد الكتلة الشرقية على الجانب الآخر زيادة ملحوظة في نمو السكان . أما العالم الثالث فإن عدد سكانه سيبلغ عشرة أضعاف سكان العالم الغربي خلال الخمسين سنة القادمة لو تواصل فيه الإنجاب بمعدله الحالي ، مما قد ينجم عنه أن تفقد الولايات المتحدة مكانتها كقوة كبرى في العالم في القرن الواحد والعشرين وبذلك يتقلص نفوذ العالم الغربي في مضمار السياسة ليهبط إلى المرتبة الثانية وحل هذه المشكلة في رأى المؤلف يكتمن في استعادة نساء الغرب دورهن في إنجاب الأطفال كما كان الأمر في قديم الزمان" [٣] .

([١]) ينظر : عجز العقل العلماني ، عيد الدويهيس: ٧٨ – ٧٩

([٢]) ينظر : المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ، وحيد الدين خان ، ترجمة سيد رئيس أحمد الندوي ، مراجعة الدكتور ظفر الإسلام خان ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م : ١٣٤ .

([٣]) المصدر نفسه: ١٣٤ – ١٣٥ .

الثالث عشر: الربا

يقوم الاقتصاد العلماني على الربا على الرغم من تحريم الشرائع السماوية المسيحية واليهودية والإسلام للربا، وتتميز اليهودية بتحريم الربا بين أبناء الطائفة فقط ،واما التعامل في الربا مع الأجنبي فهو جائز [١]. ولذلك سيطر اليهود على الاقتصاد الغربي بفعل تعاملهم بالربا ومثال ذلك عائلة آل روتشيلد[٢] الذين قاموا بإنشاء المصارف الربوية في عدة عواصم اوربية ، وسيطرو على الاقتصاد الأمريكي والاوربي لفترة طويلة من الزمن وتسبب الربا بكوارث اقتصادية في اوروبا وامريكا جعلت الاقتصاديون يفكرون في نظام بديل عن الفائدة [٣] والخبراء الاقتصاديين يقولون ان النقود شريان الاقتصاد ويصيب الاموال في العالم التضخم نتيجة فوائد الربا [٤] "ويشخص هذه الحقيقة يوهان فيليب بيثمان[٥] فيقول: كلما ارتفعت الفائدة تدهور النقد، فكما يؤدي الماء إلى رداءة عصير البرتقال أو الحليب فإن الفائدة تؤدي على رداءة النقود" [٦] .

([١]) ينظر: تحريم الربا تنظيم اقتصادي ، الشيخ محمد أبو زهرة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، جدة ، (١٤٠٥ هـ – ١٩٩٥ م) : ٢١ ، ينظر : بحوث في الربا ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة : ٣

([٢]) هم عائلة يهودية ألمانية الأصل، اشتهرت بثروتها الهائلة ونفوذها المالي والسياسي عبر القرون، خاصة في أوروبا. يُعتبرون من أبرز العائلات البنكية في التاريخ الحديث لعبو دورا في تمويل الحروب وتوجيههم للقرارات العالمية ودعم الصهيونية ، ينظر : آل روتشيلد ، مجدي كامل ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، دمشق ، القاهرة : ٦ – ٧ – ١١ .

([٣]) ينظر: تحريم الربا تنظيم اقتصادي ، الشيخ محمد أبو زهرة : ٤٩ – ٥٢ .

([٤]) ينظر: الربا أثام وأضرار ، إبراهيم بن محمد الحقيل ، دار ابن حزيمة : ٢٦ .

([٥]) جوهان فيليب بتمان (١٧١٥ – ١٧٩٣) هو مصرفي ورجل أعمال ألماني من القرن الثامن عشر، ومدير البنك الألماني (فرانكفورت) ويُعدّ من أبرز الشخصيات في تاريخ المال الأوروبي ، ينظر المصدر نفسه: ٢٦

([٦]) المصدر نفسه: ٢٦ .

المبحث الثاني: أثار العلمانية في العالم الإسلامي

شهد العالم الإسلامي مع انتشار الفكر العلماني تحولات عميقة مست أنظمته الاجتماعية والقيمية، وأثّرت في مسار هويته الدينية والثقافية. وقد فرضت هذه التحولات تحديات واسعة دفعت إلى إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين الدين ومؤسسات الحياة المختلفة.

أولا: فصل الشريعة الإسلامية عن الدولة

إن الناظر الآن إلى العالم الاسلامي لا يرى تطبيق الشريعة الإسلامية فيما يعرض من مشاكل في جوانب الحياة، سواء كان ذلك في المعاملات المالية أو الإدارية أو في الشؤون الاجتماعية الأخرى كالعقوبات وغيرها إلا القليل [١] حيث تم إبعاد الكثير من أحكام الشريعة عن الدولة ومن يطالب بالرجوع إلى الحكم بما أنزل الله يتهم بالرجعية والتخلف ويتم محاربته [٢] .

ثانيا: الاقتصاد العلماني والبنوك الربوية

تم إقصاء الشريعة الإسلامية في مجال الاقتصاد، وتنتشر في الدول العربية شركات الرهون والبنوك الربوية وهي بنوك تتعامل بالربا على رغم من تحريم الإسلام التعامل بالربا ، وقد تم تأسيس هذه البنوك تحت نفوذ القوى الاستعمارية و ركز النفوذ الاستعماري على المصارف. للسيطرة على الحياة الاقتصادية في العالم الاسلامي وفي مصر قبل التوسع في إنشاء المصارف ، قد عمل الأجانب واليهود بالربا. وقد بلغ عدد البيوت لتسليف الأموال بالربا في مصر خمسين بيتاً [٣] .

([١]) ينظر: مجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي ، الدكتور محمد زين الهادي ، دار العاصمة ، النشرة الأولى ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٩ هـ : ١١٧ .

([٢]) ينظر: العلمانية ونقضها لأصل الدين ، إبراهيم بن الحاج خليف : ٢٨ .

([٣]) ينظر: سقوط العلمانية ، أنور الجندي ، دار الكتب اللبناني ، مكتبة المدرسة : ٣٣ .

والأنظمة الاقتصادية في البلدان الإسلامية هي مزيج من الاشتراكية والرأسمالية ولا وجود للنظام الاقتصادي الإسلامي ولا وجود للزكاة [١] .

ثالثا: علمنة التعليم

العلمانية تدعو الى فصل الدين عن التعليم ، أو بتعبير أدق تعليم لا ديني يعنى بالاقتصاد والرياضيات والطب والكيمياء والاجتماع ،وأخر يقتصر على القرآن والمعاملات والعبادات ... ولم يعرف المسلمون هذا التقسيم وهذه الثنائية في التعليم منذ عهد صدر الإسلام في زمن الرسول ﷺ، وبعده ، بل كان المسجد تدرس فيه كل العلوم الإنسانية والمعارف الكونية حتى أبدع علماء مسلمون في مختلف فروع العلوم الطبية والكيمياوية والهندسية ، مما لا يمكن تفصيله هنا[٢].و"استمر هذا النظام التعليمي عند المسلمين في كل الأمصار حتى إنشاء الجامعات الإسلامية النظامية في الأندلس، وفي القيروان [٣] وبغداد وصقلية[٤] والأزهر، وغيرها من الجامعات الإسلامية التي كان العلم فيها يدرس كله من خلال النظرة الإسلامية، العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، لا يفصل بينها وبين التوحيد والفقه والتفسير والحديث والبلاغة، فلا يقال هذه

---

(١) ينظر: تطور الحركة الاشتراكية في الوطن العربي ، الدكتور إلياس فرح ، منشورات الطليعة العربية ، تونس ، ١٩٨٩ : ٩، ينظر : آثار إعادة الهيكلة الرأسمالية على البشر في البلدان العربية ، نادر فرجاني : ٦

(٢) ينظر: مجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي ، الدكتور محمد زين الهادي : ١٤ .

(٣) هي مدينة تاريخية تقع في تونس، وتعد من أقدم وأهم المدن الإسلامية في المغرب العربي، بل تعتبر أول مدينة إسلامية تأسست في شمال إفريقيا ، أنشأها القائد عقبة بن نافع سنة 50هـ / ٦٧٠ م، ، وكانت مركزًا للعلوم والدين والثقافة في العصور الإسلامية الأولى ، ينظر : دليل القيروان ، صالح سويسي القريواني ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٢ : ١١ .

(٤) صِقِلِّيَة هي جزيرة كبرى تقع في جنوب إيطاليا، وتُعد أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، دخل المسلمون جزيرة صقلية في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وحكموا الجزيرة لما يقارب 264عامًا، تركوا خلالها بصمة حضارية وثقافية عميقة ، ينظر : تاريخ صقلية الإسلامية ، الدكتور عزيز أحمد ، نقله الى العربية الدكتور أمين توفيق الطيبى ، الدار العربية للكتاب ، (١٣٧٩ هـ – ١٩٨٩ م) : ٨ .

علوم دينية وتلك علوم دنيا لا علاقة للدين بها، كما فعل الاستعمار مؤخراً عند غزوه للبلاد الإسلامية حيث وضع جامعات علمانية لا يدرس فيها الدين وسماها مدنية إلى جوار معاهد ومدارس أخرى سماها دينية" [١] .

فالإسلام لا يميز بين علم الآخرة وعلم الدنيا ، فالعلم واحد، حتى جاء العلمانيون لتقسيم التعليم إلى علم دنيوي وآخر ديني، والأول دراسة ضمن الحوزات والمدارس الإسلامية ، ولا يخلو من تأثيرات الحكومات التي لها الحق إن شاءت أن تتدخل في المناهج التعليمية الدينية . وأخر يدرس ضمن المدارس والجامعات الحديثة ولا يدخل الدين في مناهج هذا التعليم [٢] .

وإن المسؤولين على تطبيق علمنة البلدان الإسلامية عرفوا أهمية التعليم وخطره ، وإنه هو الذي يمثل النماذج الجديدة التي إليها مقاليد البلاد ، فإن أردناها أن تكون البلاد الإسلامية علمانية فلنجعل التعليم علمانيا لذلك فأن علمنة التعليم سارت على طريقين :

١- القضاء على التعليم الديني وكتم أنفاسه بسبيلين: -

أ- أولهما أما التطويق من الخارج : فلم تقتصر الإشارة الى العلمانية فقط على الترحيب بالتعليم العلماني ، بل اعتمدت على احتقار التعليم الديني ، والاحتقار لمدرسه وتلاميذه بالكلمة الخبيثة ، والاستهزاء والسخرية عن طريق الكاريكاتير ، والمسرحية والتمثيلية والفيلم ، حتى ينفر الناس منه . ومن ناحية أخرى اعتمدوا على وسيلة عملية وهي غلق باب الوظائف أمام خريج الجامعة أو الكلية والمعهد الديني ، وحصر وظائف على الوعظ أو المأذونية أو التدريس وخفض رواتبهم مقارنة بخريجي الجامعات العلمانية بمراحل [٣].

([١]) مجالات إنتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي ، الدكتور محمد زين الهادي : ١٤ .

([٢]) ينظر : العلمانية في الإسلام، انعام أحمد: ٧٠ .

([٣]) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ١٠٨ .

ب- وثانيها التحديث من الداخل : فقد نصح به كرومر [١] عام ١٩٠٦ م كوسيلة للتخلص من تعصب الأزهر وجموده ونفذ عام ١٩٦١م بإصدار قانون تحديث الأزهر . وقد كان الهدف الحقيقي من هذا المشروع إضعاف الهوية الدينية للأزهر وتقليص دوره الريادي في حفظ التراث الإسلامي، من خلال تقليص المناهج الشرعية الأصيلة واستبدالها بمواد علمانية سطحية لا تمتّ إلى روح الأزهر بصلة. وهكذا سعى المخطط إلى إذابة الطابع الديني في التعليم الأزهري وتحويله إلى مؤسسة أكاديمية عامة، ويقول ان دعم وإصلاح التعليم العلماني سيجعل الازهر اما أن يموت أو يتطور.

٢- نشر التعليم العلماني وتشجيعه في مراحله ومناهجه المختلفة ، وساعد على ذلك:-

أ- تبني الحكومات العربية للتعليم العلماني وتطبيقه ، وإعطاء الفرصة لخريجيه لشغل الوظائف والمناصب في مؤسسات الدولة [٢] .

ب- إرسال البعثات من خريجي هذا النوع من التعليم للدراسة في الجامعات الغربية للحصول على الشهادات العلمية الماجستير ، الدكتوراه ، وهذا يعطي أصحابها التوقير والاحترام مع ما يحصل معهم في تلك الجامعات من علمنة شديدة[٣] .

ت- فتح المدارس والجامعات الغربية التي اهتمت باستيعاب أبناء الطبقة الثرية الأرستقراطية حيث يتم تعليمهم اللغات الغربية ، ويتفاخرون بها ، ويبتعدون عن لغة القرآن ، بل وينفرون منها ،

---

(١) اللورد كرومر (١٨٤١ – ١٩١٧ م)، سياسي ودبلوماسي بريطاني شغل منصب المندوب السامي البريطاني في مصر بين عامي ١٨٨٣ و١٩٠٧، لعب دورًا محوريًا في فرض السيطرة البريطانية على مصر بعد الاحتلال عام ١٨٨٢، وساهم في رسم السياسات الاقتصادية والتعليمية والثقافية التي أثرت في مصر لعقود ، ينظر : اللورد كرومر الإمبريالي والحاكم الاستعماري ، روجر أوين ، ترجمة رءوف عباس : ٩ .

(٢) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ١٠٨ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ١٠٨ .

ويتعلمون كل ما هو غربي ، و من الأخلاق والتقاليد والقيم والسلوك وهذه الفئة هي التي تسلمت قيادة البلاد العربية والإسلامية بعد خروج الاستعمار[١] يقول : "عميد المبشرين زويمر[٢] لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن ١٩ إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، وأنكم أعددتم نشئا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها" [٣] .

ومن هذه الجامعات التي اعتمدت هذا المنهج في لبنان جامعة القديس بولس، و الجامعة الأمريكية في بيروت والكلية الكاثوليكية الفرنسية ،وفي مصر الجامعة الأمريكية بالقاهرة وكلية البنات الأمريكية ،وفي السودان كلية ومدارس كمبوني وكلية غردون ، وفي تركيا كلية روبرت الامريكية ،وفي اندونيسيا الجامعة الكاثوليكية [٤] .

وإن عملية استيراد نظم التعليم من الدول الأوروبية لاسيما من بريطانيا وفرنسا يعني طمس هوية الأمة الإسلامية وشخصيتها واستقلالها وكما نرى مثلا أن التعليم في روسيا ليس جزءا من التعليم الغربي أو العالمي وفي فترة من الماضي لم تربح أمريكا باستيرادها أنظمة التعليم من أوروبا أو بريطانيا فالتعليم ليس بضاعة تصدر أو تستورد [٥] .

([١]) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ١٠٩ .

([٢]) صمويل مارينوس زويمر (١٢ أبريل ١٨٦٧ – ٢ أبريل ١٩٥٢)، معروف بلقب "الرسول إلى الإسلام"، كان مبشرًا أمريكيًا، رحّالة، وباحثًا، لعب دورًا رائدًا وكان شخصية محورية في التاريخ التبشيري المسيحي تجاه العالم الإسلامي ، ينظر : صمويل زويمر حياته وجهوده التنصيرية ، ناصر بن إبراهيم بن عبد الله آل تويم ، العبيكان للنشر ، الطبعة الأولى ، الرياض ، (١٤٣٧ هـ ٢٠١٧ م) : ٢١ .

([٣]) المصدر: نفسه : ١٠٧ .

([٤]) ينظر: العلمانية وخطرها على المجتمعات على الإسلامية ، د. جمال فؤاد خليفة: ١٧٢٣ – ١٧٢٤ .

([٥]) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، المنصورة (١٤١١ هـ –١٩٩٠ م) : ١٠٤ – ١٠٥ .

وتم نشر الفكر العلماني في المناهج الدراسية في مختلف مراحل الدراسة ، ولاسيما في مادة علم الاجتماع والفلسفة والتربية الوطنية لخداع وتضليل المسلمين ولكي لا يقال أن هذا التعليم هو تعليم لا ديني علماني قاموا بإضافة مادة التربية الإسلامية إلى التعليم العلماني في المدارس وتم جعلها مادة شبه معلمنة من خلال :

١- حصر التعليم الديني في مادة التربية الإسلامية وجعلها مقتصرة على الأخلاق مثل الصدق والأمانة وغيرها .

٢- تحريف النصوص الدينية بواسطة تقديم شروح مختصرة ومبتورة ، بحيث تبدو وكأنها تدعم الفكر الْعَلْمَانِي ، أو أَنَّهَا لا تعارضه ، مثل إن الاسلام دين الاشتراكية والحرية والديمقراطية .

٣- منع تدريس نصوص معينة؛ لأنها واضحة صريحة في معارضة الفكر العلماني وكشف الباطل ، مثل نصوص العقيدة و الجهاد والقتال والحرب والسلم وأمور إدارة الدولة في الإسلام .

٤- جعل مادة التربية الإسلامية مادة ثانوية، حيثُ يَكُونُ وقتها في آخر حصة دراسية، أو تكون حصة يستفيد منها مدرس الرياضة أو اللغة العربية ، وهي في الوقت نفسه خاصة في المراحل الثانوية ولا تؤثر على تقييم الطلاب .

٥- في بعض الأحيان يقوم بتدريس مادة التربية الإسلامية مدرس غير اختصاص مثل مدرس اللغة العربية أو غيره .

٦- تقليل الفترة الزمنية لمادة التربية الإسلامية إلى حصتين في المرحلة الابتدائية ،وحصة في المتوسطة والثانوية [١] .

([١]) ينظر: العلمانية الحديثة شجرة خبيثة ، الدكتور محمد أحمد: ٢٢ ، ينظر : التعليم العلماني والدين ، جيمس أرثر ، ترجمة عمرو بسيوني ، مركز نهوض للبحوث والدراسات ، ٢٠٢٠ م : ٤ .

رابعا: محاربة اللغة العربية

محاربة العلمانيين للغة العربية تنبع من كونها لغة القرآن الكريم ولغة الإسلام وهي التي تربط الشعوب العربية وغير العربية بالإسلام ، فكان الهدف قطع صلة المسلمين بالدين والقرآن وقراءته وفهمه ومسخ الهوية الثقافية للشعوب الإسلامية [١] .

وفي تركيا قام أتاتورك [٢] بمنع الآذان بالعربية وفرضه بالتركية، وقام بإلغاء الحروف العربية وفرض الكتابة بالحروف اللاتينية ، وكذلك في أذربيجان وفي الدول الإسلامية في أسيا الوسطى تم استبدال الحروف العربية بالحروف الروسية[٣].

وقامت فرنسا بمحاربة اللغة العربية في بلدان المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا حيث عملت على فرض الثقافة العلمانية واللغة الفرنسية في المؤسسات والتعليم ، وبعد استقلال البلدان العربية

([١]) ينظر : المؤامرة على اللغة العربية ، أبي نصر محمد بن عبدالله الإمام ، مكتبة الإمام الألباني ، الطبعة الأولى ، صنعاء ، (١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م) : ١٣ .

([٢]) مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١–١٩٣٨) ولد في سلانيك اليونانية ودرس في المدرسة الحربية وتخرج منها برتبة ملازم ثان وكان والده يعمل بالتجارة وهو مؤسس الجمهورية التركية الحديثة وأول رئيس لها بعد سقوط الدولة العثمانية، قاد حرب الاستقلال التركية ضد قوات الحلفاء، ثم شرع في سلسلة واسعة من الإصلاحات السياسية والاجتماعية والثقافية بهدف تحويل تركيا إلى دولة قومية علمانية ، ينظر : سيرة مصطفى كمال باشا ، أمين محمد سعيد ، وكريم خليل ثابت ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٩٢٢ : ٥ – ٦ – ٥٤ .

([٣]) ينظر : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار العربية : أبو الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم ، الطبعة الرابعة ، الكويت ، (١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م) : ٥٩ ، ينظر : تركيا بين المورث الإسلامي ، والاتجاه العلماني ، الدكتور أحمد نوري النعيمي ، دار الجنان للنشر والتوزيع ، الطبعة العربية الأولى ، عمان ٢٠١١ م : ٨٩ .

بقيت اللغة الفرنسية تستعمل بكثرة في نظم التعليم المزدوج وفي الحديث حيث تميل الشعوب المغاربية للكلام باللغة بالفرنسية بدلا من العربية على الرغم من كونها اللغة الأم الرسمية ، وشجع ذلك دعم النخب السياسية [١] .

وكذلك بريطانيا عملت على محاربة اللغة العربية حيث أجبرت المصريين على التعلم باللغة الإنكليزية ورفضت تعريب التعليم ، ولا تزال آثار ذلك باقية في بلدان المشرق العربي مثل دراسة التخصصات باللغة الإنكليزية منها الصيدلة والطب والهندسة [٢] ويستثنى من ذلك سوريا التي قامت بتعريب الصيدلة والطب والعلوم الأخرى [٣] .

خامسا: تدمير الأسرة

من ضمن المخططات التي وضعت هي تدمير الأسرة العربية ولذلك عمل الاستعمار بالتعاون مع العلمانيين العرب الذين سلمهم القيادة والسيطرة في البلدان العربية على سن القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية مخالفة للإسلام تحت ستار تحرير المرأة ، ولأن الأسرة هي أساس المجتمع الإسلامي أراد الغرب فرض قواعد جديدة تضعف قوامة الرجل على المرأة وتضعف رقابة الأب على الزوجة والأولاد فتصبح المرأة حرة التصرف في جميع ما تفعل سواء الخروج من المنزل دون موافقة الزوج والعمل خارج المنزل حتى لو كان في الليل مع تركها تربية أولادها ومع أنفاق الزوج عليها [٤] .

---

(١) ينظر: اللغة الفرنسية في المغرب العربي: غنيمة حرب أم استلاب هوية؟ ، محمود الذوادي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٦٨ ، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٩ : ٧٤ .

(٢) ينظر: المؤامرة على اللغة العربية ، أبي نصر: ٢٧ .

(٣) ينظر: تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي ، الدكتور عبد الله واثق شهيد ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد (٧٩) : ٣ / ٤٧٧ .

(٤) ينظر: العلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية ، د. جمال فؤاد خليفة ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان ، العدد الرابع ، (١٤٤٣ هـ – ٢٠٢١ م) : ١٧٣٧ .

ويقول : "(مورو بيرجر) [1] في (كتاب العالم العربي اليوم) ، حيث قال : (يجب أن يوضع في الحسبان نقطتان رئيستان ، الأولى : أن يعمل على تقليل سلطة الأب على أولاده ؛ يمكن أن تحمل الأسرة العربية كل طبيعة الحياة الغربية) والنقطة الثانية: ضرورة تأسيس حكومات عسكرية في البلاد العربية لتحقيق الإصلاح الاقتصادي، وتطبيق علم الاجتماع بنظرياته" [2]

ومثال ذلك ما حصل في تونس من تفكيك الأسرة التونسية وتدمير الأواصر العائلية بسن قوانين مخالفة لشرع الإسلام. بحسبانها إهانة للمرأة من ذلك قانون الحد من سلطة الأب ، وقانون إلغاء القوامة ، و قانون حق الزوجة في الحرية بغض النظر عن تصرفها الأخلاقي : الذي يأمر بإعدام الزوج الذي يمسك زوجته وهي تمارس الزنا ، إذا دفعته غيرته أثناء الخيانة في منزله فقتل الزاني[3].

سادسا: علمنة الإعلام

أهمية الإعلام تكمن في سيطرته على عقول من الملايين من الناس بوسائله الهابطة، وأكثرهم بسطاء ومغفلين تؤثر فيها الكلمة مسموعة كانت أم مقروءة أم منظورة ، فإذا كانت خبيثة كانت كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وإن كانت طيبة، كانت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن الله، والإعلام سلاح خطير تنفق عليه الملايين من الأموال ، واستخدم للسيطرة وتوجيه الشعوب الإسلامية للترويج للفكر العلماني

([1]) هو مؤرخ ومفكر أمريكي، وُلد عام ١٩١١ وتوفي عام ١٩٧٣، وكان أستاذًا لعلم الاجتماع في جامعة برينستون. تخصص في دراسات الشرق الأوسط، واهتم بتحليل التحولات الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، خصوصًا في مرحلة ما بعد الاستعمار ، ينظر : الإسلام والحضارة الغربية ، عباس محمود العقاد ، الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠١٤ : ٨١ .

([2]) تهافت العلمانية في الصحافة العربية ، سالم علي البهنساوي ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، المنصورة ش . م .م (١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م) : ٣١ .

([3]) ينظر: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس)، د. يوسف القرضاوي: ١٣٢ .

للأسف وإننا نستطيع أن نؤكد أن وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وصحافة، وتليفزيون، ومسرح وسينما والانترنيت مسخرة اليوم لإشاعة الفساد و الفاحشة وتحطيم عقيدة الناس والأخلاق والقيم والمثل، والأخلاق هي الأساس لبناء الإسلام، فإذا تدمر الأساس فكيف يقوم البناء [١] .

وعمل الاعلام العربي على محاربة الإسلام والعمل على تغريب الشعوب العربية من خلال نشر القيم والثقافات الدخيلة على المجتمع الإسلامي وإفساد المجتمع العربي ، فنرى اليوم أن المجتمع وصل الى مراحل من الهبوط والانحطاط في وسائل الإعلام المختلفة من خلال الفضائيات التلفزيونية وما تبثه من برامج وأفلام ومسلسلات هابطة ولاسيما في شهر رمضان المبارك حتى أصبح الشغل الشاغل للمسلمين هو مشاهدة المسلسلات الجديدة في رمضان دون إدراك ما تحتويه من مفاسد في شهر العبادة وأخيرا مواقع التواصل الاجتماعي وما لها تأثير كبير على المجتمع ، ومعروف أن الإعلام هو تحت سيطرة العلمانيين وأجهزة المخابرات في الدول الإسلامية حيث يتم عمل الإعلام على نشر الفساد والفاحشة وإفساد أخلاق المسلمين ولنا مثال في الأعمال المصرية و التركية فضلا عن الأجنبية ، ونلاحظ في جميع الأعمال الفنية سيناريو متكرر وكأنه يفرض على المخرجين إدراج هذه الأمور في هذه الاعمال والتي هدفها الترويج إلى الثقافة الغربية والعادات الدخيلة على مجتمعنا الإسلامي ، وإفساد أخلاق المراهقين شباب المسلمين ومن أمثلة ذلك الترويج الخمور والمخدرات والعلاقات المحرمة كالزنا والشذوذ والفواحش والخيانة الزوجية والجرائم وتمرد الشباب ضد قيم الاسرة في مجتمعنا والترويج لحرية المرأة والملابس الفاضحة والتعري والمشاهد الفاضحة للممثلين والغناء والجريمة [٢] "ونختم حديثنا عن علمنة الإعلام بالتعليق عليه بما أوصى به المؤتمر العالمي المنعقد في عام ١٩٧٧م بالمدينة

([١]) ينظر: العلمانية وخطرها على المجتمعات على الإسلامية ، د. جمال فؤاد خليفة ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان ، العدد الرابع ، (١٤٤٣ هـ – ٢٠٢١ م) : ١٧٣١ – ١٧٣٢ .

([٢]) ينظر: المصدر نفسه : ١٧٣٤ .

المنورة لتوجيه الدعوة، وإعداد الدعاة حيث جاء فيه: ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى إليها إعلامنا ولا يزال إلى اليوم يتردى ، فبدلاً من أن يكون منبر دعوة إلى الحق ، ومنار إشعاع للخير ، صار صوت إفساد وصوت عذاب وخف صوت الدعاة وسط ضجيج الإعلام الفاسد، وسكت القادة فأقروا بسكوتهم، أو جاوزوا ذلك، فشجعوا وحموا، وزلزل الناس في إيمانهم وقيمهم ومثلهم، ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق" [١] .

سابعا: علمنة القانون

تمت أول عملية علمنة للقانون في تركيا نهاية العهد العثماني ، وكانت الدولة تمر بفترة من الضعف حيث تم كل عشر سنوات علمنة جزء من اجزاء القانون منذ سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ثم صارت كل حوالي عشرين سنة حتى تمت عملية العلمنة الشاملة على يد مصطفى كمال اتاتورك بإلغاء الخلافة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) . ثم تلاه في مصر عام ١٨٧٥ م حيث صدرت بعض القوانين العلمانية ثم مرة أخرى علمنة القوانين سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) ،واقترنت هذه العلمنة بالاحتلال البريطاني ، واشترط في إلغاء الامتيازات الأجنبية صدور بعض القوانين غير مستمدة من الشريعة الإسلامية وارتبط إلغاء النص الذي ينصّ على أن الإسلام هو دين الدولة في دستور مصر المؤقت لعام ١٩٥٨ بتحولات سياسية وفكرية واسعة شهدتها تلك المرحلة. كما جاء ميثاق العمل الوطني الصادر سنة ١٩٦٢ مترافقاً مع تغييرات داخلية مهمة [٢].

"وفي تركيا ومع إلغاء الخلافة (عام ١٩٢٤) تم : –

١ – إصدار قانون مدني مستمد من القانون السويسري.

([١]) العلمانية وخطرها على المجتمعات على الإسلامية ، د. جمال فؤاد خليفة ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان ، العدد الرابع ، (١٤٤٣ هـ – ٢٠٢١ م): ١٧٣٣ .

([٢]) ينظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د. علي محمد جريشة ، مجمد شريف الزيبق ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة دار الاعتصام ، الطبعة الثالثة ، (١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م) : ٧٤ .

٢- إصدار قانون جنائي مستمد من القانون الإيطالي .

٣- إصدار قانون تجاري مستمد من القانون الألماني" . [١]

وبعد علمنة التعليم والإعلام تم تطبيق علمنة القانون وكان من السهل علمنته ؛لأن عقول الشعوب الإسلامية أصبحت تحت سيطرة العلمانيين ، فتجد مسلما يصلي ويصوم وعندما تطرح عليه سؤالا لماذا نحكم بالقانون المدني الوضعي ولا نحكم بإحكام الإسلام؟ ستكون الإجابة أن هذه الأحكام لا يمكن تطبيقها أو أصبحت قديمة وغير ملائمة أو معطلة ، وخذ من هذه الإجابات التي تبين مدى جهل المسلمين بدينهم وكيف تأثرت العقول بالغزو الفكري الغربي ، ويعد الخبير القانوني عبد الرزاق السنهوري [٢] هو الذي كتب غالبية القوانين الوضعية المدنية العلمانية في الدول العربية، وأول قانون دونه هو القانون المدني المصري عام ١٩٤٨ المستمد في غالبيته من القانون الفرنسي ، ومن تجارب مصر الخاصة، ثم عمل السنهوري على ضع القوانين المدنية العلمانية للعراق وسوريا والأردن وليبيا وباقي الدول العربية وهي قوانين مشابه لحد كبير للقانون المصري ،وقد استثنى السنهوري قوانين الأسرة من ذلك ولكن لم تقف علمانية القانون إلى هذا الحد بل تخطت إلى قانون الأحوال الشخصية حيث ظهر الحبيب بورقيبة[٣] الذي أصدر قانون

([١]) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة: ١١٣ .

([٢])عبد الرزّاق أحمد السنهوري (١١ أغسطس ١٨٩٥ – ٢١ يوليو ١٩٧١) هو أحد أهم علماء الفقه والقانون في العصر الحديث العربي. وُلد في الإسكندرية لعائلة فقيرة، وعاش يتيم الأب في السادسة من عمره وحصل على الدكتوراه في فرنسا ساهم في صياغة غالبية القوانين والدساتير في مصر والدول العربية ، ينظر : موقف عبد الرزاق السنهوري من تقنين الفقه الإسلامي ، حمد بوجمعة ، جملة العلوم القانونية و الاجتماعية ، جامعة زيان عاشور ، بالجلفة ، الجزائر المجلد الثامن ، العدد الأول ، مارس ٢٠٢٣ : ١٧٦٣ .

([٣]) الحبيب بورقيبة هو أوّل رئيس للجمهورية التونسية بعد الاستقلال عن فرنسا سنة ١٩٥٦، ويُعدّ من أبرز الشخصيات السياسية في تاريخ تونس الحديث. قاد الحركة الوطنية ضد الاستعمار، ثم تبنّى بعد الاستقلال مشروعًا إصلاحيًا واسعًا يقوم على تحديث الدولة والمجتمع وفق رؤية علمانية تركّز على التعليم، وصحة=

الأحوال الشخصية التونسي المخالف لشرع الله وتعليمات القرآن حيث لم يسبقه أحد الى ذلك ، فمنع تعدد الزوجات، وأناط الطلاق بالمحاكم المدنية وفق قوانين علمانية ؛ إلا أنه لم يستطع تعديل قانون الإرث فهي ما زالت حتى اليوم تجري وفق أحكام الشريعة الإسلامية [١] .

"والتجربة التي تلت تجربة تونس على يد بورقيبة كانت تجربة اليمن الجنوبية، الذي انتهج هو الآخر لنفسه نهجاً علمانياً يتصف بالمرونة في استعمال المصطلحات الدينية التي تغلف موقفاً شرعياً لا غموض فيه ، ولكن قانون الأسرة وقف – كما في تونس – عند أنصبة الإرث ولم يستطع علماء القانون في اليمن تخطيه، إلى أن أصدرت حكومة الصومال عام (١٩٧٤ م) قانوناً مدنياً للأحوال الشخصية تناول لأول مرة في تاريخ التشريع الإسلامي مسائل الإرث مما فسح المجال أمام (اليمن) لأن تحذو حذو الصومال" [٢] .

ثامنا: طمس العادات والتقاليد والثقافة في البلدان الإسلامية

كان من الأعمال التي قام بها مصطفى كمال أتاتورك للتحديث وعلمنة المجتمع تغيير الزي فمنع الطربوش ، وفرض لبس القبعات الأوروبية على الشعب التركي حتى سميت معركته فيها حرب القبعة [٣] .

وفي إطار علمنة وتغريب المجتمع العربي والإسلامي عمل الاستعمار والحكومات العربية على فرض الزي الغربي الفرنجي كزي رسمي في مؤسسات الدولة والمدارس والجامعات والمستشفيات

=الأسرة، وإصلاح القوانين المدنية ، ينظر : الحبيب بورقيبة زعيم أمة ورئيس دولة ، عبد السلام القلال ، شركة أوميڤا للنشر ، ٢٠٢١ م : ١٦ – ١٧

([١]) ينظر: العلمانية في الإسلام أنعام أحمد: ٧٠ – ٧١.

([٢]) المصدر نفسه : ٧٠ – ٧١ .

([٣]) ينظر: أتاتورك السيرة الذاتية لمؤسس تركيا الحديثة ، أندرو مانجو ، ترجمة عمر سعيد الأيوبي ، دائرة الثقافة والسياحة ، الطبعة الأولى ، أبو ظبي ، ٢٠١٨ : ٤٥٧ ، ينظر : مصطفى كمال أتاتورك وموقفه من الخلافة العثمانية ١٨٨٠م – ١٩٣٨م ، فايزة علوش جامعة محمد خيضر، بسكرة ، السنة الجامعية ، (٢٠١٤ م – ٢٠١٥ م) : ٨٦ .

وكذلك استيراد وصناعة الأزياء الغربية وتهميش صناعة الزي التقليدي مما أدى إلى ارتفاع أسعاره مقارنة بالأزياء الغربية الرخيصة والحجة هو تطوير المجتمع ومواكبة الحداثة ،و إن اللباس الغربي هو زي الحضارة الحديثة ، أما الأزياء التقليدية العربية هي قديمة لا تلائم العصر ، وهذه الدعاية تنفر من ارتداء هذه الأزياء ، وقبل دخول العلمانية كانت الأزياء العربية الشعبية التقليدية هي السائدة في البلدان العربية وكما نرى الزعماء العرب يرتدون هذا الزي مما جعل له شعبيه ، لا سيما أن الناس على دين ملوكهم دون ادراك أن هناك حرب الهوية ومسخ لثقافة الشعوب العربية والإسلامية وما يؤكد ذلك هو أن الدول التي لم تتعرض للاحتلال العسكري البريطاني والفرنسي لا زالت محتفظة ومتمسكة بالزي العربي سواء للرجال أو النساء ومن أمثلة ذلك السعودية واليمن وهذا يؤكد مدى تأثير الاستعمار الغربي على طمس هوية الشعوب الإسلامية[١] .

تاسعا: العلمانية والقومية العربية والوطنية

حلت القومية والوطنية محل الدين ، فالدولة العلمانية لابد لها من رابطة تربط الشعب وتحل محل الدين ، والوطنية هي بلد يرتبط فيه شعب من الشعوب ، وهي فكرة علمانية ظهرت في أوروبا بالضد من الكنيسة ودخلت للعالم الإسلامية لتقسيم الشعوب الإسلامية فعندما نقول الوطن لبنان فهذا يعني أن الرابطة التي تجمع الشعب تكون داخل حدود لبنان فقط ، بالتالي ستفصله عن خارجه من العالم الإسلامي ومن العبارات الخادعة التي ظهرت (الدين لله والوطن للجميع)[٢] واما القومية فهي رابطة تجمع شعب معين تحت جامع مثل اللغة أو الجنس وغيرها ، وظهرت في العالم الاسلامي الاتجاهات القومية ، القومية العربية في العراق وسوريا ومصر ، وما بين القومية الطورانية في تركيا ، والقومية البربرية الكردية ، وأصبح الولاء للقومية محل الإسلام ونتج

(١) ينظر: معركة الإسلام والعلمانية ، سلمان بن فهد: ٢٩ .

(٢) ينظر: العلمانية الحديثة شجرة خبيثة ، الدكتور محمد أحمد : ٢٦ – ٢٧ .

عن ذلك العديد من الصراعات والحروب [١] . "وفي هذا كتب لورنس [٢] ، في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) أن الهدف الذي كانت تسعى إليه بريطانيا هو أن تحل القومية والوطنية محل الإسلام"[٣] .

([١]) ينظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية ، سالم علي البهنساوي ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، المنصورة ش . م .م (١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م) : ٣٤ .

([٢]) توماس إدوارد لورنس (١٨٨٨–١٩٣٥) هو ضابط في الاستخبارات البريطانية ومستشرقًا وعالم آثار، اشتهر بدوره في دعم الثورة العربية الكبرى ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، وبتأثيره الكبير في تشكيل الشرق الأوسط الحديث ، ينظر : أعمدة الحكمة السبعة ، توماس إدوارد لورنس ، ترجمة محمد نجار ، الأهلية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، عمان ، ١٩٩٨ : ٥ .

([٣]) تهافت العلمانية في الصحافة العربية ، سالم علي البهنساوي: ٣٤ .

المبحث الثالث: أثار العلمانية على المرأة

تواجه النساء في المجتمعات العلمانية تحديات متعددة، فالضغوط النفسية؛ نتيجة نمط الحياة السريع. كما تبرز قضايا أخرى مثل صعوبة التوازن بين العمل والحياة الأسرية."تقول الأرقام أن ما تعانيه المرأة العلمانية من مشاكل كعنوسة وطلاق وأمراض نفسية وانتحار وغير ذلك هي مشاكل كبيرة جدا فلا زوج ولا أطفال إلا لنسبة منخفضة من النساء وإذا قارنا حالة المرأة العلمانية مع المرأة المسلمة بالأرقام والمنافع وحياتها الاجتماعية سنجد فارقا كبير جدا بين الحالتين، ومن الأمور الخادعة أن العلمانية لم تدمر المرأة من خلال توجيهها علنا لأخطاء وانحرافات بل تم توجيهها بصورة غير مباشرة وقالت لها أنت حرة وأعطتها مفاهيم للحرية قريبة من الفوضى وأقنعتها أن هذه هي الحرية الصحيحة فصنعت أجزاء كبيرة من الشقاء في حياتها؛ لأن مبادئ الدين الصحيح هي حصون تحمي النساء والرجال من أخطار كبيرة وتوجههم لأمور كثيرة تنفعهم"[١].

المطلب الأول: آثار العلمانية على المرأة الغربية

كانت المرأة الغربية من أكثر الفئات التي تضررت نتيجة التحولات التي افرزتها العلمانية.

أولا: الاختلاط دون ضوابط شرعية

كانت مهمة المرأة الأوروبية هي القيام بالأعمال المنزلية وتربية ورعاية أطفالها وبالإضافة إلى قيامها ببعض الأعمال اليدوية كالغزل أو النسيج وغيرها حتى جاءت العلمانية وأحدثت تغيرات كبيرة بالنسبة للمرأة ، ففي فترة الثروة الصناعية بالتحديد كان بداية اختلاط المرأة الاوروبية دون ضوابط شرعية حيث إن الصناعات تحتاج إلى الفحم فتم زج النساء للعمل مع الرجال في مناجم الفحم أدى هذا الاختلاط الى إفساد أخلاق المرأة وادى إلى قيام العلاقات غير الشرعية [٢].

([١]) العلمانية دمرت المرأة، عيد الدويهيس، الطبعة الأولى، ٢٠٢١ م : ٧- ٨

([٢]) ينظر : معركة التقاليد ، محمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السادسة عشر ، القاهرة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) : ٣٨ .

وأحدث عمل النساء دون ضوابط شرعية حدثين عظيما في الحياة الأوروبية :-

١- أسهمت التحولات العلمانية في إضعاف تماسك الأسرة، بعدما كانت المرأة بحضورها ودورها الأسري عنصرًا مهمًا في تنظيم شؤون البيت وتعزيز الروابط العاطفية داخله. ومع انخراط كثير من النساء في أعمال طويلة وشاقة، أصبح من الصعب عليهن تخصيص الوقت الكافي لرعاية الأسرة، حتى مع رغبتهن في ذلك، مما أدى إلى تراجع مستوى الاهتمام الأسري بصورة ملحوظة.

٢- مع بروز الفكر العلماني تراجعت القيود الدينية التي كانت تنظّم أدوار المرأة وسلوكها في المجتمع فأدى ذلك إلى انحراف وفساد المرأة الأوروبية وتجردها من القيم الدينية والأخلاقية [١] .

ومن مشاكل الاختلاط دون ضوابط شرعية في العمل :-

١- تقول الباحثة الأمريكية هيلين فيشر [٢] أن الاختلاط يؤدي إلى إيجاد بيئة تسبب نوعاً من الهيجان واثارة الغرائز ووصل الأمر إلى درجة تحرش رجال الشرطة بزميلاتهم الشرطيات في بريطانيا حتى أن الحكومة تعهدت إلى مؤسسة بحثية لدراسة هذه الموضوع [٣] .

٢- أدى الاختلاط دون ضوابط شرعية إلى مشكلات كثيرة في الدول الغربية تعرضت لها المرأة في العمل وخارجه حيث تتحدث الإحصائيات عن عدد كبير جدا من النساء تعرضن للتحرش الجنسي والاغتصاب ، وإضافة إلى أنه ذلك أحدث مشكلات أخرى منها الطلاق والعنوسة وأدت

([١]) ينظر : معركة التقاليد ، محمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السادسة عشر ، القاهرة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) : ٣٨ .

([٢]) هي عالمة أنثروبولوجيا بيولوجية أمريكية مشهورة، تُعد من أبرز الباحثين في العالم في مجال علم الحب والعلاقات الإنسانية .ولدت عام ١٩٤٥، وتعمل كباحثة أولى في معهد كينزي، كما تعاونت مع موقع المواعدة الشهير Match.com لدراسة السلوك العاطفي لدى البشر ، ينظر : لماذا نحب؟ طبيعة الحب وكيمياؤه ، هيلين فيشر ، ترجمة فاطمة ناعوت ، أيمن حامد ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٣ : ٧ .

([٣]) ينظر: الغرب من الداخل الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة ، د. مازن بن صلاح مطبقاني الأستاذ المشارك بعمادة البحث العلمي جامعة محمد بن سعود الإسلامية : ٩ .

كل هذه المشكلات إلى قيام النساء بتظاهرات في العديد من الدول الغربية [١] .

٣- أدى إلى فقدان المرأة للعفاف والحياء، حيث أدى الاختلاط دون ضوابط إلى تحطم حواجز الحياء والخجل بين المرأة والرجل ، ونحن نعلم أن طبيعة الرجل الفطرية الغيرة والحياء والعفاف يجذب الرجل للمرأة فلا ينجذب للمرأة ذات العلاقات الجنسية مع عدة رجال [٢].

٤- فقدان المرأة للأنوثة حيث أن عمل المرأة الآلي مع الرجال يفقد المرأة انوثتها فتكتسب طبائع رجولية كالخشونة وغيرها وهذا ما ينعكس طبعا على تعاملها مع زوجها وأطفالها [٣].

ثانيا: العلمانية وعمل المرأة

واذكر هنا بعض مشاكل المرأة العاملة في الغرب نتيجة التحولات التي افرزتها العلمانية : -

١- تواجه المرأة صعوبات وضغط كبير حيث تقضي ساعات طويلة جدا خارج المنزل؛ نتيجة طبيعة نظام العمل في الغرب وهذا ما يلاحظ في الدول الغربية العلمانية حيث إن النساء منذ الصباح الباكر تخرج بإعداد كبيرة جدا إلى أماكن العمل مسرعة في الشركات والمطاعم و المتاجر والمصانع ، فهذه تنظف مطعم والثانية سكرتيرة في شركة والثالثة تواظب لساعات أمام آلة في معمل وهكذا إلى وقت العودة بالمساء حيث يعدن متعبات ومرهقات الى المنزل .

٢- يستنزف النظام العلماني جهد وطاقة المرأة بالعمل ، وهو ما يجعل المرأة تهمل واجباتها المنزلية وزوجها وتربية أطفالها ، فكيف تربي أطفالها إذا خرجت للعمل وهي في الغالب تكون مضطرة ، حتى تستطيع العيش لاسيما أن الكثير من النساء يربين أطفال بدون أباء وهنا تصبح المسؤولية كبيرة ، فهذا العمل يستنزف وقتها وجهدها، فلا تسطيع أن تكون زوجة ولا أماً [٤].

([١]) ينظر: العلمانية في ميزان العلم ، عيد الدويهيس ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٨ م : ١١٦ .

([٢]) ينظر: المصدر نفسه : ١١٤

([٣]) ينظر: المرأة الحديثة في الغرب ، محمود محمد قاسم ، مجلة الثقافة، العدد٣٨٦ ، ٢١مايو ١٩٤٦ : ١٧.

([٤]) ينظر : العلمانية في ميزان العلم ، عيد الدويهيس: ١١٤- ١١٦ .

٣- تقول دائرة المعارف البريطانية عن وضع النساء الاقتصادي بأنهن يقبعن في أسفل الدرجات من حيث المكانة وكذلك من حيث ما تحصل عليه من أجور [١] .

٤- تمنع الكثير من الشركات النساء العاملات من إجازات الحمل والولادة والأمومة ، والمرأة قد لا توظف لكونها متزوجة ولديها أطفال ويتم عمل المرأة حسب المزاج وفي وقت الاحتياج [٢] .

ثالثا : عمل المرأة بالدعارة

من الكوارث الأخرى التي تعيش فيها المرأة في الدول العلمانية هو تعرضها بشكل إجباري للعمل في العمل في الدعارة، وفي المقابل أيضا تتخذ العديد من النساء الدعارة كمهنة للعيش، والدعارة منتشرة في الغرب بشكل كبير لا سيما أن القوانين في الدول الغربية تسمح بالدعارة ولا تعاقب عليها. وقد ذكرت منظمة التجارة الدولية أن ما يقرب من مليوني امرأة قد تركن بلادهن بحثا عن العمل فإذ بعصابات تقودهن إلى البغاء أو بائعات خمور في الملاهي الليلية في أوروبا[٣]

ولعمل المرأة في الدعارة أثار نفسية واجتماعية : -

١- تتعرض الفتيات العاملات بالبغاء إلى إصابات بالأمراض التناسلية .

٢- عادة ما تتعرض الزبونة إلى الإهانة والشتائم والتحقير من قبل الزبائن فتفقد كرامتها.

٣- الاستغلال من القوادين الذين يعيشون على مكاسب النساء من العمل بالدعارة[٤].

([١]) ينظر : الغرب من الداخل الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة ، د. مازن بن صلاح مطبقاني الأستاذ المشارك بعمادة البحث العلمي جامعة محمد بن سعود الإسلامية : ٩ .

([٢]) ينظر : صورة جسد المرأة بين الإسلام وجدل العولمة ، د/ سماش نادية المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية الـ CRASC : ٣ .

([٣]) ينظر: الغرب من الداخل الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة ، د. مازن بن صلاح: ١١ .

([٤]) ينظر: سيكولوجيا البغاء دراسة نظرية وميدانية ، نجية إسحق عبدالله ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الأولى ،القاهرة ، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م) : ١٧ - ١٨ .

٤- تتعرض العاملات بالدعارة إلى كثير من المخاطر وقد تخسر حياتها في بعض الأحيان [١]. و"قالت إحصائية عن نسبة الدعارة في العالم إن الدولة الأولى في الدعارة هي الولايات المتحدة ثم تأتي بعد ذلك اليونان وألمانيا وهذه دول علمانية تزعم أنها حررت المرأة" [٢] .

رابعا: المرأة سلعة في الغرب

جسد الأنثى هو كيان مادي مغري و مثير يعتمد بالدرجة الأولى على حاسة البصر، فقد عملت وسائل الإعلام إلى استغلاله لغرض التجارة، وبخاصة في الإعلانات التسويقية لضمان بيع منتجاتها وتحقيقها أرباح مادية ، حتى أصبح جسد المرأة مقرونا بالسلع على مختلف أنواعها مثل الصابون والشامبو والملابس والعطور وغيرها، وسخر الخطاب الإعلاني كل وسائله، وتقنياته خاصة البصرية منها، ليؤكد لنا فكرة أن المرأة سلعة، حتى ولو لم يكن محتوى الإعلان في حاجة لاستدعاء جسدها، كإعلانات السيارات، والعطور الرجالية والسلع الذكورية، وتقدم المرأة بطريقة مثيرة وشهوانية، و تصل لحد العهر، فإذا تتبعنا الدعايات سابقة الذكر لا نجدها تركز على التسويق للمنتج ، أو التركيز على وجه الرجل الرئيسي في الإعلان، بينما تصب اهتمامها على جسد المرأة، ونجد الكاميرا تركز عدستها على المناطق المثيرة في جسد المرأة ، بل وفي بعض الإعلانات تتواجد المرأة في شكل دمية؛ وهي تقف جامدة وصامتة لعرض المنتج، أو أن الصناع يحركونها وفق مزاجهم، ويطلق عبد الوهاب المسيري على هذه العملية علمنة الجسد وهي ظاهرة استغلال جسد الانثى وتجريد المرأة من جانبها الروحي، فهو يرى أن العلوم والدولة والدين قد تحررت من الجانب الإنساني وكذلك المرأة تحررت من المشاعر والمرجعية الإنسانية [٣].

([١]) ينظر: سيكولوجيا البغاء دراسة نظرية وميدانية ، نجية إسحق عبدالله ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الأولى ،القاهرة ، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م) : ١٧ - ١٨ .

([٢]) العلمانية في ميزان العلم ، عيد الدويهيس : ١١٦ .

([٣]) ينظر: فينومينولوجيا الجسد الأنثوي بين سلطة الرأسمالية ووثنية التسليع دراسة نقدية تكاملية في ومضة إعلانية لعطر نسائي ، ليلى طبيب ، جامعة جيجل ،١٨٠٠٠ الجزائر ، ٢٠٢٤ م : ٦٤٦

وعليه يمكن أن نقول : –

١– سمحت العلمانية بالتلاعب بجسد المرأة في الإعلانات لزيادة استهلاك السلع ، فتحولت لوسيلة شمولية للتحكم الاجتماعي؛ لاستغلالها واستعبادها [١] .

٢– يؤدي تصوير جسد المرأة كسلعة في الإعلانات إلى تجريده من قيمته الإنسانية والروحية وتحويله إلى أداة لكسب الأرباح، فأسطورة الجمال التي خلقها اقتصاد الإمبريالية حصرت المرأة في جانبها المادي فقط، وحصرت نظرتها إلى جسدها، مجرد تحفة جمالية يتم التمتع بالنظر اليها.

٣– للإعلانات التسويقية التي تستخدم جسد المرأة تأثير اجتماعي و نفسي سيئ على النساء، مما يؤدي إلى احتقار الذات وعدم الثقة بالنفس [٢] .

ولم يقتصر استغلال جسد المرأة على الإعلانات التسويقية ، وذلك من خلال التجارة بصور النساء العاريات، وفي المواقع الإباحية، وإقامة مسابقات ملكات الجمال، وعمل المرأة في ما يسمى بعارضات الأزياء. وكذلك في التمثيل وفي الأعمال الفنية والأفلام والمسلسلات ووسائل الأعلام المختلفة على التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي حيث تستعرض المرأة جسدها وتقوم بحركات مثيرة للحصول على المشاهدات وربح الأموال [٣] . و" حول الممثلة المشهورة (مارلين مونرو) [٤]، التي توفيت منتحرة قالت في رسالة كتبتها قبل أن تنتحر يا نساء العالم احذرن من

([١]) ينظر: فينومينولوجيا الجسد الأنثوي بين سلطة الرأسمالية ووثنية التسليع دراسة نقدية تكاملية في ومضة إعلانية لعطر نسائي ، ليلى طبيب ، جامعة جيجل ،١٨٠٠٠ الجزائر ، ٢٠٢٤ م : ٦٤٦

([٢]) ينظر:المصدر نفسه: ٦٤١

([٣]) ينظر: صورة جسد المرأة بين الإسلام وجدل العولمة ، د/ سماش نادية: ٩ .

([٤])هي أشهر ممثلة أمريكية ونجمة هوليود في فترة الخمسينات وعارضة أزياء ومغنية ولدت في لوس انجلس عام ١٩٢٦ وتوفيت عام ١٩٦٢ بزعم تناول جرعة زائدة من المهدئات عاشت في دار للأيتام ثم مع عدة عوائل مختلفة و في فترة طفولتها عانت من أمراض نفسية بسبب التحرش الجنسي ، ينظر : قصتي مارلين مونرو ، مارلين مونرو وبن هكت ، ترجمة وتقديم باسم محمود ، دار المدى ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٧ : ٢١

المخرجين والمنتجين فإنهم يريدون أن يتاجروا بأجسادكن وقالت في النهاية وددت لو كنت أماً سعيدة، فهذه رغم أنها بلغت أوج الشهرة والنجومية والمال، رغم ذلك شعرت بهذا الشعور، فرسالتها جديرة بالتعمق فيها من قبل من يدعون أنهم يهتمون بقضايا حقوق المرأة" [١] .

خامسا: ظاهرة الاغتصاب

ساهم انتشار العلمانية وفصل الدين عن الحياة العامة في ضعف الضوابط الأخلاقية، مما يساهم بشكل غير مباشر في زيادة بعض السلوكيات المنحرفة ومنها ظاهرة الاغتصاب حيث تعاني النساء في الغرب من هذه الظاهرة ، فلها أثار سيئة على المرأة حيث تعاني من الصدمات والأمراض النفسية والحزن والوضع الاجتماعي وقد يستمر فترة طويلة من حياتها بالتالي يؤثر على حياتها المستقبلية ، ومن أكثر دول العالم التي يحصل فيها الاغتصاب هي الولايات المتحدة الأمريكية، و لم تستطع منع ارتكاب مثل هذه الجرائم، على الرغم من وجود الحرية الجنسية؛ وقد فسر علماء الاجتماع أسباب ذلك، إلى كثرة الأولاد من أبناء الزنا الذين يفقدون العائلة و الحنان والحب، وأن أجواء الإباحية والتعري قد تسبب هيجان الغرائز للشباب ، فتجعل الشاب يريد أن يمارس العلاقة الجنسية مع أي بنت تعجبه بموافقتها أو مع عدم موافقتها[٢].

وفي بريطانيا بسبب حالات الاغتصاب اليومية التي تتعرض لها الفتيات في المدارس خرجت تظاهرات من الأهالي طالبت الحكومة حماية بناتهم من الذئاب المفترسة [٣]. وذكرت محامية

([١]) صورة جسد المرأة بين الإسلام وجدل العولمة ، د/ سماش نادية: ٩ .

([٢]) ينظر: اغتصاب النساء بين القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني ، أ . كريمة خنوسي : ٥ – ٦ .

([٣]) ينظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية ، سالم علي البهنساوي ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، المنصورة ش . م .م (١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م) : ١٥٧ .

أمريكية في لقاء تلفزيوني أن السبب وراء انتشار ظاهرة الاغتصاب هو الملابس الفاضحة والتعري ووجهت الانتقاد واللوم إلى النساء [١] .

وفي الحرب العالمية الثانية قامت الجيوش العلمانية بعمليات اغتصاب بشعة وغير إنسانية لم يعرف مثلها التاريخ بحق نساء أوروبا، ومنها قيام الجنود الألمان النازيين بعمليات انتقامية من الاعداء باغتصاب العديد من النساء البولنديات والسوفيتيات وتفنن الألمان بأساليب الإجرام، و كان الاغتصاب من الوسائل التي استخدمها العلماء الألمان كحقل تجارب لتطبيق النظريات العلمية ، ومنها نظرية تحسين النوع ، حيث كانت تختطف النساء وتؤخذ إلى مكان خاص و من ثم يقوم الجنود الألمان باغتصابهن، ضمن برنامج معد مسبقاً، وبعد يوضع وشم كعلامة على أجسامهن ، كي يستمر العار يلاحقهن، طول فترة حياتهن ، وكذلك قام الجيش الأمريكي وجيوش الحلفاء باغتصاب النساء الأوروبيات ، وأسوء ما حصل هو ما فعله الجيش السوفيتي بأكبر عملية اغتصاب جماعي وحشية في التاريخ طالت مليوني امرأة المانية بعد الاحتلال للأراضي الألمانية، وكانت نتيجة ذلك عاشت نساء أوروبا أسوء فترة في تاريخهن، فتعرضن للصدمات النفسية ومنهن من فقدت حياتها وكذلك من اضطرت لعمل عمليات الإجهاض[٢] .

سادسا: حمل القاصرات

قضية حمل المراهقات في الغرب تكشف عن تناقض دعوى العلمانيين الذين يهاجمون الإسلام بدعوى أنه أباح الزواج للفتيات بسن صغيرة ،واعتبروا ان ذلك انتهاك للفتاة وحرمانها من الطفولة وأنها ما زالت قاصرة، وفي الوقت الذي تسمح العلمانية للفتاة الصغيرة بعمر الأحد عشر أو الرابعة عشر بممارسة الجنس مع صديقها فأغلب الفتيات في أوروبا فقدن عذريتهن قبل بلوغ

([١]) ينظر: صور من حياة المرأة في الغرب ، د.مازن مطبقاني ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) : ٤٧ .

([٢]) ينظر: اغتصاب النساء بين القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني ، أ . كريمة خنوسي : ١٠ .

سن الثامنة عشر؛ بسبب الحرية الجنسية والاختلاط ،وتدريس مادة الجنس في المدارس الغربية أدت إلى تفشي العلاقات الجنسية بين الأطفال والمراهقين ،وما نتج عنها من حالات الحمل لدى المراهقات مما أجبر الحكومات الغربية على تدريس وسائل منع الحمل في جميع المراحل الدراسية من المدارس الابتدائية حتى الجامعات [١] و"الحمل لدى المراهقات أصبح مشكلة كبيرة في الولايات المتحدة و أوروبا ، ففي الولايات المتحدة أكثر من مليون فتاة صغيرة تحمل سنويا"[٢] .

سابعا: ظاهرة التحرش

تُعدّ ظاهرة التحرش الجنسي في الغرب نتيجة مباشرة لغياب الوازع الديني وهيمنة الفكر العلماني الذي يفصل الأخلاق عن السلوك. فحين تُرفع شعارات الحرية بلا ضوابط، تتحول المرأة من رمز للكرامة إلى سلعة تُستغل باسم المساواة والانفتاح ، وأجريت عدة دراسات حول الموضوع، ففي دراسة لظاهرة التحرش في كندا ، بينت أن هناك ٦١.٤% من مجموع نساء عددها ١٢٠٠ امرأة أعلن أنهن تعرضن في العمل إلى التحرش الجنسي، يضاف لذلك أن هناك شكل على الأقل من سلوكيات التحرش الجنسي تتعرض له الطالبات في المدارس والجامعات، وهناك أيضا دراسات أثبتت أن عضوات هيئة التدريس تعرضن لمجموعة من أشكال التحرش الجنسي في أماكن العمل [٣] و "في المجتمع الأمريكي، هناك دراسة قامت بها لجنة حماية نظام الجدارة والاستحقاق، كشفت عن أن هناك ٤٢٪ من النساء تم التحرش بهن جنسيا في مكان العمل خلال أربعة وعشرين شهرا، وفي دراسة عام ١٩٨١ م حول النساء في المتاجر والمهن، أشارت هذه الدراسة إلى أن ٩٢٪ من النساء شعرن أنه تم التحرش بهن جنسيا في العمل، وفي مسح آخر قامت به إحدى المنظمات الحكومية اتضح أن هناك ٣٧٪ من النساء العاملات يؤكدن أنه تم التحرش بهن

---

(١) ينظر: العلمانية جذورها وأصولها ، محمد علي بار: ٢٥٨ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٥٨ .

(٣) ينظر: التحرش الجنسي ضد المرأة العاملة ، هند بن حميدة ، قسم علم الاجتماع ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي، غليزان : ٦ .

جنسيا، وأشارت بعض المسوح التي تمت على الطلاب داخل المجتمع الأمريكي إلى أن ٧٠٪ من الطالبات أشرن إلى مواجهتهن ومرورهن بتجارب للتحرش الجنسي من طرف زملائهن، وأساتذتهن" [١].

ثامنا: الدور الهدام للحركة النسوية

الحركة النسوية هي حركة فكرية ظهرت في الغرب في نهاية القرن الثامن عشر في ظل هيمنة العلمانية التي وفرت لها المناخ الملائم ، فطالبت بتحقيق المساوة بين الرجل والمرأة وتحرير المرأة من الهيمنة الذكورية وتمكين المرأة في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية وغيرها . إلا أن هذه الحركة تطرفت وساهمت بتدمير المجتمع الغربي وبقدوم الاستعمار إلى البلدان العربية ظهرت هذه الحركات، وكانت تسعى لتفكيك المجتمعات الإسلامية بدعوى أن المرأة المسلمة مسلوبة الحقوق من قبل الإسلام .

ونذكر هنا بعض الآثار السيئة للحركة النسوية :-

١- الدعوة للسفور والتبرج حيث استطاع الفكر النسوي من إقناع المرأة بحق الحرية الشاملة في جسدها وأنها ليست تابعة لأحد، ولها الحق في أن ترتدي وتفعل ما تشاء ولا يمكن لأحد منعها، وانتقد الحجاب لاعتباره ثقافة أبوية، وبالتالي يسيطر الرجل من خلاله على المرأة باسم الدين.

٢ - تدعو الحركة النسوية إلى حرية المرأة الجنسية دون قيود وهذا مرفوض من قبل الدين.

٣- ظهور تيار النسويات المثليات بعد فترة السبعينيات في الغرب ، رأى أن التمييز بين المرأة و الرجل يتضح بصورة رئيسة في العلاقات الجنسية بينهما، وللقضاء على هذا التمييز ينبغي التوجه إلى الشذوذ الجنسي المثلية حتى يكون الطرفان فيها متعادلين.

---

(١) التحرش الجنسي ضد المرأة العاملة ، هند بن حميدة ، قسم علم الاجتماع ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي، غليزان : ٥.

٤- الحركة النسوية لديها وجهة نظر متطرفة فهي ترفض الأسرة والزواج وقوامة الرجل والأمومة ، وتقلل من أهمية الأمومة على اعتباره وظيفة بيولوجية، لوضع حد لهيمنة نظام الزواج ، وهذا التطرف يدفع المرأة في النهاية إلى الشذوذ الجنسي [١] .

وفي مقابل النسوية ظهرت حركات في الغرب تطالب بعودة المرأة الى وظيفتها الطبيعية وهي تربية الأطفال ورعاية بيتها وزوجها [٢] "وفي استفتاء أجرته إحدى المجلات الغربية بعنوان هل نقول وداعا لعصر الحرية وأهلا بعصر الحريم؟ قال: إن ٩٠٪ من النساء العاملات يرغبن العودة إلى البيت وكان مما قلن: مللنا الاستيقاظ مبكرًا لركوب المترو وقلن: الأمومة هي أشرف شيء للمرأة، وسعادتها أن تكون أماً"[٣] .

تاسعا: انتشار العنوسة

أغلب النساء العلمانيات في الغرب عانسات حيث وصلت النسبة إلى أكثر من خمسين بالمئة وفي الولايات المتحدة فقط تعاني ٤٠% من النساء من العنوسة بالرغم من توفر امكانات الزواج المادية، وستعاني المرأة بشدة وتضطر إلى تحمل صعوبات المعيشة؛ ولأن المال لا يكفي، فتجد نفسها مضطرة للعيش في غرفة بدل من منزل ويكون العمل متعبا ولا يوجد أحد يساعدها فلا أخ ولا زوج ولا صديق وعليها أن تنسى الحياة الأسرية والأطفال وتشعر بعدم الأمان من الوحدة ، ولهذا اتجهت كثير من النساء الغربيات لتربية القطط والكلاب ولا شك أن الفرق واسع جدا بين منزل به كلب وآخر من زوج وأطفال أما إذا مرضت عليها أن تذهب للطبيب لوحدها فتجد نفسها وحيدة وكلما طال العمر زادت المعاناة وفي النهاية عندما تصل إلى سن فوق الخمسين

---

(١) ينظر: تأثير الفكر النسوي على الأسرة المسلمة ، بشرى بنت سعيد خلف المطرفي كلية دار العلوم جامعة المنيا مجلة الدراسات العربية : ٣١٢ – ٣٢٢ – ٣٢٣ – ٣٢٤ – ٣٢٥ .

(٢) ينظر: الدين والعولمة خواطر حول الإسلام والعلمانية والإسلاموفوبيا ، د. أمل خيري أمين ، ٢٠١١ م: ٧٩.

(٣) المسلمون والحضارة الغربية ، تأليف د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، الطبعة التمهيدية : ١٣٩٢ .

تجد نفسها في دار العجزة وهذا وغيره يعني أن العنوسة هي أكبر اضطهاد للمرأة ، وقد أوصلت العلمانية المرأة لهذه الوضع السيء جدا ومن أهم أسباب العزوف عن الزواج هو أن مبادئ العلمانية تعتبر الزنا حرية شخصية ، وأصبحت نظرة الرجل للمرأة أنها جسد فقط بلا حب ومشاعر، وأقنعت العلمانية المرأة أن مستقبلها بالوظيفة واكتساب المال فقط لا بالزواج وتكوين الأسرة [1] .

([1]) ينظر: العلمانية دمرت المرأة عيد الدويهيس الطبعة الأولى ٢٠٢١ : ٩ – ١٠ .

المطلب الثاني: آثار العلمانية على المرأة المسلمة

أدت التحولات الفكرية التي حملتها العلمانية إلى تغييرات عميقة في بنية المجتمعات الإسلامية ، وكان لانتشارها أثر مباشر على المرأة المسلمة بما تحمله من هوية دينية وقيم أخلاقية متميزة. فمع صعود الخطاب العلماني الذي يسعى إلى فصل الدين عن مجالات الحياة كافة، واجهت المرأة تحديات فكرية واجتماعية مست قيم انتمائها الديني ودورها الأسري والمجتمعي.

أولا: محاربة الحجاب

في إطار علمنة المجتمع اتخذت الدول العلمانية في العالم الإسلامي طريقين للقضاء على الحجاب الطريق الأول هو بالطرق السلمية بإقناع النساء بخلع الحجاب باستخدام وسائل متعددة منها التعليم ووسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي وأثرت هذه الدعاية على بعض النساء المسلمات فخلعن الحجاب ، وأما الطريق الآخر فهو سن قوانين بحظر الحجاب ، حيث تم فرض خلع الحجاب بالقوة والإجبار على النساء المسلمات وهذا ما حصل في كل من تركيا وايران زمن الشاه وتونس ، فقامت الحكومة التونسية بحملة شرسة لإجبار النساء المسلمات على خلع الحجاب و اللباس الشرعي بهتك أعراض النساء المتدينات ونزع اللباس الشرعي منهن تماما ، وتم اعتقال مئات الفتيات المتدينات ، ومحاكمتهن، وإيداعهن السجون بجريمة ارتداء الملابس الإسلامية وأداء الصلاة وفي مقر وزارة الداخلية تم تعذيب النساء المسلمات بحضور محارمهن، و بعض الحوامل تم قتل الأجنة في أرحامهن الأمر الذي أدى إلى إصابة الكثير منهن بانهيار عصبي ونفسي وجنسي حسب ما ذكرت المنظمات الإنسانية [1] . وفي ايران أصدر رضا شاه [2] قانونا بحظر

([1]) ينظر: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس) د. يوسف القرضاوي: ١٣٦ .

([2]) هو ملك إيران، وأحد أبرز الشخصيات التي قادت مشروع التحديث القسري في البلاد خلال القرن العشرين. تولّى الحكم سنة ١٩٢٥ بعد إطاحته بالأسرة القاجارية، واتجه إلى بناء دولة تعتمد على الجيش والإدارة الحديثة. سعى رضا شاه إلى علمنة المجتمع الإيراني من خلال إضعاف نفوذ المؤسسة الدينية، وإصدار قوانين تهدف=

الحجاب بشكل عام في إطار تحديث وعلمنة المجتمع وكان رجال الشرطة يطاردون النساء المحجبات في الشوارع لخلع حجابهن واضطرت العديد من النساء الإيرانيات إلى عدم الخروج من البيوت لسنوات طويلة [١] .

وفي تركيا في عهد أتاتورك كان الحجاب محظورا في المؤسسات لكن دون وجود قانون ، وبعد الانقلاب العسكري عام ١٩٨١ مباشرة صدر قانون رقم ٢٥٤٧ ، يمنع دخول النساء المحجبات إلى مؤسسات الدولة وكذلك منع الطالبات المحجبات من دخول الجامعات والمدارس مما اضطر الكثير من الفتيات للدراسة في الخارج [٢] .

وقد قام العلمانيين بمحاربة الحجاب والزي الإسلامي للمرأة بمختلف مسمياته (برقع ، جلباب ، عباءة) بطرق وحجج واهية منها : -

١- أن الحجاب قديم وتراثي ولا يلائم العصر الحديث .

٢- المرأة المحجبة متخلفة وأما المرأة السافرة فهي مثقفة ومتحضرة ومدنية .

٣- الاستهزاء والسخرية بالنساء المحجبات [٣]

٤- الحجاب ليس بواجب فرضته عادات المجتمع في ذلك الزمان وليس من الدين الإسلامي .

٥- دعوى أن الحجاب يضيق على المرأة ويقيدها في العمل .

=إلى تغيير نمط الحياة التقليدي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار العربية : أبو الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم ، الطبعة الرابعة ، الكويت ، (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) : ١٣٣ - ١٣٤ .

([١]) ينظر: رضا شاه بهلوي نهضة ايران الحديثة ، بقلم أحمد محمود السادتي ، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ، (١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م) : ١٤١ .

([٢]) ينظر: حجاب وحراب الكمالية وأزمات الهوية في تركيا ، محمد نور الدين ، رياض الريس للكتب والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ : ١٦٤ .

([٣]) ينظر : التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس) د. يوسف القرضاوي: ١٣٤ .

٦- دعوى عدم قبول المحجبات للعمل في عدة مجالات منها الإعلام والفن وغيرها .

٧- الحجاب والزي الإسلامي طائفي وإرهابي [١] .

ثانيا : تقليد المرأة العربية للمرأة الغربية

خلال المئة عام الأخيرة حدثت تغييرات كبيرة لدى المرأة العربية بفعل عامل علمنة المجتمع الإسلامي والغزو الفكري والانفتاح ، حيث صرنا للمرة الأولى نشاهد نساء مسلمات غير مرتديات للحجاب الذي يستر الشعر والبدن والاختلاط دون ضوابط والتحرر وغيرها من الأمور التي لم تكن معهودة ، وتم بشكل خاص التركيز على علمنة نساء المسلمين فما حصل مع المرأة الغربية كان يراد له أن يحصل مع المرأة العربية، وكما قلنا ساهمت وسائل التعليم والإعلام وغيرها في ذلك ، وكان للمنظمات النسوية التي تأسست في البلدان الإسلامية أيضا دورا في العلمنة والتغريب من خلال رفع شعارات تطالب بحقوق المرأة وتحريرها وصورت وسائل الإعلام العربية المرأة الغربية أنها قوية ومستقلة وحرة ومتحضرة ومثقفة ولم تظهر أيا من المعاناة التي تعيشها في الغرب ، وتأثرت المرأة العربية بهذه الدعاية بشكل كبير ولا نقول أن المرأة العربية وصلت إلى ما وصلت اليه المرأة الغربية فما زالت الكثير من نساء المسلمين ملتزمات بقيم وتعاليم دينهن ولكن هناك البعض من تأثر .

ونذكر بعض مظاهر العلمنة عند النساء المسلمات : -

١- خلع الحجاب والسفور [٢]

٢- الاختلاط بدون ضوابط شرعية والعلاقات المحرمة .

([١]) ينظر : التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس) د. يوسف القرضاوي: ١٣٤ .

([٢]) ينظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية ، سالم علي البهنساوي: ١٥٢ .

٣- برزت ظاهرة الانفصام في الدين عند المرأة المسلمة العلمانية فهي تؤمن بالصلاة والصوم لكنها لا تؤمن ولا تعترف بوجوب الحجاب ولا بقضية الميراث بالإسلام ولا بتعدد الزوجات وتنكر أنها تشريعات أقرها الإسلام [١] .

٤- تقليد الموضة الغربية في الملابس الفاضحة وغير المحتشمة كالملابس القصيرة أو الضيقة وغيرها، وتقليد المرأة الغربية في طريقة الكلام والمكياج [٢] .

و"إن من الناقدات لمثل هذا التقليد صحفية إنجليزية زارت القاهرة سنة ١٩٦١ قبل أن تظهر موجات العري السافر . فماذا قالت ؟ لقد صدمت بمجرد نزولي إلى أرض المطار ، فقد كنت أتصور أنني سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة ، ترتدي الأزياء العملية ، التي تتسم بالطابع الشرقي ، وتتصرف بطريقة شرقية ، ولكن لم أجد هذا فالمرأة هنا هي نفس المرأة التي أبعدوها عن فطرتها ، فالأزياء هي نفسها بالحرف وتسريحة الشعر ، والمكياج حتى طريقة الكلام والمشي . ثم تقول الصحفية الإنجليزية : لقد صدمني من المرأة الشرقية أنها تصورت أن التمدن والتحضر هو بتقليد المرأة الغربية" [٣] .

ثالثا: التحرش ومشاكل عمل المرأة العربية

تُظهر الدراسات أن بيئة العمل في بعض البلدان العربية ما زالت تفتقر إلى الضوابط الأخلاقية والقانونية الكافية لحماية المرأة، وهو ما يربطه عدد من الباحثين بآثار التحولات الفكرية العلمانية التي ركّزت على تحرير المرأة اقتصاديًا دون تعزيز منظومة القيم أو توفير إطار قانوني صارم يضمن أمنها واحترامها. فالعلمانية في نماذجها التي تأثرت بالنمط الغربي دفعت باتجاه خروج المرأة إلى سوق العمل بوصفه مؤشرًا للتحديث، لكنها لم تُرفق هذا الانتقال بحماية اجتماعية

([١]) ينظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية ، سالم علي البهنساوي: ١٥٢ .

([٢]) ينظر: النساء والموضة والأزياء ، خالد عبد الرحمن الشايع ، راجعه وقدمه الدكتور صالح بن غانم السدلان ، دار بلنسية : ٧ .

([٣]) تهافت العلمانية في الصحافة العربية ، سالم علي البهنساوي: ١٥٣ .

متينة، الأمر الذي جعل الكثير من العاملات عرضة لسلوكيات غير لائقة في بيئات عمل تفتقر إلى الرقابة والانضباط ، وبهذا يتضح أن الإشكال لا يكمن في مشاركة المرأة في العمل بحد ذاتها، بل في إهمال الجوانب الأخلاقية والقيمية عند تبنّي النماذج العلمانية الحديثة، مما خلق فجوة بين التحرر الشكلي و الأمان الفعلي، وأدى إلى استمرار مشكلات تحتاج إلى معالجة قانونية وأخلاقية شاملة [١].

وأظهرت دراسات أُجريت في عدد من الدول العربية نتائج متقاربة تشير إلى أن النساء في بيئة العمل يواجهن أشكالًا من التضييق أو السلوك غير اللائق، وغالبًا ما يُقابَل ذلك بالصمت نتيجة الخوف من ردود فعل المجتمع. وقد رصدت جمعية العمل العربية تزايدًا ملحوظًا في الشكاوى الإدارية التي تقدّمها العاملات ضد أرباب العمل، والتي تخفي كثير منها خلفيات تتعلق بسوء المعاملة، وفي مصر ، بيّنت دراسة صادرة عن المركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية انتشارًا لافتًا لحالات الاعتداءات أو الانتهاكات السلوكية بحق النساء سنويًا. كما كشفت دراسات اجتماعية أخرى أن نسبة كبيرة من النساء العاملات تعرّضن لمضايقات في مواقع العمل، سواء كانت لفظية أو سلوكية، وفي تونس أشارت رابطة النساء العاملات في المجال القانوني إلى استقبال مئات الحالات في سنة واحدة ممن أبلغن بتعرّضهن لسلوك مهين، رغم أن نسبة قليلة فقط لجأت إلى التبليغ الرسمي، وأما في المغرب، فتُظهر التقارير أن قطاعات متعددة ما زالت تشهد تحديات تتعلق بسلامة بيئة العمل للنساء، الأمر الذي يستدعي معالجة جادة وإجراءات حماية أكثر فاعلية[٢].

([١]) ينظر: التحرش الجنسي ضد المرأة العاملة ، هند بن حميدة: ٥ .

([٢]) ينظر:المصدر نفسه : ٥ .، ينظر: سيكوديناميات التحرش الجنسي لدى الإناث (دراسة في التحليل النفسي) ، محمد أحمد محمود خطاب ، المكتب العربي للمعارف ، الطبعة الأولى، القاهرة ، ٢٠١٧: ٩.

رابعا : استغلال المرأة المسلمة في الاعلام

تم استغلال المرأة من خلال وسائل الاعلام المختلفة بما فيها الاعمال الفنية ومواقع التواصل الاجتماعي، ثم تعاظم ذلك الاستغلال من خلال قيامها بالأدوار الهابطة والمسفهة حيث لعبت دورا في إفساد وعلمنة المجتمع الإسلامي، وقد تم إشراكها في كل البرامج، وباتت مذيعة للأخبار المتنوعة في البرامج السياسية والرياضية والاقتصادية ، بما يتضمنه ذلك من الإجراءات التي تحوجها لتخرج على التلفاز سافرة متبرجة بالملابس الفاضحة ، وأخيراً أصبحت المرأة على التلفاز جسداً لاستثارة غرائز و مشاعر الرجال ، ووسيلة للتسويق للإعلانات التجارية .

إن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل المعروف يشتمل على منكرات محرمة (منها):-

١- يشاهد الرجال المرأة الممثلة المسلمة سافرة كاشفة عن تفاصيل جسمها ، كالشعر والعنق ومنطقة الصدر والعضدين والذراعين والساقين ، وهذا مما يحرم على المرأة كشفه في الدين الإسلامي.

٢- تكثر مشاركة الممثلات مع الممثلين الرجال في مشاهد غير لائقة، تُقدَّم بلا ضوابط أخلاقية، رغم أنها ليست ضرورية في معظم الأعمال الدرامية.

٣- منها غير ذلك من المحظورات في الشرع التي تشتمل عليها بعض القصص ، وتمثيل مشاهد الحب والغرام المحرم، والتشبه بالرجال، بما فيه من الأفعال لكونها ذريعة إلى المحرم لذاته ، أو المحرمة لذاتها [١] .

خامسا: دعوات العلمانيين لتحرير المرأة العربية

لا يكون التحرير إلا من عبودية وهل المرأة المسلمة في عبودية إن الإسلام أكرم المرأة ، وأعطاها حقوقا مثلما أعطى حقوقا للرجل ولم يجعلها عبدة إلا لله سبحانه وتعالى والقوامة ليست

([١]) ينظر : عمل المرأة في الإعلام المرئي أحكامه وضوابطه الشرعية ، د. حذيفة عكاش : ٤ .

عبودية لأنها تنظيم للأسرة ،وكما أن للسفينة قائد واحد ولو كان اثنين لغرقت السفينة إذن ما المقصود بتحرير المرأة بعد كل الحقوق التي أعطاها الإسلام لها قالوا : أنه يعنى تحريرها من زيها وتحريرها من بيتها قلنا : وماذا يستفيدون بتحريرها من زيها وبيتها وبكلمة أخرى كيف يمكن ابعاد الأمة عن الاسلام من خلال هذا وذاك حيث تمثل المرأة نصف المجتمع ،وهي نصف مهم لأنها تؤدي رسالة مهمة و خطيرة وان جهل عنها الكثيرون، وان الذين يتخرجون من الجامعات والمدارس يمكن تعدادهم ويمكن أن يوجد غيرهم لم يتخرجوا منها ، وأما الجامعة التي يتخرج منها كل أجيال المسلمين بل كل الناس ، وتحرير المرأة بهذا المعنى يعنى تعطيل هذه الجامعة، وإذا أضفنا إلى تحرير المرأة من زيّها تحريرها من بيتها، فإن كلاً منهما ينتج أثرًا معيّنًا. فتحريرها من زيها وحده يؤدي إلى مظاهر غير منضبطة اجتماعيًا، وأما خروج المرأة من بيئتها الأسرية بلا ضوابط، فقد ينعكس سلبًا بحرمان المجتمع من دورها المهم في تربية الأجيال ، غير أن اجتماع التحريرين معًا يؤدي إلى نتائج أشد خطورة، إذ يهدد بتفكك المنظومة الأخلاقية والقيمية للمجتمع، ويُسهم في إضعاف مقوّمات الأمة وانهيار تماسكها بلا شك [١] .

ومن أبرز الداعين الى الانفتاح وتحرير المرأة في العالم العربي "أمثال رفاعة الطهطاوي [٢]

([١]) ينظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د. علي محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق: ٨٥ – ٨٦ – ٨٧ .

([٢]) رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١م – ١٨٧٣م) هو أحد رواد النهضة الفكرية في مصر والعالم العربي في القرن التاسع عشر، وُلد في طهطا بصعيد مصر سنة ١٨٠١م التحق بالأزهر وتلقى فيه العلوم الدينية واللغوية ويُعد من أوائل من دعوا إلى تحديث المجتمع المصري من خلال التعليم والانفتاح على الحضارة الغربية مع التمسك بالثوابت الإسلامية ، ينظر : تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، رفاعة رافع الطهطاوي ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٠ : ٣١٩ .

وقاسم أمين [١] نظيرة زين الدين، وهدى شعراوي [٢]. وكان العمل على صياغة التصور الإسلامي لتحرير المرأة العربية" [٣].

ومن وجهة نظري فإن تركيز العلمانية على المرأة ؛لأنها ركيزة أساسية لا سيما في المجتمعات الدينية وهي تمثّل رمزًا محوريًا للهوية الدينية وبنية الأسرة فهي ركن أساسي في تربية الاجيال، ومن خلالها يمكن إحداث تغيير خطير وعميق في المجتمع.

---

(١) قاسم أمين (١٨٦٣م – ١٩٠٨م) هو مفكر وفيلسوف مصري يُعد من أبرز رموز النهضة الفكرية في العالم العربي في مطلع القرن العشرين، واشتهر بدعوته إلى تحرير المرأة، كما يُعد من أوائل من نادوا بالتجديد الاجتماعي والتعليمي في مصر ، ينظر : بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب والمسلمين في مصر (١٩٠٠ م – ١٣١٨ هـ إلى ١٩٦٤ م – ١٣٨٤ هـ) ، د. حسين سعد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، (١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م) : ١٦٧ .

(٢) هدى شعراوي (١٨٧٩–١٩٤٧)، المعروفة أيضًا بنور الهدى محمد سلطان شعراوي، كانت رائدة الحركة النسائية المصرية ومؤسّسة الاتحاد النسوي المصري. وُلدت في المنيا بصعيد مصر عام ١٨٧٩ لعائلة غنية ومؤثرة؛ والدها محمد سلطان باشا كان رئيس البرلمان المصري وهي أول مرأة مصرية خلعت حجابها بعد عودتها من أوروبا ، ينظر : هدى شعراوي تأسيس الاتحاد النسائي ، الدكتور محمود محمد علي : ٨ – ٩

(٣) علاقة الجندر بالحركة النسوية ، مسعودة مرغيت ، مجلة رفوف جامعة أدرار – الجزائر المجلد: ١١ العـدد: ٠١ ، ٢٠٢٣ : ٨٣٧ .

الفصل الثالث

معالجة القرآن لمظاهر العلمانية

المبحث الأول: نظرة القرآن الكريم الى العلمانية ووسائل محاربتها

المبحث الثاني: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في مجالات الحياة

المطلب الأول: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في الفكر المادي

المطلب الثاني: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في الاقتصاد (الربا أنموذجا)

المطلب الثالث: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في الأخلاق

المطلب الرابع: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في الاجتماع والقانون والفن والإعلام

المطلب الخامس: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في العلم

يُعدّ القرآن الكريم المنهج الإلهي الشامل الذي يعالج انحرافات الفكر البشري، ومنها العلمانية التي تسعى لفصل الدين عن الدولة و الحياة .

المبحث الأول: نظرة القرآن الكريم الى العلمانية ووسائل محاربتها

تقوم العلمانية على أساس عدم تدخل الخالق في شؤون الحياة الدنيوية والقران يرفض هذا المبدأ الذي تنادي به العلمانية ؛ لأنه يتنافى مع التصور القرآني، فيؤكد القران أن سلطان الخلق وسلطان الامر في يد الله تعالى وحده، والعلمانية تنافي التوحيد؛ لأنها تجعل العباد يشاركون الله تعالى في التشريع والتنظيم ، والمقصود من الخلق هو الخلق والإيجاد الأول. والمقصود من الأمر هو القوانين والسنن الحاكمة على عالم الوجود كله بأمر الله سبحانه تعالى [١].

ويشمل الامر التشريع في أمور الحلال والحرام وسائر القوانين التي تنظم حياة الانسان، والله سبحانه جمع بيده الخلق والأمر دون أن يكون له شريك سواء في الخلق أو الأمر وبالتالي فهي ترسم مبدأ التوحيد، وفي هذا الكلام رد على العلمانيين الذين يدعون أن الله تعالى خلق الكون ثم جلس جانبا وترك أمر تدبيره إلى الإنسان، وأن الله تعالى لا يتدخل في السياسة والمجتمع؛ لأنه يناقض جوهر التوحيد [٢] . "و فصل الخلق من الأمر؛ لأن فائدتهما مختلفة لأن (له الخلق) يفيد أن له الاختراع، (وله الأمر)معناه له أن يأمر فيه بما أحب فأفاد الثاني ما لم يفده الأول" [٣] قال تعالى: "﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾" [٤].

([١]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ٥/ ٧٥ – ٧٦ .

([٢]) ينظر : التفسير الكاشف محمد جواد مغنية (١٤٠٠)، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان ١٩٨١ : ٣ / ٣٣٩ .

([٣]) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ ه) تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي مكتب الإعلام الإسلامي الطبعة الأولى ١٢٠٩ ه . ق :٤/ ٤٢٣.

([٤]) سورة الأعراف / ٥٤ .

والقرآن يرفض فصل الدين عن شؤون الدولة والحياة ،ويبطل الثنائية الغيبية الله والقيصر في حياة الإنسان، وعليه فإنه يعالج الأساس الفكري للعلمانية ويبطله، فيؤكد أن الدين ليس أمرا شخصيا ولا ينحصر في المسجد فهو يدخل في جميع شؤون الإنسان في حياته، فجميع أعمال الإنسان وسلوكياته في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي لله تعالى، ومن أهم مظاهر الصلاح والرشاد في حياة الرسول وحدة توجهاته في نطاق حياته فلم تكن ذبائحه صلاته لغير الله مثل ما كانت عليه الجاهلية ، أو صلاته لله من خلال عبادته للأوثان . ولم يكن مماته لله وحياته لقيصر ، فسياسته واقتصاده ، واجتماعه وأخلاقه ، وبناء بيته وتربيته ، وحتى سكناته وحركاته كلها كانت لله ، وباتجاه رضاه ، ولتحقيق مبادئه سبحانه ، وفي منهجه كما كان مماته لله ، فكان يختار الشهادة في سبيل الله إذا دعت الحاجة لذلك [1] .

و"ذلك المربع يعني توجيه الإنسان ككلّ إلى التوحيد ، موحدا في « صلاتي » موحدا في « نسكي » وهي كافة العبادات بل وكلّ الاتجاهات ، وموحدا في « محياي » حياة وزمانها ومكانها وكلّ مكانتها ، وموحدا في « مماتي » فكما أن حياتي مكرّسة « لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ » كذلك « مَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ » ذلك ، فقد تعني تكريس كلّ الإمكانيات في كافة الواجهات في مربع الصلاة والنسك والحياة والممات « لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ » إضافة إلى الإنباء أن ذلك كله لله بقدرته الطليقة" [2] .

قال تعالى: "﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾" [3].

([1]) ينظر : من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، دار القارئ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٩ : ٢ / ٤٢٦.

([2]) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه ، الشيخ محمد الصادقي ، (١٤٣٢) فرهنگ اسلامى ، الطبعة الثانية ، ايران ، قم ، ١٤٠٦ هـ . ق :: ١٠/ ٣٦٩ .

([3]) سورة الأنعام / ١٦٢ .

والآيات القرآنية ترفض جانب التجزئة في الدين، فالعلمانية تُريد من الناس أن يؤمنوا ببعض الدين كالعبادات والأخلاق الفردية، ويتركوا بعضه الآخر كالتشريع من السياسة والاقتصاد والاجتماع، والقرآن يرفض هذه الازدواجية مبينا أن إقصاء الشريعة من مجالات الحياة هو صورة من صور الكفر ، فإنَّ أي طريق يقوم على التفريق بين رسل الله تعالى؛ فيُؤمن ببعضهم ويُعرض عن بعض، أو يُفرِّق بين أحكام الله وشرائعه؛ فيأخذ بعضها ويُهمل بعضها الآخر، هو طريق لا يرضاه الله تعالى. كما أن الطرق التي لا تحقق سعادة المجتمع الإنساني، أو تجرّه إلى ما يناقض كماله وطمأنينته، ليست من الهداية الإلهية في شيء. فهي مسارات منحرفة عن شريعة الفطرة، وتقع بصاحبها في أودية الضلال واتّباع الأهواء، وليست سبيلًا إلى نور الله تعالى وهدايته [١].

وقد وبخ بني اسرائيل بشدة على التزامهم ببعض الأحكام الشرعية، وتركهم لبعضها الآخر، ويخبرهم بخزي الدنيا وبعذاب الآخرة وبخاصة في عملهم بالأحكام الجزئية، أي يعملون بالأحكام التي توافق مصالحهم الذاتية ومخالفتهم لأهم الأحكام الشرعية بتركهم الأحكام التي لا تنسجم مع مصالحهم الدنيوية، ومصير هؤلاء الخزي في الدنيا وأشد العذاب في الآخرة حسب التعبير القرآني، ولا خزي أكبر من سقوط هذه الأمة السائرة على خط الازدواجية بيد الأعداء، وهبوطها في مستنقع الذلة، الأمر الذي لا ينطبق على اليهود فقط ، بل هي تنطبق في كل زمان ومكان، ونجد اليوم الكثير من المسلمين الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، ومن هؤلاء العلمانيون الذين يأخذون من القرآن الجانب الروحي، ويتركون جانب السياسة والاخلاق والاقتصاد[٢] .

([١]) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره (١٤٠٢) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة : ٧ / ٢٤٩ .

([٢]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ١/ ٢٨٧ .

قال تعالى: "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾ [1] وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾" [2].

والقرآن الكريم يرفض مفهوم العلمانية من خلال تأسيسه لنظام سياسي مرتبط بالله تعالى، بوصفه الإطار الحاكم لشكل الحكم في الإسلام، وبذلك فهو يرفض مبدأ فصل الدين عن السياسة. فالقرآن يقرر نظامًا سياسيًا إلهي المصدر، تكون فيه السلطة خاضعة لمرجعية الله وحده، ويكون الحاكم مسؤولًا أمامه، مشروطًا بالعدل في مقابل الطاعة والسمع من الأمة. كما تحدد الولاية بالرسول ﷺ ثم بالأئمة، فالأمانة تشمل ولاة الأمر؛لأن الله تعالى كلّف الأئمة بأن يسلّم كلٌّ منهم المسؤولية لمن يليه على نحوٍ صحيح. ويندرج هذا التفسير ضمن المعنى العام للأمانة لأنه جزء مما استودعه الله لهم. كما أمر الله الحكّام أن يقضوا بين الناس بالعدل، لا بالجور والظلم، وهو من أعظم ما يتحمله الحاكم من أمانة [3]. وبعدما صرح سبحانه ما يجب على الحاكم من العدل ، صرح ما يجب على الأمة تجاه الحاكم العادل من السمع والطاعة ، وبيّن القائد الذي يحق له أن يحكم ، بقوله : (أَطِيعُوا اللَّه) بالالتزام بأوامره والامتناع عن زواجره (وأَطِيعُوا الرَّسُولَ)[4] وذلك"أن إطاعة الرسول ﷺ هي إطاعة الله وإنما يذكران معا تبجيلا للرسول، فإن أوامره كأوامر

([1]) سورة النساء / ١٥٠ .

([2]) سورة البقرة / ٨٥ .

([3]) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) : ٣ / ٢٣٤ ، ينظر : تفسير القمي، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (رحمه الله)، صححه وعلق عليه وقدم له حجة الاسلام العلامة السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم – إيران : ١ / ١٤١ .

([4]) ينظر : تقريب القرآن إلى الأذهان السيد محمد الحسيني الشيرازي (١٤٢٢) دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى بيروت لبنان ١٤٢٤ – ٢٠٠٣ م : ١ / ٤٩٥.

الله سبحانه وأطيعوا (أُولِي الأَمْرِ) أي أصحاب السلطة الذين بيدهم الأمر (مِنْكُمْ) ،وقد عيّن أولو الأمر في غير واحد من الأحاديث أنهم الأئمة الهداة الاثني عشر عليهم السّلام وهم : علي أمير المؤمنين ، والحسن ، والحسين ، وعلي ، ومحمد ، وجعفر ، وموسى ، وعلي ، ومحمد ، وعلي ، والحسن ، والمهدي أما إطاعة العلماء فهي طاعة لأولي الأمر ، إذ هم نوّابهم"[1].

قال تعالى: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ٥٩﴾" [2].

ويؤكد القرآن الكريم على أن أي حكومة بشرية يجب أن تستمد شرعيتها من الله تعالى ؛لأن فصل الدين عن الدولة هو مخالفة لتوحيد الحاكمية ولابد للناس من حكومة؛ لأن الحياة البشرية تتطلب ذلك، فلا يمكن بدون حكومة أن تنظم المشاريع، وتقسم المسؤوليات وترد الحقوق ومن جهة أخرى، مبدأ الحرية يقرر أن لا أحد له حق في تولي السلطة على أحد، إلا إذا سمح بذلك المالك الحقيقي. وبالتالي فالقرآن يرفض كل حكومة لا تنتهي إلى الحكومة الإلهية ومن هنا أيضا نرى شرعية الحكم للنبي ﷺ وللأئمة المعصومين (عليهم السلام) ثم للفقيه العادل، ومن الممكن أن يختار الناس شخصا ليحكمهم ، ولكن من الصعب اتفاق جميع الناس ، ولذلك لا يمكن تطبيق مثل هذه الحكومة فعليا [3] .

قال تعالى: "﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾" [4].

([1]) تقريب القرآن إلى الأذهان السيد محمد الحسيني الشيرازي (١٤٢٢) دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى بيروت لبنان ١٤٢٤ – ٢٠٠٣ م : ١ / ٤٩٥.

([2]) سورة النساء : ٥٨ – ٥٩ .

([3]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ٢٠ / ٥٦٢ – ٥٦٣ .

([4]) سورة يوسف / ٤٠ .

والعلمانية بما تقرره من قوانين وضعية بشرية، ووصفها لمن يخالف هذه القوانين بالرجعية والتخلف مخالفة لما أنزل الله سبحانه ، ومنازعة للشريعة الإسلامية ، فلا يحق للحاكم أو القاضي الحكم بالقانون الوضعي المدني العلماني، وترك قانون الله تعالى وقد وصفت الآيات القرآنية كل من يحكم بغير ما أنزل الله بالكافر والظالم والفاسق ، واختلف المفسّرون في بيان معنى الكفر الوارد بشأن من لا يحكم بما أنزل الله تعالى ؛ سواء كان ذلك قاضيًا يقضي بغير الشرع، أو حاكمًا يخالف أحكام الله تعالى ، أو مبتدعًا يترك السنة، والراجح فقهيًا أن مخالفة الحكم الشرعي أو أي أصل ثابت في الدين تختلف باختلاف حال المخالف: فمن يعلم بثبوت الحكم الشرعي ثم يردّه وينكره، فذلك يوجب الكفر ، أمّا من يعلم بالحكم لكنه لا يرده بل يخالفه مع الاعتراف به، ففعله يعدّ فسقًا أو ظلما وأمّا من يجهل الحكم الشرعي، ولا يعرف ثبوته، ومع ذلك يخطئ فيه دون عناد، فلا يُحكم عليه بكفر ولا بفسق، إلا إذا كان قد قصّر في طلب العلم الواجب عليه وللتفصيل يُرجع إلى كتب الفقه المختصة[1] .

ومما يشد الانتباه إطلاق مفردة الكافر مرة و الظالم أخرى والفاسق ثالثة، في الآيات الثلاث على الذين يتجنبون تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، ولعل هذا الاختلاف في إطلاق صفات متنوعة إنما هو لتوضيح أن لكل حكم جوانب ثلاثة :

أولا: ينتهي بالمشرع الذي هو الله .

ثانيا: يخص المنفذين للحكم (القاضي أو الحاكم) .

ثالثا: يرتبط بالشخص أو الأشخاص الذين يطبق عليهم الحكم .

أي أن كل سمة من السمات الثلاث المذكورة قد تكون دلالة على واحد من الجوانب الثلاثة؛ لأن الذي لا يحكم بما أنزل الله يكون قد خالف قانون الله وتجاهله، فيكون بغفلته هذه قد كفر ، ومن

(1) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي: ٥ / ٣٤٨ .

جانب آخر اقترف الجور والظلم بابتعاده عن حكم الله تعالى – على شخص مظلوم برئ ، وثالثا: يكون قد خرج عن حدود مسؤوليته وواجباته ، فيصير بذلك من الفاسقين والفسق ، كما هو معلوم الخروج عن حدود العبودية والواجب[١] .

قال تعالى: "﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾" [٢] ، وقال تعالى: "﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾" [٣] ، وقال تعالى: "﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾" [٤]

ويحذر القرآن الكريم من الثقافات الدخيلة ومنها العلمانية التي دسها الأعداء إلى العالم الإسلامي ،والذين سعو إلى حرف الأمة الإسلامية عن شريعة الحق، والعدل ولذلك فإن القرآن يدعو المسلمين إلى التمسك بالقوانين الإلهية وأحكام الله، ولا يتأثروا وينخدعوا بهذه الأفكار . ومن ذلك تأكيد الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بضرورة الحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله ، وعدم الانجرار وراء رغباتهم أو خضوعه لأهوائهم وتقلباتهم [٥].

ووفق هذه الرؤية الإلهية البناءة، لا يعني السلام مع سائر الأمم التنازل لانحرافهم وأهوائهم أو الاستسلام لضغوطهم بل يعني المزيد من التمسك بالأحكام الإلهية، والتطبيق العملي لاستباق الخيرات والتنافس البناء، و الأعداء المنافسين يسعون من أجل إدخال أفكارهم، وثقافاتهم الباطلة إلى العالم الاسلامي في حالات السلم القائمة بينهم وبين المسلمين، لذلك فإن القرآن يوصي المسلمين بضرورة اتخاذ جانب الحذر حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار، وعلى المسلمين ألا يعجبوا

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ٤ / ٢٤ .

(٢) سورة المائدة / ٤٤ .

(٣) سورة المائدة / ٤٥ .

(٤) سورة المائدة / ٤٧ .

(٥) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى السبزواري (١٤١٤) ، دفتر سماحه آية الله العظمى السبزواري ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ . ق : ١١ / ٢٧٦

بالحياة المستقرة و الآمنة التي يظهر وجودها عند الكفار أو المجتمعات الأخرى، لأن هذه الحياة سوف تتحول إلى عذاب نتيجة ذنوبهم، ولذلك يجب الوقوف بصلابة ضد تقليدهم والتأثر بهم [1].

قال تعالى: "﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾" [2].

ويبرز دور القران في معالجة فصل الدين عن الدولة من خلال أنه يبين أن أي حاكم يتبع الأحكام الوضعية العلمانية التي هي من صنع الإنسان، ولا يلتزم بالأحكام السماوية الإلهية إنما هو في الحقيقة يسير في طريق الجاهلية ، فكل من يلتمس حكماً غير حكم الله ينتقل بذلك إلى أحكام الجاهلية، إذ يكفي في وصفها أنها تقوم على الجهل لا على العلم والحق. أمّا حكم الله تعالى فهو الأكمل والأعدل، ولذلك جاء قوله: (وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا) أي لا يوجد من هو أعدل ولا أحسن حكماً منه سبحانه [3] ."وقوله تعالى (وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا)نصب على التمييز أي فصلا بين الحق والباطل من غير محاباة، ولا مقاربة؛ لأنه لا يجوز للحاكم أن يحابي في الحكم بأن يعمل على ما يهواه بدلا مما يوجبه العدل ،وقد يكون حكما أحسن من حكم بأن يكون أولى منه وأفضل منه وكذلك لو حكم بحق يوافق هواه كان ما يخالف هواه أحسن مما يوافقه ، وقوله تعالى (لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ) معناه عند قوم يوقنون بالله وبحكمه فأقيمت اللام مقام (عند) ، وهذا جائز إذا تقاربت المعاني ولم يقع اللبس ؛لأن حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض " [4].

([1]) ينظر: من هدى القرآن ، المدرسي : ٢/ ٢٣٩.

([2]) سورة المائدة / ٤٩ .

([3]) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن تأليف أمين الاسلام لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ) حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين قدم له السيد محسن الأمين العاملي منشورات مؤسسة الأعلمي الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م : ٣ / ٣٥٣ .

([4]) التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي: ٣ / ٥٥٠ .

قال تعالى: "﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾" (١).

ويستنكر القرآن الكريم على من يدعون أنهم مسلمون، وفي نفس الوقت يعملون بالأحكام المخالفة للوحي، وقد أمرو بالكفر بكل سلطة لا تستمد شرعيتها من الوحي ، فالعلمانية تمثل الطاغوت ؛لأنها انحراف عن الدين فهي تحكم بغير ما أنزل الله ، والمقصود من الطاغوت كل سلطة و هيئة حكومية أو قضائية تحكم أو تقضي بغير القانون الإلهي ، وتعمل في الشعوب الإسلامية بالإثم والجور والعدوان، وقد أمرنا الله أن نكفر بمثل ذلك، والعصيان والخروج على كل حكومة طاغية وإن كان ذلك يكلفنا الصعاب ويحملنا المتاعب، روي عن عمر بن حنظلة (٢) "أنه قال : سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث ، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذه سحتا ، وأن كان حقا ثابتا له ؛ لإنه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به ، قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ۝٦٠﴾(٣) ، قلت كيف يصنعان ؟ قال : ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم

---

(١) سورة المائدة / ٥٠ .

(٢) راوي حديث إمامي "عده الشيخ في رجاله (تارة) في أصحاب الباقر عليه السلام ، قائلا :عمر يكنى أبا صخر، وعلي ابنا حنظلة كوفيان عجليان ، و (أخرى) في أصحاب الصادق عليه السلام ، قائلا: عمر بن حنظلة العجلي البكري، الكوفي " معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة زعيم الحوزات العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدس سره، الطبعة الخامسة طبعة منقحة ومزيدة السنة(١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) : ١٤ / ٣٢ .

(٣) سورة النساء / ٦٠ .

حاكما..." [1] .وفي هذه الرواية يحرم الامام الرجوع الى الحكام غير الشرعيين في المسائل الجزائية أو الحقوقية ومن تحاكم اليهم فقد تحاكم الى الطاغوت [2] .

قال تعالى: "﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾" [3].

ويؤكد القران أن الإيمان الحقيقي يرتبط بوجوب الرجوع إلى حكم الشريعة الإسلامية في الخلافات والنزاعات، ويبين أن مسؤولية القضاء بين الناس هي مسؤولية الرسول بالتالي فهو يرفض فكرة العلمانية الداعية إلى إبعاد الدين عن السلطة القضائية ، اذا فلا إيمان بدون تحكيم الشريعة الإلهية والقبول بحكم الله تعالى وقضاء رسوله والتسليم لهما اعتقادا وعملا ، وإلا فليس الإيمان فقط النطق بالشهادتين من دون الطاعة لله ولنبيه ، فتكون هذه الآية تطبيقا آخر للأمر بطاعته عز وجل وطاعة نبيه ، وتثبت مضمونه وتؤكّده ، وقد أكّد عزّ وجلّ في مواقع متفرّقة من الآيات القرآنية أنّ الإيمان الحقيقيّ هو الاعتقاد الذي يقترن بالعمل [4] .

وذكر "بيان للإيمان الصحيح الحقيقيّ بعد ذكر الإيمان الكاذب الذي يزعمه المنافقون ، ولأهمية الموضوع وقع القسم باسم الرّب مؤكّدا بأمور في المقام يأتي بيانه وظاهر السياق وإن

([1]) أخرجه محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٨ / ٣٢٩ هـ) ؛ الأصول من الكافي،١ / ٦٧ ،رقم الحديث (١٠) كتاب العلم، باب (اختلاف الحديث) .

([2]) ينظر: الحكومة الإسلامية ، السيد روح الله الخميني ، ١٣٨٩ : ٨٥ – ٨٦ – ٨٧ ، ينظر : تفسير نور الثقلين الشيخ الحويزي (١١١٢) ، تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، قم ، ١٤١٢ – ١٣٧٠ ش : ١ / ٥٠٨ ، ينظر : تفسير الصافي ، فيلسوف الفقهاء المولى محسن الفيض الكاشاني (قدس سره) (١٠٩١هـ) ، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، مكتبة الصدر ، الطبعة الثانية ، طهران ، ١٤١٦ : ١ / ٤٦٦ .

([3]) سورة النساء / ٦٠ .

([4]) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السبزواري: ٨ / ٣٥٨ .

كان ردّا للمنافقين إلا أنّ عموم الحكم في الغاية والقرائن المحفوفة بالكلام ، يشمل غيرهم أيضا ، فتكون الآية الشريفة محكّا حقيقيّا للإيمان الصحيح" [١].

قال تعالى: "﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾" [٢].

وتقر العلمانية أن السيادة للشعب ،والمجالس التشريعية هي المرجع فيما تقره من القوانين ، بينما يؤكد القرآن أن السيادة لله تعالى في كل مجالات الحياة، وهو المرجع في جميع ما يعرض من أمور واختلافات ، وعليه، فليس في موضع الخلاف حُكمٌ حقّ إلا حكم الله تعالى وحده؛ إذ يُستمدّ أصلُ الحكم من كتاب الله تعالى ، وتُبيَّن تفاصيله وتُشرح من سنة رسوله. ولا اعتبار لحكمٍ غيرهما ؛لأن الرجوع في النزاعات إلى غير الله تعالى لا يُنهي الخلاف، بل قد يُولِّد خلافات جديدة. فالحكمة التامة، والعلم المحيط، والرحمة الواسعة التي تُزيل الشقاق إنما هي لله سبحانه وحده [٣] . " فالرجوع إلى القياسات والاستحسانات مما لم يأمر به الله أو نهى عنه ، كما الرجوع إلى من لا يتبنّى من الفقهاء في حكمه كتاب الله تعالى وسنة رسول لله هو رجوع إلى الطاغوت ، فلا حكم إلّا لله !. إن كتاب الله تعالى هو المرجع الرئيس في أي حكم وفي أية خلافات ، يتبنّى في كل شارد ووارد ، يعرف به الغث عن السمين والخائن عن الأمين ، فما وافق كتاب الله تعالى هو وارد وما خالفه فهو مارد" . [٤]قال تعالى: "﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾" [٥] .

([١]) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السبزواري: ٨ / ٣٥٧ – ٣٥٨ .

([٢]) سورة النساء / ٦٥ .

([٣]) ينظر: الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه ، الصادقي : ٢٦ / ١٣٠ – ١٣١ .

([٤]) المصدر نفسه : ٢٦ / ١٣١ .

([٥]) سورة الشورى / ١٠ .

والقرآن الكريم يرفض فكرة الغاية تبرر الوسيلة فهي تمثل فكرا شيطانيا يستخدمها الإنسان للوصول إلى الأهداف ويحذر من اتباع وسائل الشيطان . فالحكم في الإسلام يقوم على العدل والحق، لا على الوسائل غير المشروعة كالظلم و الغش و الخداع، والغدر والخيانة بنقض العهود والمواثيق حتى مع الأعداء ولو كانت الغاية نبيلة ولا يقتصر على الجانب السياسي بل في جميع المجالات الأخرى الاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

والشيطان لا يدفع الإنسان إلى الفواحش دفعة واحدة، بل يجرّه إليها تدريجياً خطوة بعد خطوة، ومن هنا تأتي ضرورة اليقظة والحذر من الاستجابة لأول خطواته؛ لأن الاسترسال معه يجعله يزداد طمعاً في الإنسان. كما أن أي سلطة تُبنى على الكذب والافتراء لا يمكن أن تكون في طريق الله تعالى ،ولا في خدمة المستضعفين. ولهذا يؤكد القرآن :وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فليس للشيطان نصيحة يقدمها، وإنما يسعى دائماً إلى الإضلال. والمقصود بالنهي عن اتباع خطوات الشيطان هو تجنّب وسائله وأساليبه؛ لأن الغاية لا تُبرّر الوسيلة، بل إن طبيعة الغاية هي التي تحدد الوسيلة المشروعة لتحقيقها. [1] فإذا كانت الغاية مرضاة الله تعالى ، فلا بد أن تكون الوسيلة طاهرة، صادقة، بعيدة عن الكذب والافتراء والظلم وإن الذي يتبع سبل الشيطان ووسائله لا يحقق سعادة الناس وهدايتهم ، فكثير من الاشخاص الذين حدثوا أنفسهم بالوصول إلى السلطة ، ومن ثم تحقيق العدل والمساوة والحرية للناس ، ولكنهم تورطوا بعد ما وصلوا إلى السلطة في جرائم القتل والإرهاب وإشاعة الفاحشة ، فما نجحوا بل أصبحوا أفسد ممن كان قبلهم [2] .قال تعالى: "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾" [3].

([1]) ينظر: من هدى القرآن ، المدرسي : ٦ / ٣٢ .

([2]) ينظر: المصدر نفسه : ٦ / ٣٢ .

([3]) سورة النور / ٢١ .

وقوم بينك وبينهم معاهدة وخفت من ان يخونوك وينقضوا المعاهدة ، وتبين لك علامات دالة على ذلك فانبذ وألق إليهم عهدهم وأخبرهم إلغاء العهد ليكون الطرفان على استواء من نكثه أو إفساد العهد أو تكون مستويا على عدل فإن من العدل المعاملة بالسواء والمثل لأنك إن قاتلتهم قبل إخبارهم إلغاء العهد فإنه خيانة منك والله لا يحب الخائنين [١] .

و"الخيانة – على ما في المجمع – نقض العهد فيما يؤتمن عليه، وهذا معنى الخيانة في العهود والمواثيق، وأما الخيانة بمعناها العام فهي نقض ما أبرم من الحق في عهد أو أمانة ، والنبذ هو الالقاء ومنه قوله: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم ﴾[٢] والسواء بمعنى الاستواء والعدل. وقوله: (وإما تخافن) كقوله في الآية السابقة: (فإما تثقفنهم) ومعنى الخوف ظهور امارات تدل على وقوع ما يجب التحرز منه والحذر عنه وقوله: (إن الله لا يحب الخائنين) تعليل لقوله: (فانبذ إليهم على سواء)"[٣]

قال تعالى: "﴿إِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨﴾" [٤]

وفي النهاية نقول إن الوسائل والأدوات التي استخدمها الرسول، لنشر دعوته، واستعان بها لنشر دينه، كانت أخلاقية إنسانية تماما فهو ﷺ لم يستخدم أبدا أساليبا غير أخلاقية كقطع الماء على خصومه، أو تلويثه و تسميمه ، أو قطع الأشجار ،وما شابه ذلك من الأساليب غير الأخلاقية بل وأوصى بأن لا يتعرض بالأذى إلى الأطفال والنساء وكبار السن والعجائز ، وأن لا تقطع الأشجار، وأن لا يبدأ في قتال الخصم قبل الدعوة إلى الدين وإتمام الحجة عليه، وإن الشريعة الإسلامية ترفض رفضا قاطعا مبدأ الغاية تبرر الوسيلة لمكيافيلي وكمثال رفض اقتراح

([١]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي: ٩ / ١١٣ .

([٢]) سورة آل عمران / ١٨٧.

([٣]) الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي: ٩ / ١١٣ .

([٤]) سورة الانفال / ٥٨ .

أحد اليهود لهزيمة اليهود في معركة خيبر عن طريق تسميم الماء الموصل إلى الحصن، إن سيرة رسول الله ﷺ حافلة بقصص التعامل الإنساني النبيل مع الخصوم والمعارضين [1] .

وأما وسائل محاربة العلمانية فإنها توجز فيما يلي :-

١- تفعيل الخطاب القرآني المعاصر، القائم على الفهم المقاصدي والربط بالواقع، في تحصين الفرد والمجتمع من التصورات العلمانية التي تفصل القيم عن الحياة العامة.

٢-المواجهة الفكرية والمعرفية فلابد من تفكيك الأسس الفلسفية للعلمانية، ولا سيما اعتمادها على المادية والنسبية الأخلاقية، وبيان قصورها عن تقديم إجابات شاملة للأسئلة الوجودية والقيمية.

٣-إنتاج خطاب نقدي علمي معاصر يبيّن التناقضات الداخلية في الفكر العلماني، خاصة في قضايا الحرية المطلقة، والهوية، والأخلاق العامة

٤-تعزيز حضور الدين في المجال العام بوصفه مرجعية أخلاقية موجِّهة، لا عائقًا أمام التقدم.

٥-ربط القيم الدينية بقضايا الإنسان المعاصر (العدالة، الكرامة، الأسرة، المسؤولية الاجتماعية) بدل حصرها في الطقوس.

٦- تمكين الأسرة والمؤسسات التربوية من أداء دورها التربوي ضرورة أساسية في تحصين الهوية القيمية للأجيال الجديدة .فتعزيز الشراكة بين الأسرة والمدرسة يسهم في ترسيخ القيم الإسلامية وبناء الوعي الأخلاقي والفكري لدى الناشئة.

٧-ينبغي اصلاح المناهج الشرعية وتطويرها وإدخال المناهج العلمية وتوظيف العلم لخدمة الحقائق الايمانية، والربط بين العلم والإيمان، فينبغي إظهار الانسجام بين الاكتشافات العلمية

([1]) ينظر : العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ،العلامة المحقق الأستاذ جعفر السبحاني نقله إلى العربية جعفر الهادي، مؤسسة الصادق عليه السلام، الطبعة الأولى، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) : ١٥٤ .

والإيمان بالخالق، بدل تقديم العلم بوصفه بديلًا عن الدين، ونقد فكرة الصراع بين الدين والعلم بوصفها نتاجًا غربيًا خاصًا[1]

٨-المواجهة المعاصرة لا تكون بنقد نوايا العلمانية فقط، بل بإثبات قدرة المرجعية الإسلامية على إنتاج حلول عملية في الاقتصاد، والسياسة، والإدارة، والعدالة الاجتماعية، فلم تعد العلمانية تُروَّج اليوم بوصفها عداءً للدين، بل باعتبارها نموذجًا أكثر كفاءة لإدارة الحياة.

٩-يُعدّ إنتاج محتوى إعلامي احترافي يقدّم القيم الإسلامية بصيغة عقلانية ومعاصرة ضرورةً استراتيجية في مواجهة الخطاب العلماني. فاعتماد أساليب تحليلية ولغة إعلامية حديثة يسهم في إيصال الرؤية الإسلامية إلى الجمهور، ولا سيما الشباب، بعيدًا عن النمط الوعظي التقليدي .

١٠-ينبغي القول إنّ التطرّف الديني في بعض السياقات المعاصرة لا ينشأ دائمًا من داخل البنية الدينية ذاتها، بل يكون أحيانًا ردّ فعل على التطرّف العلماني القائم على تهميش الدين وإقصائه عن المجال العام. ويؤدي هذا الإقصاء إلى شعور بالتهديد الهويّاتي والاغتراب القيمي، يدفع بعض الأفراد إلى تبنّي قراءات دينية متشددة بوصفها آلية دفاع.

١١- ينبغي العمل على دعم المفكرين الإسلاميين وتمكينهم من الحضور الفاعل في الفضاء الإعلامي، بوصفهم صوتًا علميًا قادرًا على تقديم الرؤية الإسلامية بلغة معاصرة. فإبرازهم إعلاميًا يسهم في مواجهة الخطابات الإلحادية والعلمانية المتطرفة، ويعزز الوعي الفكري لدى المجتمع.

يُعدّ الاهتمام الجاد بقضايا المرأة وحقوقها في الإسلام ضرورة فكرية واجتماعية، لما لذلك من دور في تفنيد الدعاوى التي تتخذ من قضايا المرأة مدخلًا للترويج للعلمانية.

([1]) ينظر: اتجاهات فكرية معاصرة ، د. رعد شمس الدين الكيلاني، الطبعة الأولى (١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م) : ١٤٧-١٤٨

١٢-ينبغي إدخال مادة الفكر الإسلامي ضمن المناهج التعليمية المختلفة بوصفها أداة وقائية لحماية الأمة من تغلغل العلمانية والمذاهب المنحرفة. فهذه المادة تسهم في بناء الوعي العقدي والفكري لدى الطلبة، وتنمّي قدرتهم على التمييز النقدي بين المرجعيات الفكرية المتباينة [١].

ومن وجهة نظري أيضا هناك وسائل أخرى لمحاربة العلمانية :-

١- ضرورة تطوير المناهج التعليمية لا سيما منهج التربية الإسلامية الذي يعد ضعيف نوع ما ولا يتلاءم مع التغيرات والتطورات ومتطلبات العصر الحديث، وجعلها منهج شامل لجميع مجالات الحياة وعدم حصرها بالقضايا الاخلاقية الصدق والأمانة وغيرها .

٢- ضرورة اهتمام المؤسسات والحوزات الدينية بتخريج دعاة وخطباء وعلماء يمتلكون الكفاءة العلمية والقدرة الفكرية على مواجهة الخطاب العلماني المعاصر .ويتطلب ذلك الجمع بين التكوين الشرعي الرصين، والإلمام بقضايا العصر وأدوات الخطاب الحديث. كما يسهم هذا التوجه في تمكين الخطاب الديني من الحضور الفاعل والمؤثر في المجال العام بأسلوب علمي متزن.

٣-تثقيف المجتمع وبناء الوعي يُعدّ رفع مستوى الوعي الفكري والقيمي في المجتمع من أهم الوسائل المعاصرة لمواجهة العلمانية، وذلك عبر تقديم معرفة عقلانية تربط القيم الدينية بقضايا الإنسان المعاصر، وتحصّن المجتمع من التأثر غير النقدي بالتصورات الوافدة.

٤-توظيف وسائل التواصل الاجتماعي (الفيس بوك، انستغرام، التيك توك) وغيرها حيث تشكّل وسائل التواصل الاجتماعي فضاءً مؤثرًا في تشكيل الوعي الجمعي، حيث تنتشر العلمانية بصيغ ثقافية ناعمة؛ مما يستلزم توظيف هذه المنصات لإنتاج محتوى معرفي وقيمي معاصر، يخاطب الشباب بلغة العصر وأدواته.

([١]) ينظر: اتجاهات فكرية معاصرة ، د. رعد شمس الدين الكيلاني، الطبعة الأولى (١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م) : ١٥١-١٥٣

٥-مواجهة تهميش الدين عن المجال العام يُعدّ تهميش الدين أحد أخطر مظاهر المشروع العلماني، إذ يؤدي إلى إضعاف المرجعية الأخلاقية للمجتمع؛ الأمر الذي يستوجب إعادة إبراز الدور الحضاري للدين بوصفه إطارًا أخلاقيًا منظمًا للحياة الاجتماعية، لا شأنًا فرديًا معزولًا.

٦- من الضروري نقل المعركة الفكرية مع العلمانية من إطار الدفاع ورد شبهات العلمانيين الى إطار الهجوم من خلال بيان فشل التجارب العلمانية وما نتج عنها من آثار سلبية .

المبحث الثاني: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في مجالات الحياة

شهد العالم المعاصر انتشارًا متزايدًا لمظاهر العلمانية في مختلف مجالات الحياة، حتى لم يعد تأثيرها مقتصرًا على الجانب السياسي فحسب، بل امتد ليشمل الفكر و الاقتصاد والقانون والأخلاق والعلاقات الاجتماعية والفن والإعلام وغيرها من الحقول التي تتصل مباشرة بسلوك الإنسان وفهمه للعالم، وقد أدّى هذا التغلغل إلى إعادة تشكيل أنماط التفكير، وفرض منظومة قيمية مادية تُقصي البعد الديني، وتفصل الإنسان عن مرجعيته العقدية التي تضبط مسار حياته وتوجّه سلوكه.

المطلب الأول: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في الفكر المادي

تؤمن العلمانية بالمادة فقط ولا شيء وراء المادة ، فحين يتم إقصاء الدين عن تفسير الكون والحياة، يصبح التفسير المادي هو البديل الأكثر حضورًا، سواء في العلوم الطبيعية أو في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، وفي السياق الفكري الحديث، أسهمت المادية في إعادة تعريف الإنسان بوصفه كائنًا اقتصاديًا أو بيولوجيًا، تحكمه الغرائز والحاجات المادية، لا القيم المتعالية أو الغايات الأخلاقية المطلقة. وقد انسجم هذا التصور مع الرؤية العلمانية التي تركّز على الفرد، والمنفعة، والنجاح الدنيوي، وتُقصي الاعتبارات الروحية من المجال العام. وبهذا أصبح التقدم يُقاس غالبًا بمؤشرات مادية مثل الإنتاج والاستهلاك والقوة الاقتصادية، لا بالمعايير القيمية أو الأخلاقية ،ويخاطب القرآن الكريم الماديين والملحدين بأسلوبٍ استدلاليٍّ عقليٍّ يقوم على التقريع والتبكيت[1]، حيث لا تهدف الأسئلة الواردة فيها إلى طلب الجواب، بل إلى إلزام المخاطَب بنتيجةٍ عقليةٍ بديهيةٍ

(1)بكت :بَكَتَه يَبْكُتُه بَكْتاً، وبَكَّتَه :ضَرَبه بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا وَنَحْوِهِمَا .والتَّبْكِيتُ :كالتَّقْرِيعِ والتَّعْنِيفِ .اللَّيْثُ :بَكَّته بِالْعَصَا تَبْكِيتاً، وَبِالسَّيْفِ وَنَحْوِهِ؛ وَقَالَ غَيْرُهُ :بَكَّتَه تَبْكِيتاً إِذا قَرَّعَه بالعَذْل تَقْرِيعاً، وَفِي الْحَدِيثِ:أَنه أُتِيَ بِشَارِبٍ، فَقَالَ :بَكِّتُوه؛ التَّبْكِيتُ :التَّقْرِيعُ والتَّوْبيخُ، لسان العرب ، ابن منظور : ١١/٢

حاضرة في الفطرة الإنسانية. فالإنسان، مهما بلغ إنكاره أو عناده، لا يستطيع إنكار كونه مخلوقًا، إذ إن الوجود ذاته شاهد على الحدوث والافتقار، وهو من أوضح المسلَّمات العقلية[١]

ويقوم القرآن الكريم على نفي احتمالين عقليين لا ثالث لهما:

الأول، أن يكون الإنسان قد خُلق من غير شيء، أي من العدم المحض، وهو افتراض باطل عقلاً؛ لأن العدم لا يملك أي قابلية للإيجاد، ولا يمكن أن يصدر عنه وجود، مهما أُلبس هذا الافتراض من تسميات كـ«الصدفة» أو «القوانين العمياء» .

والثاني، أن يكون الإنسان خالقًا لنفسه، وهو أبعد في الاستحالة؛ إذ يستلزم اجتماع الوجود والعدم في آنٍ واحد، ويفترض سبق الشيء على نفسه، وهو تناقض منطقي واضح [٢].

والتعبير عن الخالق بالشيء ليس من باب أنه سبحانه يشبه الخلق ، وإنما لإثبات أنه حق فالشيء في مقابل العدم مع نفي لوازم الشيئية المعهودة المساوقة للمخلوقية ، ففي مقام الربوبية ليس لنا سبيل إلا بقدر الخروج عن حد النفي والتعطيل ، أو بتعبير آخر : نفي النفي وإعدام العدم ، أما أن نثبت – وراء ذلك – لربنا القدوس ذاتية معلومة أو موهومة أو متخيلة فلا ، فهو شيء أي أنه حق قائم قيوم ولكن لا كالأشياء الكائنة التي يحيط بها العلم ويتصورها القلب [٣].

قال تعالى: "﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾" [٤].

والقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التفكّر في هذا الكون العجيب ونظامه المحكم، ليغترف كلٌّ بحسب قابليته واستعداده من هذا الفيض المعرفي الواسع الذي لا يُدرك له حدّ ولا قرار، ويرتوي من أسرار الخلق التي لا تنقضي. وإن هذا الكون، بما يحويه من نظام دقيق، وتناسق بديع، وصور مدهشة، أشبه بكتاب عظيم، كل حرف فيه وكل سطر شاهد واضح على وجود الله

---

(١) ينظر: الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه ، الصادقي : ١٧ / ٣٦٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٧ / ٣٦٧.

(٣) من هدى القرآن ، المدرسي: ١٠ / ٣١

(٤) سورة الطور / ٣٥ .

تعالى الخالق المبدع ووحدانيته، ودليل على وجود عالم يتجاوز حدود المادة والمحسوس ، والتفكّر في أسرار الخليقة ونظام السماء والأرض يمنح الإنسان وعيًا خاصًا، ويترك في عقله آثارًا عميقة، وأول هذه الآثار الإقرار بأن الخلق قائم على الغاية والحكمة لا على العبث. فالذي يدرك القصد والهدف في أدقّ مخلوقات هذا الكون، كيف يمكنه أن يصدّق أن هذا الوجود الهائل قد وُجد بلا غاية أو صُنع بلا مقصد؟ ثم إن أصحاب العقول الواعية، بعد اعترافهم بوجود الحكمة في الكون، يلتفتون مباشرة إلى أنفسهم، فيتساءلون: كيف يُعقل أن يكون الإنسان، وهو ثمرة هذا الكون وناتجه، قد خُلق عبثًا أو وُجد بلا هدف؟ بل إن وجوده إنما كان لأجل تربيته وتكامله ، ولم يُخلق الإنسان ليقضي أيامًا معدودة في حياة سرعان ما تزول، فذلك لا ينسجم مع كرامته، ولا يتلاءم مع حكمة الله تعالى العليا، بل إن هناك دارًا أخرى تنتظره، يُجازى فيها على أعماله: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. وعند هذا الإدراك، يستشعر الإنسان مسؤوليته، ويلجأ إلى الله تعالى طالبًا التوفيق لأداء ما كُلّف به، حتى ينجو من العقاب ويظفر بالرضوان [1] .

قال تعالى: "﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾" [2].

ويؤكد القرآن الكريم بوضوح على محدودية العلم الإنساني، ولا سيما العلم القائم على الإدراك المادي، وتؤكد أن هناك ميادين واسعة من المعرفة لم يُمنح الإنسان منها إلا القليل وعليه، فإن العلم الكامل والحقيقي إنما هو عند الله سبحانه وحده، ولما كان يوم القيامة يوم انكشاف الحقائق وظهورها على ما هي عليه، كما تفيده الآيات التي تصف ذلك اليوم، فلا يكون فيه مجال إلا للقول الحق والكلام الصادق [3] .

قال تعالى: "﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾" [4].

([1]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ٦ / ٤٧ – ٤٨ – ٤٩ .

([2]) سورة آل عمران / ١٩٠ .

([3]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي: ٦ / ٢٠١ .

([4]) سورة الإسراء / ٨٥ .

ويُعدّ الغيب والشهادة مجالين متقابلين؛ فعالم الشهادة هو عالم المحسوسات التي تدركها الحواس، أمّا عالم الغيب فهو ما يتجاوز نطاق الحس ؛ ولأن لفظ الغيب في أصل معناه يدل على ما استتر وخفي، أُطلق على عالم ما وراء المحسوسات لخفائه عن إدراك الإنسان المباشر ، ويمثّل الإيمان بالغيب الحدّ الفاصل الأول بين المؤمنين بالرسالات السماوية، وبين من ينكر وجود الخالق والوحي والملائكة والبعث، ولذلك جاء الإيمان بالغيب في مقدّمة صفات المتقين. فالمؤمنون بالغيب يعتقدون أن خالق الكون مطلق في علمه وقدرته وإحاطته، وأنه أزلي أبدي، كما يؤمنون بأن الموت لا يعني الفناء والعدم، بل هو انتقال إلى عالم أوسع وأشمل ، وفي المقابل، يحصر الإنسان المادي الوجود فيما يُدرك بالحسّ، ويرى أن الكون نتاج قوانين طبيعية صمّاء لا غاية لها ولا وعي، وأن الإنسان ليس إلا جزءًا من الطبيعة ينتهي وجوده بانتهاء حياته. وما أوسع الفجوة بين هاتين النظرتين إلى الكون والحياة ، فالرؤية الإيمانية تُنشئ إنسانًا يسعى إلى الحق والعدل والخير، ويحرص على نفع الآخرين، بينما لا تمنح الرؤية المادية لصاحبها أساسًا أخلاقيًا ثابتًا يضبط سلوكه. ومن هنا تسود في حياة المؤمنين الحقيقيين معاني التفاهم والأخوّة والطهارة والتعاون، في حين تطغى على المجتمعات التي تحكمها النظرة المادية مظاهر الاستغلال والهيمنة وسفك الدماء، وإن تستّرت هذه الرؤية في العصر الحديث بثوب العلم والتقدم والتطور. ولهذا جعل القرآن الإيمان بالغيب نقطة الانطلاق في بناء التقوى [1] .

وعلى أيّ حال، فإن الغيب كما يدل عليه اسمه . لا يُدرك إلا عن طريق الوحي، لا بالتجربة ولا بالعقل وحده. نعم، يشترط فيه ألا يتعارض مع العقل السليم، لا أن يكون العقل مستقلًّا بإدراكه. وبناءً على ذلك، لا يبقى مجال لمحاولات إخضاع الوحي ونصوصه لمعايير العلم التجريبي ، فوظيفة العلم التجريبي تقتصر على سعي الإنسان لفهم الطبيعة والكشف عن قوانينها وتسخيرها، والإجابة عن أسئلة من قبيل: ما القوى التي تتكوّن منها الأشياء من جماد ونبات وحيوان؟ وكيف يمكن تصميم طائرة تتجاوز سرعة الصوت؟ لكنه لا يملك القدرة على معرفة من أوجد الطبيعة،

(1) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ١ / ٧٦ – ٧٧ .

ولا سرّ نظامها وغايتها ، أمّا الدين، فإنه يعرّف الإنسان بأسباب الوجود، ويمنحه المفاتيح الأساسية لمعرفة خالق الكون، ويرشده إلى ما ينبغي عليه فعله في هذه الحياة، ليحقق بذلك أهدافه الروحية والمادية معًا [1] .

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [2].

ولقد أصرّوا على هذا القول لا لمجرّد إنكار المعاد فحسب، بل لأن الإيمان بالمعاد والدعوة إليه يقتضيان تنظيم الحياة الدنيوية على أساس العبودية لله، والخضوع لقوانينه الدينية التي تشمل منظومة متكاملة من العبادات والمعاملات والسياسات. وبعبارة أخرى، فإن الإقرار بالمعاد يستلزم الالتزام بالدين واتباع أحكامه في شؤون الحياة كافة، مع استحضار الحساب والبعث في جميع التصرفات والأعمال ، ومن أجل التخلّص من هذا الالتزام، عمدوا إلى حصر الحياة الاجتماعية في إطار الدنيا وحدها، دون التفات إلى ما وراءها، فقيّدوا الإنسان بعالم المادة وحده [3].

فيرون أنه لا حقيقة وراء ظاهرتي الحياة والموت، ولا وجود لإله قدّرهما، ويجعلون الدهر هو الطبيعة نفسها. غير أن السؤال يبقى قائمًا: هل للطبيعة إرادة أو حكمة؟ أفلا يتأملون في السماوات والأرض وما فيهما من إحكام في التدبير ودقة في التقدير؟ أفلا يقودهم العقل إلى أن لكل نظام منظِّمًا، ولكل تقدير مقدِّرًا؟ ويبدو أن مقصودهم بالموت هو فناء جيل، وبالحياة نشوء جيل آخر من بعده؛ فالزمان – في زعمهم – يُفني السابقين ويُوجد اللاحقين، في دورة متكررة لا يُعرف لها بدء ولا نهاية. وهكذا تبقى الأسئلة الوجودية الكبرى معلّقة: من أين أتيت؟ وإلى أين المصير؟ ليكون الجواب عندهم: لا أدري ، وتبدو هذه الرؤية ثمرة قلبٍ أُغلق عليه بسبب اتباع الهوى، إذ تُفضي إلى تحرّر الإنسان من كل التزام، وتُطلق له العنان في الانغماس في الشهوات

([1]) ينظر: التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية : ١ / ٤٥ .

([2]) سورة البقرة / ٣-٤ .

([3]) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ٢ / ١٢٠ – ١٢١ .

إلى آخر لحظة من حياته. وهي في جوهرها نظرية تقوم على فراغ عقدي، وتعجز عن تقديم معنى حقيقي للحياة والوجود [1] .

قال تعالى: "﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾" [2].

وعليه يمكن القول أن القرآن الكريم يهدم الأساسَ الفلسفيَّ للمادية والإلحاد، ويؤسس بدلًا عنه برهانًا فطريًا عقليًا يقوم على نفي إمكان الخلق من العدم، واستحالة الخلق الذاتي، وإثبات ضرورة وجود خالقٍ واجب الوجود، حقّ، قيوم، منزهٍ عن مشابهة المخلوقين، ويتميّز هذا البرهان بكونه يخاطب العقل السليم مباشرةً، قبل الدخول في أي خطابٍ دينيٍّ تفصيلي، وكذلك يربط القرآن بين العالم المادي وعالم الغيب فهذا الكون والخلق العظيم هو دليل على وجود عالم اخر غير محسوس وأكد القرآن أن الإيمان بالغيب هو نقطة الانطلاق في بناء التقوى وكذلك بين قصور ومحدودية العلم المادي عن تفسير جميع ظواهر الكون و نقد المادية باعتبارها حبسا للإنسان داخل حدود ضيقة ، وبذلك رد على الناكرين لوجود الله سواء الماديين أم الملحدين فهذا الخلق دليل على وجود خالق عظيم.

([1]) ينظر: من هدى القرآن ، المدرسي: ٩ / ١٤٢ .

([2]) سورة الجاثية / ٢٤ .

المطلب الثاني: معالجة القرآن الكريم لمظاهر العلمانية في الاقتصاد (الربا أنموذجا)

يُعَدّ الربا من القضايا الاقتصادية والأخلاقية المركزية التي تشكّل موضع اختلاف جذري بين الرؤية الإسلامية والرؤية الحديثة للاقتصاد، ولا سيما في ظل هيمنة العلمانية بوصفها إطارًا فكريًا يقوم على فصل الدين عن مجالات الحياة، وفي مقدمتها المجال الاقتصادي. وقد أدى هذا الفصل إلى نشوء ما يُعرف بـ الاقتصاد العلماني، الذي يستند في تشريعاته وممارساته إلى منطق المنفعة والمصلحة المادية بعيدًا عن الضوابط الدينية والأخلاقية ، وينطلق الاقتصاد العلماني من تصور يجعل المال سلعة قابلة للتداول بذاتها، ويمنح مشروعية لتحقيق الربح من خلال الفائدة بصرف النظر عن طبيعة النشاط الاقتصادي أو آثاره الاجتماعية. وبهذا أصبح الربا المتمثل في الفائدة المصرفية ركيزة أساسية في النظام المالي العالمي، وأداة مركزية في عمل البنوك والمؤسسات المالية، ومحركًا رئيسًا في السياسات الاقتصادية للدول العلمانية ، وتتجلى العلاقة بين الربا والاقتصاد العلماني في أن الأخير يقوم على فلسفة ترى أن السوق هو المنظّم الأساسي للعلاقات الاقتصادية، وأن القيم الأخلاقية والدينية شأن فردي لا يجوز أن يتدخل في التشريع أو السياسات المالية. ونتيجة لذلك، تم إقصاء الاعتبارات الشرعية والأخلاقية من النظام الاقتصادي، واستُبدلت بقوانين وضعية تشرعن الربا وتعتبره ضرورة لا غنى عنها لتحقيق النمو والاستقرار المالي ، والربا هو زيادة المال ونماؤه، وقوله تعالى :« لِيَرْبُو » يشير إلى سبب هذه التسمية. فالمقصود أن المال الذي يعطونه للناس طلبًا لزيادته في أموالهم دون ابتغاء وجه الله تعالى بدليل ذكر إرادة وجه الله تعالى في المقابل لا يحقق لهم النماء الحقيقي عند الله تعالى ، ولا ينالون عليه ثوابًا؛ لأن نياتهم لا تتوجّه إلى مرضاته سبحانه [1] .

قال تعالى: "﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾"[2].

([1]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٦ / ١٨٥ .

([2]) سورة الروم / ٣٩ .

وقد ذم القران الربا الذي كان يمارسه اليهود حتّى عرفوا به في مرّ التاريخ، وهو ظلم من المظالم التي كانوا يرتكبونها ومخالفتهم حدود الله عز وجل [١] .

قال تعالى: "﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٦١﴾" [٢].

وبعد أن بيّن الله تعالى أن بيده تعذيب من يشاء ومغفرة من يشاء، أتبع ذلك بالنهي عن أمرٍ يستوجب العقاب لو وقعوا فيه، وهو الربا. فجاء الخطاب بقوله : (يا أيها الذين آمنوا) أي: يا من صدّقتم بالله ورسوله، (لا تأكلوا الربا) .وذِكر الأكل هنا؛ لأنه أبرز صور الانتفاع بالربا، وإن كانت سائر المعاملات الربوية داخلة أيضًا في النهي [٣]. "والربا: الزيادة على أصل المال بالتأخير عن الأجل الحال. وقيل: هو ربا الجاهلية، (أضعافا مضاعفة) قيل في معناه قولان أحدهما: أن يضاعف بالتأخير أجلا بعد أجل، كلما أخر عن أجل إلى غيره زيد زيادة على المال. والثاني: معناه تضاعفون به أموالكم، ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة"[٤] .

وحكمة تحريم الربا هو المصلحة التي علمها الله تعالى ، وذكر فيه وجوه على وجه التقريب، منها أنه للتفريق بينه وبين البيع .ومنها تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية . ومنها أنه يدعو إلى التعاون والرحمة بالإقراض، وانظار المعسر من غير زيادة، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام. "عن علة تحريم الربا ، قال : إنه لو كان الربا حلالا لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه فحرم الله الربا لنفر الناس عن الحرام إلى التجارات وإلى البيع والشراء فيفضل ذلك

([١]) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السبزواري : ١٠ / ١٢٨ .

([٢]) سورة النساء / ١٦١ .

([٣]) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن الطبرسي : ٢ / ٣٨٨ .

([٤]) المصدر نفسه : ٢ / ٣٨٨ .

بينهم في القرض"[١] والآية تصرح إلى تحريم الربا ، والتحذير من خطورة هذا الذنب العظيم ، وفيها تأكيد النهي عن هذا النوع منه الذي يقوم على الزيادة بالإضعاف واستغلال الناس [٢] .

قال تعالى: "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَـٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾" [٣].

ويشبه القرآن الكريم الذي يتعامل بالربا بالمصروع أو المجنون الذي لا يتمكن من الاحتفاظ بتوازنه أثناء السير فيكون كالضائع والمضطرب، ولعل التعبير يشير الى وصف طريقة سير المرابين الاجتماعي في الحياة على اعتبار أنهم أشبه بالمجانين في أعمالهم، وأن عبادة المال تسيطر على فكرهم فلا يرون إلا مصالحهم الخاصة، ولا يدركون أضرار أفعالهم على المجتمع ، ولكن بما أن وضع الإنسان في الآخرة تجسيد لأعماله في الدنيا فيحتمل أن تكون الآية تدل على المعنيين، أي أن الذي يقوم في الدنيا قياما مضطربًا ومختلاً في دنياه بسبب الربا يخالطه اكتناز جنوني للثروة سيبعث يوم القيامة على هيئة المصروع أو المجنون[٤] .

قال تعالى: "﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ٢٧٥﴾"[٥].

والمشركين كانوا يرون أن الزيادة على أصل المال بعد تحوّله إلى دين تشبه الزيادة التي تقع في البيع منذ بدايته، وهذا فهمٌ خاطئ؛ لأن إحدى الزيادتين محرّمة والأخرى مباحة. كما أن الزيادة في الحالتين تختلف من حيث طبيعتها: فزيادة الدين تأتي مقابل التأخير، بينما زيادة البيع تكون جزءًا من الثمن عند التعاقد، ولذلك فهما متباينتان تمامًا. [٦] "والفرق بين البيع والربا: أن

---

(١) أخرجه الشيخ الصدوق (٣٨١)، علل الشرائع، ٢/ ٤٨٢ ، رقم الحديث (١)،باب علة تحريم الربا.

(٢) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن الطبرسي: ٢ / ٣٨٨ .

(٣) سورة ال عمران / ١٣٠ – ١٣١ .

(٤) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ٢ / ٣٣٨ – ٣٣٩ .

(٥) سورة البقرة / ٢٧٥ .

(٦) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : ٢ / ٣٦٠ .

البيع ببدل؛ لأن الثمن فيه بدل؟ ثمن. والربا ليس كذلك وإنما هو زيادة من غير بدل للتأخير في الأجل أو زيادة في الجنس" [1] .

قال تعالى: "﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ٢٧٥﴾"[2].

و تشير الآية الشريفة إلى فتح أبواب التوبة رحمة من الله جلّ جلاله ، ومفادها توضيح حكم كلّي في كلّ ذنب، وهو أنّ الحكم إذا مشروعا وخالفه المكلّف بقصده واختياره يوجب عدم الطاعة واستحقاق العقوبة ، فواجب عليه التوبة . وأما إذا لم يكن الحكم مشروعا فلا موضوع للمخالفة والعصيان ولا مورد للتوبة لفرض عدم الحكم و مفادها على الربا يكون من انطباق الكلّي على المفاهيم [3] . قال تعالى: "﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾" [4].

والمراد بالمحق إبطال السعي من حيث الغايات المقصودة بهذا النوع من المعاملة ، فإن المرابي يقصد بجمع المال من هذا السبيل لذة اليسر وطيب الحياة وهناء العيش ، لكن يشغله عن ذلك الوله بجمع المال ووضع درهم على درهم ، ومبارزة من يريد به أو بماله أو بأرباحه سوء ، والهموم المتهاجمة على نفسه من عداوة الناس وبغض المعوزين له [5]

وقيل : يمحقه بأن ينقصه حالا بعد حال . وقيل كذلك محقه في الدنيا الحكم بفسقه بسقوط عدالته وتسميته بالفسق . وقوله (ويربي الصدقات) معناه المضاعفة بما يزيد المال بالرزق والبركة وبالأجر عليه في الآخرة ، وذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية التي ينفق فيها ووجه مضاعفته على المستوجب بالعمل تفصل بالوعد به [6].

([1]) التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي: ٢ / ٣٦٠ .

([2]) سورة البقرة / ٢٧٥ .

([3]) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السبزواري : ٤ / ٤٢٢ – ٤٢٣ .

([4]) سورة البقرة / ٢٧٥ .

([5]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ٢ / ٤٢١ .

([6]) ينظر : التبيان في تفسير القرآن الطوسي : ٢ / ٣٦٣ .

قال تعالى: "﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾"(١).

ويلاحظ أن الآية بدأت بذكر الإيمان بالله تعالى وانتهت بذكره، مما يدل بوضوح على عدم انسجام الإيمان بالله تعالى مع الربا ، وتتغير في هذه الآية لهجة التعبير القرآني، فبعد إن كانت الآيات السابقة تعظ وتنصح ، تهاجم هذه الآية الذين يعملون بالربا بكل شدة، وتهددهم بلهجة صارمة أنهم إذا استمروا بعملهم هذا ولم يخضعوا لأوامر الله تعالى في العدل والحق واستمروا في امتصاص دماء الناس الكسبة المحرومين فلا يسع رسول الله ﷺ إلا أن يستخدم القوة ويعلن الحرب عليهم ؛ لوضع حد لهم وإخضاعهم وعلى كل حال يستفاد من هذه الآية أن من واجبات الحكومة الإسلامية أن تضرب بيد من حديد لمكافحة الربا (٢) .

قال تعالى: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾" (٣).

ومما تقدم يمكن القول إنه من المعروف أن الاقتصاد العلماني يقوم على الربا والبنوك الربوية ،بينما الإسلام يدعو الى نظام اقتصادي عادل لا يقوم على الربا، ويلاحظ أن القرآن قد عالج الربا بشكل تدريجي حيث ذكر في البداية أنه لا ينمو وليس فيه ثواب ولا بركة وانتقد من عمل به من قبل وهم اليهود الذين اشتهروا بممارسته وأشار إلى تحريم الربا على المؤمنون وقد شبه حال المرابي في الدنيا أو الآخرة بالمصروع أو المجنون وأوضح القرآن أن الربا ليس مثل البيع وهناك فرق بينهما وقد فتح باب التوبة على المرابين ثم توعد الذين يعملون بالربا بالعذاب في الآخرة وأعطى البديل وهو الصدقة التي تعود على صاحبه أضعاف سواء في الدنيا أو الآخرة

(١) سورة البقرة / ٢٧٦ .

(٢) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ٢ / ٣٤٦ .

(٣) سورة البقرة / ٢٧٨ –٢٧٩.

وفي النهاية هدد الذين يصرون على العمل بالربا بالحرب عليهم من قبل الحكومة الإلهية المتمثلة بالرسول ﷺ.

المطلب الثالث: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في الاخلاق

يؤكد القرآن الكريم على الالتزام بالضوابط الشرعية وصون المجتمع من الانحرافات السلوكية.

أولا: معالجة القرآن للعلاقات الجنسية خارج اطر الزواج (أنموذجا)

تعتبر العلاقات الجنسية كالمساكنة والمعاشرة والصداقات الحميمية وغيرها دون زواج صفة تتميز بها المجتمعات العلمانية خصوصا في الغرب، وتعتبر هذه العلاقات طبيعية وذلك كله نتيجة تغير القيم في الغرب وضعف الوازع الديني الذي نتج بفعل صعود العلمانية بوصفها إطارًا فكريًا ينادي بفصل الدين عن شؤون الحياة العامة، وبالأخص التشريع والأخلاق، وقد انعكس هذا التوجه بصورة واضحة على الموقف من السلوك الجنسي، حيث انتقل من كونه فعلًا محرّمًا دينيًا ومجتمعيًا إلى كونه مسألة شخصية تخضع لمعيار الحرية الفردية والرضا المتبادل ، وتنطلق العلمانية في تصورها للأخلاق من مرجعية إنسانية وضعية، لا تستند إلى الوحي أو القيم الدينية الثابتة، بل إلى ما يقرّه المجتمع أو الفرد في لحظة تاريخية معينة، ونتيجة لذلك، أُعيد تعريف كثير من المفاهيم الأخلاقية، ومن بينها مفهوم الزنا، فلم يعد يُنظر إليه في المجتمعات العلمانية على أنه جريمة أخلاقية أو اعتداء على النظام الاجتماعي كما كانت تعاقب عليه الكنيسة ، بل عُدَّ سلوكًا خاصًا لا يستوجب الإدانة ما دام لا يتضمن إكراهًا أو اعتداءً مباشرًا على الآخرين ، وفي المقابل، ينظر الفكر الإسلامي إلى الزنا بوصفه انتهاكًا صريحًا للنظام الأخلاقي والاجتماعي، لما يترتب عليه من آثار خطيرة تمسّ الفرد والأسرة والمجتمع، مثل اختلاط الأنساب، وتفكك الأسرة، وانتشار الفوضى الأخلاقية، ومن هذا المنطلق، لا يُعدّ تحريم الزنا مجرد حكم تعبدي، بل تشريعًا وقائيًا يهدف إلى حفظ الضرورات مهمة ، وفي مقدمتها حفظ النسل والعرض ، وقد نهى القرآن عن العلاقات غير الشرعية، و شدد على تحريم الزنا ،والقرب منه، وعلله بقوله: (إنه كان فاحشة) فأفاد أن الفحش صفة لازمة له لا تفارقه، وقوله: (وساء سبيلا) فأفاد أنه طريق سيء[1]

([1]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٣ / ٨٨ – ٨٩ – ٩٠ .

يؤدى إلى خراب المجتمع في جميع أموره حتى ينحل عقده ويختل توازنه وفيه هلاك البشرية ، وقد بالغ سبحانه في وعيد من فعله ، وقد نهى عنه في الإسلام وعده من الذنوب الكبيرة، وشدد في تحريمه كزنا المحارم ، وفي تحريم الزنا، اذا كان كل من الرجل والمرأة محصنين ، وقد أشار الله إلى حكمة التحريم فيما نهى عنه حيث وصفه أولا بالفاحشة ثم عده ثانيا بقوله: (وساء سبيلا) والمقصود سبيل البقاء ، ومن جهة أن الزواج وعقد المجتمع العائلي هو أقوى وسيلة من أجل الحفاظ على المجتمع واستمراره ، ومن جهة أخرى ازدياد المواليد من العلاقات غير الشرعية يقطع منابت المودة والرحمة بين الاباء والأبناء مما يقضى بترك سنة الزواج للمجتمع وفيه انقراضهم وهذا ما أحدثته العلمانية في المجتمعات الغربية ثم أن للزنا أثرا آخر سيئا وهو ضياع الأنساب وقد بنى المواريث والمناكح في الإسلام عليها [1] .

ويلاحظ في التعبير القرآني أنه "لم تقل الآية ولا تزنوا، بل قالت: لا تقربوا هذا العمل الشائن، وهذا الأسلوب في النهي فضلا عما يحمله من تأكيد، فإنه يوضح أن هناك مقدمات تجر إلى الزنا ينبغي تجنبها وعدم مقاربتها، فخيانة العين تعتبر واحدة من المقدمات، والسفور والتعري مقدمة أخرى، فضلا عن الكتب السيئة والأفلام الملوثة والمجلات، كذلك، فإن الخلوة بالأجنبية يعتبر عاملا في إثارة الشهوة ، وأخيرا فإن امتناع الشباب عن الزواج خاصة مع ملاحظة الصعوبات الموضوعة أمام الطرفين، هي من العوامل التي قد تؤدي إلى الزنا،والآية نهت عن كل ذلك بشكل بليغ مختصر"[2].قال تعالى: "﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾"[3].

وأصل الغض النقصان ، يقال : غض من بصره ومن صوته ، أي نقص منهما وقلل ، والمعنى أغمض العين عن المحرم ، وإنما جيء بالغض ، و « من » لأن الصرف عن المحرمات لا يتوقف على الغمض ، بل على الغض لبعض البصر، بأن يكف عينه نحو من لا يحل النظر

([1]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٣ / ٨٨ – ٨٩ – ٩٠ .

([2]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ٨ / ٤٧١ – ٤٧٢ .

([3]) سورة الإسراء / ٣٢ .

إليه فالنظر إلى المحرمات أول طريق الفتنة، والقرآن يقطعها من جذورها حماية للقلوب من الانزلاق وقدم غضّ البصر على حفظ الفرج؛ لأن النظر هو الباب الأول للزنا، بالتالي يعالج الزنا من منبعه النفسي والسلوكي، فلا يبدأ بالمنع فقط، بل يربي الضمير قبل أن يضع الحدّ، و أَزْكَىٰ لَهُم، أي أطهر وذلك يربط الطهارة بالعفة البصرية وترك الفاحشة [1] .

قال تعالى: "﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣٠﴾" [2].

وقد حدد القرآن عقوبة للزاني والزانية وهي الجلد، أي هي : الضربة التي تلامس جلد الإنسان ، ولأن الزاني كان يتلذذ عن طريق جلده ، الذي لامس جلد الطرف الآخر ، فعليه أن يتذوق طعم الألم جزاء له على هذه اللذة المحرمة، فيتوازن الجزاء مع الجرم جزاء من جنس العمل. وبذلك يصبح الجلد وسيلة الألم المؤدب والمطهّر بعد أن كان وسيلة اللذة . وكذلك لا يمنعكم الشعور بالعاطفة من تنفيذ حدود الله ؛ لأن ترك العقوبة ومسامحة المذنب بدعوى الرحمة هو ظلم أكبر للمجتمع كله، إذ يفتح باب الفساد والانحلال بالتالي فإنه يحصن الآسرة ويمنح الحياة للمجتمع لذا ينهانا القرآن أن نرأف بالزناة . وأشارت الآية إلى أنه يجب أن يحضر عدد من المؤمنين ليشاهدوا العقوبة لكي تنعكس العقوبة على المجتمع، وتكون رادعا نفسيا للآخرين عن التورط بها حتى لا تكون قيمة العقوبة في أثرها على الجاني فقط [3] .

قال تعالى: "﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢﴾" [4].

([1]) ينظر : تقريب القرآن إلى الأذهان، محمد الحسيني الشيرازي : ٣ / ٦٦٩ .

([2]) سورة النور / ٣٠ .

([3]) ينظر : من هدى القرآن ، المدرسي: ٦ / ١٥ – ١٦ .

([4]) سورة النور / ٢ .

وحث الإسلام وشجع المسلمين على الزواج ، والأمر هنا للاستحباب ، والأيم من لا زوج له ، ويطلق على غير المتزوج ... وبعد أن أمر سبحانه الرجال والنساء بحفظ الفروج ، وغض البصر عن الحرام ، ونهى النساء عن التبرج وإظهار الزينة أمام الأجانب، بعد هذا أمر بالتعاون على تيسير أمور الزواج لكل من احتاج إليه من الرجال والنساء ، وفي هذه الآية يبرز منهج القرآن في معالجة الزنا وبناء مجتمع العفة والطهر.لأن العزوبة مصدر للرذائل والقبح كاللواط والزنا ، والزواج وقاية من ذلك [١] .

قال تعالى: "﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢﴾" [٢].

وليستعفف أي ليلتزم الإنسان بالعفّة، فيحبس نفسه عمّا تشتهيه مما لا يحلّ له. وصيغة الاستفعال هنا تشير إلى طلب العفّة وبذل الجهد فيها، حتى لو كانت النفس ميّالة لما يُمنع عنها ،وأمّا قوله: (ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) فالمقصود به من لا يملك ما يلزم للزواج من مهرٍ ونفقةٍ وظروف مناسبة.ثم يعدهم الله بقوله : (حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ) أي يفتح لهم من رزقه ما ييسّر لهم الزواج ويكفيهم، ليبتعدوا عن الوقوع في المحظور، فالصبر وإن كان ثقيلًا إلا أن عاقبته طيبة ومحمودة [٣] .

قال تعالى: "﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ٣٣﴾"[٤] .

ومما تقدم يمكن القول إن الفكر العلماني يفصل الدين عن الأخلاق، لذلك تعتبر العلمانية العلاقة الجنسية من غير زواج من الحرية الشخصية لا دخل للدين فيها، فيكون الهدف من

([١]) ينظر : التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية : ٥ / ٤١٩ – ٤٢٠ .

([٢]) سورة النور / ٣٢ .

([٣]) ينظر : تقريب القرآن إلى الأذهان ، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ٣ / ٧٠٠ .

([٤]) سورة النور / ٣٣ .

العلاقة اللذة والمتعة، بينما الإسلام يهدف إلى الحفاظ على الأسرة والمجتمع، واستمرار النسل، ولذلك، فإن القرآن قد عالج العلاقات خارج اطار الزواج من خلال تحريمه لها ، والنهي عن الاقتراب منها، وفرض عقوبات رادعه على الزاني والزانية، وسدّ الطرق المؤدية إليه من خلال الأمر بغض البصر والخلوة المحرمة والاختلاط المحرم ، وشجع المؤمنين على الزواج كجانب وقائي، وأمرهم بالصبر إذا لم يستطيعوا الزواج حتى يغنيهم الله تعالى .

ثانيا: معالجة القرآن للشذوذ الجنسي والمثلية (أنموذجا)

الشذوذ الجنسي هو ظاهرة قديمة لكن خرجت لنا في العصر الحاضر بشكل جديد باسم المثلية وقد ساهمت العلمانية في انتشار هذه الظاهرة بشكل كبير حيث أدى نزع المرجعية الدينية عن الأخلاق العامة والحرية الفردية وغيرها في كثير من الدول العلمانية الغربية الى تغيرات وتحولات كبيرة، فأُعيد تعريف الأسرة والزواج والحقوق الجنسية عبر قوانين مدنية لا تستند إلى الدين فالمثلية حق قانوني محمي، بل ومُروَّج له ثقافيًا ، وقد أسهم هذا التحول في انتقال المثلية الجنسية داخل المجتمعات العلمانية من دائرة التجريم الاجتماعي والقانوني إلى دائرة القبول، بل والاعتراف القانوني ، حيث جرى إدماجها ضمن منظومة الحقوق والحريات الفردية. ويعكس هذا التحول أثر العلمانية في إعادة صياغة المفاهيم الأخلاقية، من خلال استبدال معيار الصواب والخطأ بمعيار الرضا الفردي وعدم الإضرار المباشر بالآخرين ، كما لعبت المؤسسات الإعلامية والثقافية دورًا محوريًا في ترسيخ هذا التوجه، إذ تم تقديم المثلية الجنسية في الخطاب الإعلامي بوصفها قضية حقوقية وإنسانية، وربط رفضها بخطاب التمييز أو الإقصاء. وبهذا أصبح النقد الأخلاقي أو الثقافي لهذا السلوك يُصوَّر على أنه انتهاك لحرية الفرد، وهو ما يعكس تحوّلًا في ميزان القيم داخل المجتمعات العلمانية ،[1] ومن الناحية الفكرية، تكشف العلاقة بين المثلية

([1]) المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية ، أحمد طه: ٤٣ ، ينظر: تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ٢ / ٢٠٥ .

الجنسية والعلمانية عن بروز مفهوم النسبية الأخلاقية، حيث لم تعد القيم ثابتة أو متجاوزة للزمان والمكان، بل خاضعة للسياق الثقافي والتاريخي. وفي ظل هذه النسبية، يتم التعامل مع السلوك الجنسي بوصفه مسألة هوية واختيار، لا مسألة نظام اجتماعي أو أخلاقي عام، مما يؤدي إلى تفكيك المرجعيات التقليدية للأسرة والجنس والإنجاب ، وقد وصف القران عمل الشذوذ الجنسي بالفاحشة وهي الذنب الكبير الذي تجاوز كل الحدود الأخلاقية وأشار إلى أن قوم لوط هم أول من ابتدع هذا الفعل الشنيع في تاريخ البشر، وهذا إشارة إلى أن الشذوذ ليس جزءً من الطبيعة الإنسانية، بل انحراف طارئ على الفطرة [١] .

قال تعالى: "﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾" [٢].

وأيُّ انحرافٍ أشدُّ قبحًا من أن يُفرّغ الإنسان الغريزة الجنسية من غايتها الطبيعية، فيجعلها مجرد وسيلة لإشباعٍ زائف ، متخلّيًا عن وظيفتها الأصيلة في التناسل وإنجاب الذرية، ومُفضيًا بذلك إلى طمس الهدف الجوهري المتمثّل في استمرار النوع البشري ، فقد تجاوزتم الحد في كل شيء ، حتى بلغتم إلى هذا الانحراف الذي يمجه الطبع ، وتأباه الفطرة ، ويخالف سنن الحياة[٣].

"والإسراف الذي يندهم به لوط في اللواط تجاوزا حد الفاحشة إلى ما لا حد لها ، حيث يريقون الشهوة ويبعثرونها في غير موضع الإخصاب ، فهي مجرد شهوة شاذة متخلفة ،غريبة عن الفطرة الإنسانية بل والحيوانية ، وإذا نحن بجاهلية القرن العشرين في أوروبا وأمريكا حيث ينتشر فيهما وما أشبه ذلك الانحراف الجنسي الشاذ انتشارا ذريعا دون أي مبرر إلا الإباحية الطليقة المطبقة

([١]) ينظر: تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ٢ / ٢٠٥ .

([٢]) سورة الأعراف (٨٠ – ٨١) .

([٣]) ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية : ٣/ ٣٥٣.

،وثم نرى أن فاحشة اللواط يرتفع معدلهما بارتفاع معدل فاحشة الزنا بحرية الجنسين الطليقة ، لحد تجاوزت إلى حرية الاكتفاء لكل جنس بجنسه ، ذكر مع ذكر وأنثى مع أنثى"[١].

قال تعالى: "﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾" [٢].

والاستفهام بالهمزة في (أَئِنَّكُمْ) خرج الى معنى التعجب من فعلهم أن لا يصدقه سامع ولا يقبله ذو عقل، ولذا أكد بالنون واللام ، وهذا السياق يشهد أن المراد بإتيان الرجل (اللواط) وبقطع السبيل (إهمال طريق الفطرة والتكاثر والغاؤها وهي نكاح النساء)، فقطع السبيل كناية عن ترك النساء والعلاقة الفطرية ، وبممارسة الفحش في ناديهم والنادي هو المجلس الذي يجتمعون فيه ولا يسمى ناديه إلا إذا كان فيه أهله الإتيان بالمنكر أو بمقدماتها الشنيعة أمام أعين الاخرين[٣].

وقال تعالى: "﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾" [٤].

وقد عرض لوط(عليه السلام) عليهم الزواج الحلال الطيب من الإناث . وأن يتركوا الذكور، ولكن نفوسهم لا تطيب إلا بالحرام ، ولا تميل إلا إلى الرجس والآثام، والمقصود من بناتي هم نساء قومه؛ لأن رسول الأمة كالأب الروحي لجميع أفرادها ذكورا وإناثا ، وفي هذه الآية يعطيهم البديل وهو الزواج الذي يعد الطريق الفطري والطاهر والسليم، وفي هذه إشارة تربوية الى أن علاج المشكلة ليس بالمنع بل بإعطاء البديل الصحيح لحل المشكلة [٥] .

---

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه ، الصادقي : ١١ / ٢٠٤ – ٢٠٥ – ٢٠٦.

(٢) سورة الأعراف / ٨٢ .

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي: ١٦ / ١٢٣ ، ينظر : أثر أسلوب الاستفهام في تفسير معاني آيات الاستعانة والرجاء عند مفسري الشيعة المحدثين ، خلود كريم ثجيل ، عامر هاشم الدريعي ، جامعة واسط ، مجلة كلية التربية ، العدد : ٧ .

(٤) سورة العنكبوت / ٢٩ .

(٥) ينظر: التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية : ٤ / ٤٨٥ .

وأيضا قال تعالى: "﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١﴾" [1].

وفي النهاية بعد إصرارهم على فعل الفاحشة نزل عليهم العقاب الإلهي فأخذتهم الصيحة، وهي الصوت الهائل ونزل فيهم العذاب في وقت شروق الشمس ، فقلب بلادهم على رأسهم، وأمطر من السماء عليهم حجارة من سجيل ، وهي حجارة من طين ،وقيل الحجارة الشديدة [2] قال تعالى: "﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ٧٣ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤﴾" [3].

"وقضى الله ، وأخبر لوطا (عليه السلام) بقضائه بذلك الأمر الخطير ، وهو الحكم بالإعدام الكامل لسلالة تلك العشيرة الفاسدة قال تعالى:"﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ٦٦﴾" [4] ،فلا أحد يبقى منهم ليستمر نسلهم فيه حتى زوجة لوط(عليه السلام) التي كانت منهم هلكت معهم حيث حنت على قومها ، والتفت إلى ما ورائها من أهل ومتاع . وهكذا تجسد الحق في انتقام شديد من قوم فسدوا ولم ينفعهم الإصلاح شيئا" [5] .

ومما تقدم يمكن القول إن القرآن استنكر فعل الشذوذ الجنسي ،وانه لا يقبله العقل، ووصفه بالفاحشة وخطورة هذا الفعل بأنه يؤدي انقطاع النسل وخراب الأرض وأرشد الإنسان إلى طريق بديل وهو العودة لطريق الفطرة الإنسانية، وهو الزواج من النساء، وقد رفض قوم لوط عليه السلام الإصلاح فكانت عاقبتهم شنيعة هي الموت الجماعي، ليكونوا بذلك عبرة للبشرية وجاءت العقوبة لتكون رسالة رادعة للأمم اللاحقة .

([1]) سورة الحجر / ٧١ .

([2]) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٢ / ١٨٥ .

([3]) سورة الحجر / ٧٣ – ٧٤ .

([4]) سورة الحجر / ٦٦ .

([5]) من هدى القرآن ، المدرسي: ٤ / ٢٨٧ .

المطلب الرابع: معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في الاجتماع والقانون والفن والإعلام

يتناول القرآن معالجة القيم والممارسات المخالفة لتعاليمه من خلال التأكيد على الأخلاق والعدل.

أولا: معالجة مظاهر العلمانية في الاجتماع (السفور والتعري للمرأة أنموذجا)

ينطلق الفكر العلماني من رؤية تجعل الجسد شأنًا شخصيًا خاضعًا لحرية الفرد ، لا لمنظومة قيم دينية أو تقاليد اجتماعية موروثة. وضمن هذا الإطار، أُعيد تعريف مفاهيم السفور والتعري من كونها مظاهر تُقوَّم دينيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا، إلى كونها تعبيرًا عن الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي، وبذلك لم يعد الجسد الأنثوي يُنظر إليه ضمن سياق اجتماعي ديني و أخلاقي شامل، بل بوصفه مساحة خاصة للفرد، يحق له إدارتها وعرضها كما يشاء ما دام لا يخرق القانون الوضعي ، وقد ساهم هذا التحول في تطبيع مظاهر السفور والتعري داخل المجتمعات العلمانية، ولا سيما في الغرب حيث باتت هذه الممارسات تُقدَّم في الخطاب الثقافي والإعلامي باعتبارها رموزًا للتحرر من القيود التقليدية، ودليلًا على التقدم والحداثة، وفي المقابل جرى تصوير أنماط الاحتشام بوصفها ممارسات مرتبطة بالتخلف أو الخضوع للسلطة الرمزية للمجتمع أو الدين، وهو ما يعكس بوضوح أثر العلمانية في إعادة تشكيل المعايير الجمالية والأخلاقية ،كما لعبت وسائل الإعلام العلمانية وصناعة الموضة والإعلان دورًا محوريًا في ترسيخ هذا التوجه، إذ تم توظيف الجسد الأنثوي بوصفه أداة تسويقية ورمزًا للاستهلاك، في إطار اقتصاد ثقافي تحكمه قيم السوق والربح، وبهذا انتقل الجسد من كونه عنصرًا إنسانيًا مرتبطًا بالكرامة والخصوصية إلى كونه سلعة قابلة للعرض والتوظيف التجاري، وهو ما يكشف عن بُعد اقتصادي مكمّل للرؤية العلمانية في التعامل مع الجسد ، وبينما يرى الفكر الإسلامي أن التعري والسفور ينافيان مقاصد الشريعة في حفظ الكرامة الإنسانية وصيانة الأخلاق العامة، وقد نهى القرآن النساء عن التبرّج[1]

([1]) البَرَجُ: تباعدُ مَا بَيْنَ الْحَاجِبَيْنِ، وكلُّ ظَاهِرٍ مُرْتَفِعٍ فَقَدْ بَرَجَ، وإنما قِيلَ للبُروج بُروج لِظُهُورِهَا وَبَيَانِهَا وَارْتِفَاعِهَا، لسان العرب لاين منظور، مادة (برج)، ٢/ ٢١٢.

وهو خروج النساء من البيوت بارزات الزينة،[١] وكانت نساء الجاهلية زمان النبي ﷺ سافرات يفعلن من إظهار الشعر والرقبة والصدر والمحاسن ، وقد منع القرآن الكريم أزواج النبي ونساء المسلمين من هذه الأفعال [٢] .وفي زماننا الحاضر نشاهد نساء الجاهلية الحديثة وهن يخرجنه متبرجات ، وكاشفات عن أنوثتهن بأسلوب مثير [٣]. قال تعالى: "﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ ﴿٣٣﴾﴾"[٤].

وحيث "تناولت الآية التالية شرح واجبات النساء في هذا المجال، فأشارت أولا إلى الواجبات التي تشابه ما على الرجال، في قوله تعالى : وقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ . فلا يجوز لهن النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه ويجب عليهن ستر العورة عن الأجنبي والأجنبية.

ثم أشارت الآية إلى مسألة الحجاب في أربع جمل: –

١– قوله تعالى : ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها فالإبداء الاظهار، والمراد بزينتهن مواضع الزينة لان نفس ما يتزين به كالقرط والسوار لا يحرم إبداؤها فالمراد بإبداء الزينة أبداء مواضعها من البدن وقد استثنى الله سبحانه منها ما ظهر، وقد وردت الرواية "عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قلت له : ما يحل للرجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن محرما ؟ قال : الوجه والكفان والقدمان[٥]"[٦].

---

(١) ينظر : تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ٤ / ٣٣٢.

(٢) ينظر : المصدر نفسه: ٤ / ٣٢٣ .

(٣) ينظر : التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية : ٦ / ٢١٦ .

(٤) سورة الأحزاب / ٣٣ .

(٥)أخرجه محمد بن يعقوب الكليني(٣٢٨ / ٣٢٩ هـ) ؛ الأصول من الكافي ،٥٢١/٥، رقم الحديث (٢)، كتاب النكاح ، باب (ما يحل النظر إليه من المرأة).

(٦) تفسير الميزان ، الطباطبائي : ١٥ / ١١١.

٢- وثاني الأحكام التي تضمّنتها الآية قوله : وليضربن بخمرهن على جيوبهن؛ إذ إنَّ الخُمُر جمع خِمار، وهو ما تُغطّي به المرأة رأسها ويتدلّى على صدرها، أمّا الجُيوب فهي جمع جيب، والمراد بها مواضع الصدور. ويُفهم من ذلك الأمرُ بإرخاء أطراف الخُمُر وإلقائها على الصدور تحقيقًا لسترها وإخفائها عن النظر [١].

٣- وأما الحكم الثالث الذي أشارت اليه الآية وذكرت أصناف المحارم التي يجوز للنساء فيها الكشف عن حجابهن وإظهار زينتهن :-

أ- "(ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) فلكل من الزوجين ان يرى من صاحبه ما يشاء .

ب -(أَوْ آبائِهِنَّ) ويدخل فيهم الأجداد من الأب والأم.

ت -(أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ) ويدخل في آباء الأزواج الأجداد من الأب والأم.

ث -(أَوْ أَبْنائِهِنَّ) وولد الولد ولد ذكرا كان أو أنثى.

ج -(أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ) وان نزلوا.

ح - (أَوْ إِخْوانِهِنَّ) من الأم والأب أو من أحدهما .

خ -(أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ) وان نزلوا.

د -(أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ) كذلك.

ذ- (أَوْ نِسائِهِنَّ) يحرم على المسلمة ان تتجرد من عورتها أمام مثلها

ر- (أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ) من الإماء والجواري ،

ز- (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ) المراد بالطفل الجنس ، وهم الصبيان الذين لا يفرقون بين العورة وغيرها من أعضاء البدن" [٢].

٤- وأما الحكم الرابع قوله تعالى " ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن هو النهي عن أن تتعمد المرأة تحريك قدمها أو ضربها بالأرض بقصد إظهار صوت الحُليّ الذي تلبسه،

([١]) ينظر: تفسير الميزان ، الطباطبائي : ١٥/ ١١٢.

([٢]) ينظر: التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية : ٥ / ٤١٧ – ٤١٨.

كالخلخال،وصوت الكعب لما في ذلك من لفتٍ للأنظار وإظهارٍ للزينة الخفية، أي : على النساء أن يتحفظن كثيرًا، ويحفظن عفتهن، ويبتعدن عن كل شيء يثير غريزة الشهوة عند الرجال وهذا يكشف أن معالجة القرآن لظاهرة السفور والتعري ليست معالجة شكلية، وإنما روحية وأخلاقية، تقوم على تهذيب النفس وإحياء الحياء، وإبعاد كل ما يُثير الفتنة في المجتمع.وانتهت الآية بدعوة جميع المؤمنين والمؤمنات إلى التوبة والرجوع إلى الله ليفلحوا [1] .

قال تعالى:"﴿وقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾" [2].

وثم يشير القرآن إلى تحديد اللباس الشرعي، وهو الجلابيب[3]، وقوله: (يدنين عليهن من جلابيبهن)، أي يتسترن بها فلا تظهر جيوبهن وصدورهن على أعين الرجال الأجانب وقوله: (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)، أي تغطي جميع البدن وهو أقرب إلى أن يعرفن أنهن أهل العفة والستر ، فلا يؤذيهن أهل الفسق بالتعرض لهن بالأذى أو التحرش أو النظر بسوء، وقيل: المعنى ذلك أقرب من أن يعرفن أنهن حرائر مسلمات فلا يتعرض لهن بحسبان لتميزهن عن الجواري والكتابيات أو غيرهن والأول أصح [4] .

([1]) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي : ٧ / ٤٣٠ .

([2]) سورة النور / ٣١ .

([3]) الجِلْبابُ :ثَوْبٌ أَوسَعُ مِنَ الخِمار، دُونَ الرِّداءِ، تُغَطِّي بِهِ المرأَةُ رأْسَها وصَدْرَها؛ وَقِيلَ :هُوَ ثَوْبٌ واسِع، دُونَ المِلْحَفةِ، تَلْبَسه المرأَةُ؛ وَقِيلَ :هُوَ المِلْحفةُ، لسان العرب، ابن منظور : ١/ ٢٧٢.

([4]) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٦ / ٣٣٩ – ٣٤٠.

"قال تعالى: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾" [1].ومما تقدم يمكن القول أن العلمانية بفصلها الدين عن الحياة الاجتماعية فهي ترى السفور والتعري من الحرية ولا علاقة لها بالدين، وترى أن الحجاب يقيد حرية المرأة بينما القرآن يرفض ذلك، وقد عالج مظاهر التعري والسفور للمرأة من خلال النهي عن التبرج ،وكذلك الامر بالحجاب وتغطية الفرج وعدم كشف الزينة أمام الأجانب ونهى النساء عن السلوكيات التي تسبب الفتنة للرجال، فلم يقتصر على الجانب الشكلي فقط وبالتأكيد فإن كل ذلك حماية للمجتمع من الفتن، وأشار القرآن إلى تحديد اللباس الشرعي للنساء، وهو الجلباب وهو اللباس الواسع ليسترن أجسامهن وكل ذلك هو حماية للمرأة من الأذى.

ثانيا: معالجة مظاهر العلمانية في القانون (قوانين الإجهاض أنموذجا)

ينطلق الفكر العلماني في تعامله مع مسألة الإجهاض من تصور يجعل الجسد الإنساني، ولا سيما جسد المرأة، مجالًا للسيادة الفردية والاختيار الشخصي. ووفق هذا المنظور، تُفهم عملية الإجهاض على أنها قرار خاص يتعلق بحق المرأة في التحكم بجسدها ومستقبلها، وليس قضية دينية أو أخلاقية عامة تخضع لمنظومة قيم متجاوزة. ومن هنا، تم إدراج الإجهاض في غالبية الدول العلمانية ضمن إطار الحقوق الإنجابية، وربطه بمبادئ الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي. وقد انعكس هذا التصور على التشريعات القانونية، حيث شهدت المجتمعات العلمانية تحولات تدريجية في قوانين الإجهاض، انتقلت فيها من التجريم أو التقييد الصارم إلى الإباحة الجزئية أو الواسعة وفق شروط زمنية أو صحية أو اجتماعية. ويُظهر هذا التحول أثر العلمانية في نقل الإجهاض من كونه مسألة دينية و أخلاقية ذات بعد جماعي، إلى كونه شأنًا قانونيًا يُنظَّم وفق اعتبارات طبية وحقوقية بحتة. وبينما ينطلق التصور الإسلامي لمسألة الإجهاض من رؤية مغايرة للمنظور العلماني؛ إذ لا يُنظر إلى الجسد الإنساني، ولا سيما جسد المرأة، بوصفه مجالًا للسيادة

([1]) سورة الأحزاب / ٥٩ .

الفردية المطلقة، بل باعتباره أمانة إلهية تخضع لجملة من الضوابط الشرعية والأخلاقية. وعليه، فإن الإجهاض في الإسلام لا يُعد قرارًا شخصيًا محضًا، بل قضية دينية و أخلاقية ذات بعد جماعي، ترتبط بحرمة النفس الإنسانية ومقاصد الشريعة في حفظ النسل والحياة[١]. "وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ فنهى سبحانه عن قتل النفس منعا باتّا واستثنى ما يجب فيه إقامة الحد بالحق كالقصاص والقود ، وقتل المرتدّ ، ورجم المحصن ذلِكُمْ إشارة إلى موارد جواز القتل مما ذكرناه وَصَّاكُمْ بِهِ لتحفظوه لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ يعني لكي تفهموا ما أوصاكم به فلا تضيعوا عن وصية ربّكم جلّ وعلا ولتعملوا وفق أوامره وحلاله وحرامه" [٢] .

فالآية تشير إلى حرمة قتل النفس بشكل عام، وقد أثبتت لوليه أمر المقتول حق القصاص من القاتل، أو أخذ الدية [٣].

ويدخل في هذه الآية الجنين فقد أشارت الروايات إلى حرمة إسقاط الجنين وأوجبت الدية على القاتل وفي سؤال إلى أمير المؤمنين "أبي الحسن (عليه السلام) : "المرأة تخاف الحبل فتشرب الدواء فتلقى ما في بطنها ؟ فقال : لا ، فقلت : إنما هو نطفة ، قال : إن أول ما يخلق نطفة"[٤].وأيضا في سؤال لأبي جعفر عليه السلام " عن الرجل يضرب المرأة فتطرح النطفة ؟ فقال : عليه عشرون دينارا ، فقلت : يضربها فتطرح العلقة ؟ فقال : عليه أربعون دينارا ، قلت :

---

(١) ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ محمد السبزواري النجفي (١٤٠٩) دار التعارف ، للمطبوعات الطبعة الأولى ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ . ق : ٣ / ١٠٨ .

(٢) المصدر نفسه: ٣ / ١٠٨ .

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : ٩ / ٤١٨ .

(٤) أخرجه الشيخ الصدوق (٣٨١) ؛ من لا يحضره الفقيه،٤ / ١٧١ رقم الحديث (٥٣٩٤) كتاب الديات (باب نوادر الديات).

فيضربها فتطرح المضغة ؟ قال : عليه ستون دينارا ، قلت : فيضربها فتطرحه وقد صار له عظم ؟ فقال : عليه الدية كاملة ، وبهذا قضى أمير المؤمنين عليه السلام ..." [1] .

قال تعالى: "﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾" [2].

وتحدث القران عن حرمة قتل الأبناء في بعض الأحيان نتيجة الوضع الاقتصادي الصعب أو غيرها و أما علة الحكم فهي إن قتلهم كان خطأ كبيرا ، وهذا الفعل يرتبط بتفكير خاطئ وهو إن الأب والأم هما الرازقان، بينما الله سبحانه وتعالى ينهى عن ذلك يقول : اخرجوا هذا التفكير من عقولكم وابذلوا جهدكم والله يتكفل رزقكم ورزقهم ، وفي الوقت الذي نستغرب فيه ارتكاب العلمانيين لهذه الجرائم بحق الإنسانية ، فإن عصرنا الحاضر وفي أكثر مجتمعاته تقدما ورقيا يعيد تكرار هذه الجريمة ولكن بأسلوب جديد ، إذ إن العمليات الواسعة في إجهاض الجنين وقتله خوفا من الضائقة المالية وازدياد عدد السكان، أو لكونه نتيجة علاقة غير شرعية بدون زواج [3].

قال تعالى: "﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾"[4]

ويشير القرآن الكريم إلى أن مراحل خلق الجنين تبدأ ، وهو في رحم امه، وهذه المراحل لها قدسيتها واحترامها ولذلك لا يجوز التعدي عليه، و مرحلة النطفة مضافا إلى هذه المراحل الأربعة المختلفة تشكل خمس مراحل ، وهذه بحثت بدقة في علم الجنين، كل منها عالم عجيب

([1]) أخرجه محمد بن يعقوب الكليني(٣٢٨ / ٣٢٩ هـ) ؛ الأصول من الكافي ،٧ / ٣٤٥ ، رقم الحديث (١٠)، كتاب الديات، باب (دية الجنين).

([2]) سورة الاسراء/ اية ٣٣ .

([3]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ٨ / ٤٧٠ – ٤٧١ .

([4]) سورة الاسراء : اية ٣١ .

بذاته ملئ بالعجائب ،وألفت بصددها بحوث وكتب عميقة في الوقت الحاضر ، إلا أن القرآن الكريم تكلم عن هذه المراحل المختلفة ولم يكن هذا العلم متطورا مثل اليوم [١] .

ووضحت الآية المراحل المدهشة والمثيرة لتدرج النطفة في مراحلها المختلفة ، واتخاذها شكلا معينا في كل منها "ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً ... أي جعلنا الإنسان يعني جوهره أو السلالة على تأويلها بالمسلول . فتذكير الضمير بواحد من التأويلين لا بأس به ويحتمل أن يكون المضاف محذوفا أي جعلنا نسله من نطفة فنصب نُطْفَةً بنزع الجارّ وحذفه فِي قَرارٍ مَكِينٍ أي في مستقرّ حصين وهو الرحم. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ... أي قطعة دم جامد ، و مُضْغَةً قطعة لحم كأنّه ممضّغ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً جعلناها صلبة قوية فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً أي من بقايا المضغة ، أو لحما جديدا فخلقنا في اللحم عروقا وأعصابا وأوتارا وعضلات" [٢].

قال تعالى: "﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾"[٣].

ومما تقدم يمكن القول القوانين في غالبية الدول العلمانية تسمح بعمليات الإجهاض للجنين وهو ما يرفضه الإسلام، و القرآن قد عالج هذه الظاهرة بالإشارة إلى حرمة قتل النفس بشكل عام، ويدخل فيها قتل الجنين وإنه توجب الدية على القاتل كما أشارت الروايات الشريفة ، وأشار القرآن الكريم الى خطأ قتل الأولاد من قبل الأبوين وأن الرزق بيد الله، وأوضح أن مراحل خلق الانسان تبدأ قبل الولادة ، وإن له مراحل جنينية، وهو لم يولد ، وبين عجائبه وهو لم يولد أنها آية من عجائب خلق الله .

([١]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ١٠ / ٤٣٠ .

([٢]) الجديد في تفسير القرآن المجيد ، السبزواري : ٥ / ٥٣ – ٥٤

([٣]) سورة المؤمنون / ١٤ .

ثالثا: معالجة مظاهر العلمانية في الفن والاعلام (الترويج للفاحشة أنموذجا)

يُسهم الفنّ العلماني، حين يُفصل عن المرجعية القيمية والأخلاقية، في تطبيع أنماط سلوكية منحرفة عبر إعادة تقديمها بوصفها حريةً فردية أو تعبيرًا جماليًا، مما يحوّل الفن من وسيلة وعي وبناء إلى أداة ترويج للفاحشة ، وكذلك تُسهم وسائل الإعلام ذات التوجّه العلماني في العصر الحاضر، في كثير من الأحيان، في الترويج للفحشاء والانحلال الأخلاقي ، ومما يلزم ذكره أن لإشاعة الفحشاء صورا عديدة، فتارة يكون من قبيل افتعال تهمة كاذبة ونقلها بين الناس، وأخرى يكون بإنشاء مراكز لممارسة الرذيلة والفحش ونشر الفساد، وثالثة بتوفير وسائل المعصية لحث الناس على ارتكاب الفاحشة من خلال الإعلانات ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها ورابعة بارتكاب المعصية في العلن دون رعاية الدين، ودون ملاحظة لآداب عامة، وكل هذه مفاهيم لإشاعة الفحشاء ؛ لإن لهذه المفردة مفهوما واسعا ، ومصيبة الشائعات إن اختلاق ونشر الفاحشة يؤدي إلى سيطرة الشهوات على الوعي العام ، وهذه من أهم ما ترمي إليه الحرب النفسية للمستعمرين بغية إفساد وإضعاف المجتمع ، ليتسنى لهم التغلب السياسي والثقافي والعسكري ولذلك كافح الإسلام بشدة كل عمل ينشر في المجتمع السموم ، أو يدفعه نحو الانحطاط و الهاوية [1].

وقد وردت في القرآن المجيد كلمة الفحشاء غالبا للدلالة على العمل المخل بالعفة والشرف. ولكن من الناحية اللغوية، فقد ذكر الراغب الإصفهاني [2]" مفهوما واسعا لها فقال : الفحش والفحشاء والفاحشة، ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال. أما قول القرآن الكريم لهم عذاب عظيم

([1]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ١١ / ٥٢ – ٥٣ .

([2]) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي ، الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م : ٢ / ٢٥٥ .

في الدنيا فقد يكون إشارة إلى الحدود والتعزيرات الشرعية. وردود الفعل الاجتماعية، وما يبتلى به الناس في هذه الدنيا من مظاهر مشؤومة بسبب أعمالهم القبيحة، إضافة إلى عدم تقبل أية شهادة منهم، وإدانتهم بالفسق والفجور وافتضاح أمرهم. كل ذلك من النتائج الدنيوية التي تترتب على أقوالهم وأعمالهم القبيحة. وأما عذابهم الأليم في الآخرة، فيكون في ابتعادهم عن رحمة الله، واستحقاقهم غضب الله وعذاب النار" (١).

قال تعالى: "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾" (٢).

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن وسائل الإعلام العلمانية اليوم غالبا ما تروج للفساد ، وكذلك الفن الهابط سواء في الرسومات والقصص والكتب الفنية والاعمال الفنية والاعلانات ووسائل التواصل الاجتماعي في الترويج للفاحشة، و القرآن يحذر من انتشار الفاحشة بين الناس لأنها تؤدي لإفساد المجتمع والانحلال الأخلاقي، وتدمير القيم ، وقد توعد الله الذين يحبون أن تشيع الفاحشة بالعذاب في الحياة الدنيا والآخرة.

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي : ١١ / ٥٠ .

(٢) سورة النور / ١٩ .

المطلب الخامس : معالجة القرآن لمظاهر العلمانية في العلم

تذهب العلمانية في كثير من أطروحاتها إلى أن الدين، بوصفه قائمًا على الإيمان والمرجعية الغيبية، يتعارض مع العلم القائم على العقل والتجربة والملاحظة، ويستند هذا الطرح إلى قراءة تاريخية لتجربة أوروبية معيّنة، حيث نشأ صراع بين المؤسسة الدينية المسيحية والبحث العلمي ومحاربة العلماء في العصور الوسطى خاصة عندما حاولت الكنيسة فرض تفسيرات لاهوتية جامدة على الظواهر الطبيعية، أو منعت تداول بعض الاكتشافات العلمية التي عُدّت مخالفة لتفسيراتها السائدة آنذاك ،وقد عمّم الخطاب العلماني هذه التجربة الخاصة ليجعل منها نموذجًا كونيًا، فتم تصوير الأديان عمومًا على أنها قوى معيقة للتقدم العلمي، وأن التحرر من سلطة الدين شرطٌ أساس لازدهار العلم، وبناءً على ذلك رُوِّج لفكرة أن الفصل بين الدين والعلم ضرورة حضارية، وأن أي حضور ديني في المجال المعرفي يقود بالضرورة إلى الجمود والتخلف[1]

وعلى العكس من ذلك ففي الإسلام نجد أن الآيات الأولى من سورة العلق هي أول ما نزل على رسول الله ﷺ في غار حراء وهي بداية نزول الوحي على ما ذهب إليه أكثر المفسرين أو جميعهم، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الإنسانية ، واضحت البشرية مشمولة بأعظم الألطاف الإلهية وبأكمل الأديان وخاتمها. وجملة الذي علم بالقلم تحتمل معنيين :

الأول: أن الله تعالى علم الإنسان كيف يكتب بالقلم ، وأعطاه هذه المهارة العظيمة التي هي أصل انتقال المعرفة وتطور البشرية ، ومنطلق جميع الفنون و العلوم والحضارات عبر التاريخ العصور.

الثاني: المقصود أن الله تعالى علم الإنسان جميع المعارف والعلوم بواسطة القلم وبوسيلة الكتابة، وباختصار فإن المعنى يدور بين أمرين ، إما تعليم الكتابة نفسها ، أو تعليم العلوم بواسطة الكتابة وهو على أي حال كلام عميق المعنى يدل على ظهور حركة علمية مقرونة ببداية نزول الوحي، فحين نزلت هذه الآيات لم تكن بيئة الجزيرة العربية وحدها بل كان العالم في ذلك العصر أيضا لا يعير أهمية تذكر للقلم وإن من أعجب ما في بداية سورة العلق أنها نزلت في بيئة يسودها

([1]) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب : ٤٤٩.

التخلف العلمي والأمية لتتكلم أول ما تتكلم عن القراءة والعلم وعن القلم مباشرة بعد ذكر نعمة الخالق، فهذه الآيات تتكلم في الواقع أولا عن تكامل جسم الإنسان من موجود من علقة ضعيفة ، ثم عن تكامل روحه حتى صار عاقلا بواسطة التعلم وبخاصة عن طريق القلم، وكأن الوحي أراد أن يعلن منذ اللحظة الأولى أن الرسالة المحمدية رسالة علم ومعرفة، لا خرافة و جهل [1].

قال تعالى: "﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾" [2].

وقد بين القران مكانة العلماء وفضلهم وتقديره لهم في مجلس الرسول ﷺ، ففي قوله تعالى :وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يشتمل على أدب من آداب السلوك. فالنشوز – كما ذُكر – هو الارتفاع والانتقال عن المكان، ويُقصد به في سياق المجلس أن ينهض الإنسان من موضعه ليفسح المجال لغيره، تعظيمًا له وتقديرًا لفضله ، والمعنى: إذا طُلب منكم أن تقوموا ليجلس مكانكم من هو أسبق منكم في العلم أو أعلى منزلة في التقوى، فبادروا إلى القيام امتثالًا للأمر وإظهارًا للتواضع وحسن الأدب [3] .

و"يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات. وقيل: معناه لكي يرفع الله تعالى الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله ﷺ درجة، والذين أوتوا العلم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنة. وقيل: درجات في مجلس رسول الله ﷺ فأمر الله سبحانه أن

([1]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي : ٢٠ / ٣٢٣ – ٣٢٤ ، ينظر : من صفات الباحث الى شروط المفسر مقاربة منهجية في أصول البحث العلمي ومحصلات عصمة النظر في الخطاب القرآني ، عماد جبار كاظم داوود ، مجلة كلية التربية ، العدد : ٣ – ٤ .

([2]) سورة القلم / ١ – ٢ – ٣ – ٤ .

([3]) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٩ / ١٨٨ .

يقرب العلماء من نفسه، فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم، ليبين فضل العلماء على غيرهم. وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء، وجلالة قدرهم" [1] .

ويمكن القول أن الآيات تكشف بوضوح أنّ العلم في التصور القرآني ليس مستقلاً عن الإيمان، بل هو جزء من منظومة هداية متكاملة، يُقاس فيه فضل العالِم بقدر اقتران علمه بالإيمان والطاعة وحسن الأدب، كما ظهر في أدب المجالس والأمر بالتفسّح والنشوز تعظيمًا لأهل العلم. وهذا يعني أنّ الدين في المنهج القرآني لا يقف عائقًا أمام العلم، بل يمنحه قيمته واتجاهه وغاياته ،وفي المقابل تقوم العلمانية على مبدأ فصل المجالات، وتدعو إلى إخراج الدين من ميدان المعرفة العلمية بدعوى الحياد والموضوعية، فتجعل العلم قائمًا بذاته، منقطعًا عن أي مرجعية غيبية أو أخلاقية، وبهذا الفصل يتحوّل العالِم في التصور العلماني إلى مختصّ تقني تُقاس منزلته بقدر إنتاجه المعرفي أو نفعه المادي لا بقدر مسؤوليته القيمية أو أثر علمه في تهذيب الإنسان والمجتمع ،وعليه فإنّ تقديم القرآن للعلماء في مجلس النبي ﷺ، ورفعهم درجات بسبب علمهم وإيمانهم، يمثّل نقضًا صريحًا للدعوى العلمانية التي تزعم إمكان قيام علمٍ محايدٍ منزوع القيم، فالقرآن يقرر أنّ العلم إذا انفصل عن الدين فقد بوصلته، وإذا اتصل بالإيمان صار وسيلةً للارتقاء بالإنسان لا مجرد أداة للسيطرة أو المنفعة، ومن هنا يتضح أنّ دعوة العلمانية إلى إبعاد الدين عن العلم ليست تقدّمًا معرفيًا، بل اختزال للعلم في بعدٍ ماديٍّ ضيق، يتناقض مع الرؤية القرآنية الشاملة للعلم والعالِم.قال تعالى: "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَـٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَـٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ " [2].

([1]) مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ) ، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين قدم له السيد محسن الأمين العاملي ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان (١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م) : ٩ / ٤١٨ .

([2]) سورة المجادلة / ١١ .

و يحرضنا القرآن الكريم على التنقيب والبحث في اسرار الوجود سواء على صعيد الخبراء والعلماء أو على مستوى كل فرد بأن نتفكر ونعقل ولا نكون غافلين عما يجري لا في حدود النظر بل بالعقل والتفكير وهكذا، وعلى عكس الرؤية العلمانية التي تنظر للدين على أنه بضد من العلم ، فإنّ الآيات الكونية تبرز بوضوح أن الإيمان في الإسلام لا ينفصل عن العلم ، بل إنّ العلم هو سبيل الإيمان الح ؛لأن من معرفة أسرار الخلق، هي طريق معرفة عظمة الخالق، وهي أصل كل فلاح وخير ، وهنا يمكن القول إنه بين الإنسان وبين إدراك الحقائق حجابًا من الغفلة، فإذا ما انكشف عنه هذا الحجاب، أبصرَ الحقيقة صافية أمام عينيه. والقرآن الكريم هو الذي يُساعده على ذلك، إذ يوقظ الفكر، ويحرّك التأمل في مظاهر الوجود التي اعتادها الإنسان حتى غفل عن دلالاتها العميقة ، فهو يدعوه إلى النظر في الإبل كيف خُلقت، لا لمجرد التأمل في مظهرها الخارجي ، بل ليكتشف ما وضع الله فيها من أسرار الحكمة والإبداع ؛ هذا الحيوان الذي يشقّ الصحارى القاحلة صبرًا وقوة التحمل ، ويمنح الإنسان غذاءه وكساءه ووسيلة تنقله ، ومع ضخامته يبقى خاضعًا هادئًا بين يديه. أليس في ذلك كله دليل على قدرة الخالق ولطفه؟ وثم من خلال قراءة الآيات القرآنية يخيل إلينا أنها ترسم لوحة فنية ، فإذا ذكرت الإبل تذكر بعدها السماء ثم الجبال فالأرض حتى تكتمل الصورة ، وهذا كتاب الله يصف الحقائق فتكتمل الصورة: سماءٌ مرفوعة بلا عمد، وجبالٌ راسيات تحفظ توازن الأرض، وأرضٌ ممهدة صالحة للحياة فكل ذلك هو دعوة إلى التأمل في هذه المخلوقات [1] .

قال تعالى: "﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾" [2].

ولقد كانت الدوافع الرئيسة لاشتغال المسلمين بالعلوم المختلفة، هي تشجيع الإسلام الشديد على طلب العلم في مختلف الظروف ، إلى جانب المكانة التي منحها للعلماء ، سواء من القرآن

([1]) ينظر : من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي : ١٢ / ١٧٣ -١٧٤ – ١٧٥ .

([2]) سورة الغاشية / ١٧ – ١٨ – ١٩ – ٢٠ .

الكريم وكذلك ما ورد في السنة ، ولذلك صرح جورج سارتون [١] في كتابه مقدمة في تاريخ العلم إنني أتساءل ثانية: كيف يمكن أن نتعرف على علوم ومعارف المسلمين إذا لم نفهم علاقتها المركزية بالقرآن [٢] . ويعترف بأن المسلمين امتلكوا السيادة العلمية على العالم خلال فترة ستة قرون وذكر لكل عصر عالم من العلماء ومن هؤلاء جابر بن حيان [٣] الذي يلقب في الغرب بابو الكيمياء وكذلك الطبيب المسلم ابن سينا [٤] والذي كان كتابه القانون في الطب يعتبر المنهج التعليمي للطب في جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر، وكذلك الخوارزمي [٥] الذي وضع

---

(١) هو مؤرِّخ وعالم بلجيكي–أمريكي (١٨٨٤ – ١٩٥٤) يُعدّ مؤسس علم تاريخ العلوم بالمعنى الأكاديمي الحديث. وُلِد في مدينة غنت ببلجيكا، ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية ثم هاجر إلى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى وعمل في جامعة هارفارد ينظر : فلسفة العلم في القرن العشرين الأصول – الحصاد – الآفاق المستقبلية أ.د. يمنى طريف الخول الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠١٤ : ٢٠ .

(٢) ينظر: من العلم العلماني إلى العلم الديني ، مهدي كلشني ، ترجمة سرمد الطائي ، مراجعة صادق العبادي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع : ١١٠ – ١١٢ .

(٣) جابر بن حيّان (حوالي ٧٢١–٨١٥م) هو عالم مسلم يُلقَّب بأبي الكيمياء، وُلد بالكوفة ونسبته إلى الأزْد. وضع أسس المنهج التجريبي في الكيمياء، وطوّر عمليات مثل التقطير والتبلور، وكتب مئات الرسائل والكتب في الكيمياء والطب والفلسفة، فكان له أثر كبير في تطور العلوم في الحضارة الإسلامية وأوروبا ينظر: تاريخ الفكر العربي تأليف إسماعيل مظهر الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠١٧ : ٦٨ – ٦٩ .

(٤) ابن سينا (٩٨٠–١٠٣٧م) هو فيلسوف وطبيب مسلم فارسي يُلقَّب بـ الشيخ الرئيس .ألّف مئات الكتب في الطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية، وأشهر مؤلفاته كتاب "القانون في الطب "الذي ظل مرجعًا في أوروبا قرونًا طويلة، وكتاب "الشفاء "في الفلسفة. يُعد من أعظم علماء الإسلام وأكثرهم تأثيرًا في الفكر والطب العالمي ينظر : ابن سينا برنارد كارا دو فو ترجمة عادل زعيت الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠٢٠ : ٨٦ – ٩٠ – ٩٥.

(٥) الخوارزمي (حوالي ٧٨٠–٨٥٠م) هو عالم رياضيات وفلك مسلم من خوارزم، يُلقَّب بـ أبي الجبر .وضع أسس علم الجبر وطرق الحساب بالأرقام الهندية (التي تطورت إلى الأرقام العربية)، وله مؤلفات مهمة مثل الكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة أثّرت في الرياضيات الأوروبية وأسهمت في تطور العلوم الحديثة ، ينظر : مطالعات علمية ، علي مصطفى مشرفة ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٢ : ٦١ – ٦٣ .

الأرقام الإنكليزية في الرياضيات والتي تستخدم في الغرب وبقية أنحاء العالم [١] . "يوم كانت أرض المسلمين قبلة للعلم، وقد قصدها من أراد النهل من معارفهم وحضارتهم، وحينما ظهرت الاندلس وحواضرها الكبرى مأوى للثقافة ومنارا للمعرفة لما فيها من خزائن الكتب والجامعات والمدارس التي وفد إليها الطلاب من فرنسا وإيطاليا وانكلترا وألمانيا من أجل الدرس وتحصيل العلم" [٢].

ومما تقدم يمكن القول ان الإسلام لم يقف بوجه العلم ،ولم يحارب العلماء بل برز دور القرآن في محاربة الجهل والتخلف، والدعوة إلى العلم فكان أول ما نزل من القرآن يتضمن اشارت علمية ، فإن أساس الإسلام أقيم منذ البداية على أساس العلم والقلم والدعوة إلى العلم ،وبين القرآن مكانة العلماء والاهتمام بهم ،ودعا الإنسان إلى التفكر والبحث في اسرار الكون والطبيعة ،وتأكيد على أن العلم سبيل الإيمان؛ لأنه طريق معرفة الله ،ولذلك استطاع المسلمون أن يتقدموا في العلم والمعرفة حتى تأهلوا باعتراف الأعداء والأصدقاء لتصدير علومهم إلى أوروبا ، وتحقيق إنجازات واكتشافات علمية كان لها الفضل فيما وصل إليه العلم الحديث اليوم من التطور والتقدم، وهذا ما يعترف به وبالتالي، فإن القرآن يرفض دعوة العلمانية بفصل الدين عن العلم والأبحاث العلمية بدعوى أن الدين يدعو إلى الجهل والخرافات وغيرها.

([١]) ينظر: من العلم العلماني الى العلم الديني ، مهدي كلشني ، ترجمة سرمد الطائي ، مراجعة صادق العبادي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع : ١٠٩ .

([٢]) الاستشراق والتراث الإسلامي ، زياد علي دايح الفهداوي ، علاء حسين خلف الشجيري ، مجلة كلية التربية، العدد الواحد والعشرون : ٣١

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله واله الاطهار المنتجبين.

خلصت هذه الدراسة الى نتائج متعددة نجملها بالتالي:

١-من المشتركات بين الإسلام والعلمانية هي الدعوة الى حرية العقيدة، والعدالة والحرية، والتشجيع على العلم ودعم العلماء.

٢-كان من نتائج العلمانية وأثارها حصول انهيار أخلاقي وتفكك أسري أدى الى تدمير المجتمع الغربي .

٣-تدعي العلمانية أنها فكرة قائمة على فصل الدين عن الدولة، لكن الذي حصل هو تهميش الدين فلم يبق للدين أهمية أو أثر في حياة الناس .

٤-أثبتت الدراسة أن مظاهر العلمانية في الفرد والمجتمع مرتبطة بضعف المرجعية الدينية وبتأثر الإنسان بالثقافة المادية السائدة، وهو ما يجعل المعالجة القرآنية ذات أهمية خاصة في إعادة البناء الفكري.

٥- تطبيقات العلمانية في العالم الإسلامي أدت إلى خلل في المنظومة القيمية، وضعف الارتباط بالهوية الدينية، وازدياد التبعية للنماذج الغربية. كما تبيّن أنها ساهمت في تفكك البنية الاجتماعية وخلق حالة من الازدواج الثقافي بين الخطاب الديني والواقع المعاش، مما أضعف قدرة المجتمع على الاستقرار والانسجام.

٦- تطورت العلمانية من فصل الدين عن الدولة الى عزل الدين عن جميع مجالات الحياة والالحاد وتهميش الدين .

٧- تبيّن أن العلمانية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعلمنة والحداثة والعولمة والماسونية، إذ تشترك جميعها في تعزيز إقصاء الدين عن الحياة العامة ونشر النزعة المادية. كما ظهر أنها جزء من

منظومة فكرية عالمية تعمل بشكل متكامل على إعادة تشكيل قيم الإنسان ومفاهيمه بعيدًا عن المرجعية الدينية.

٨- بيّنت الدراسة أن المعالجة القرآنية لمظاهر العلمانية ليست معالجة جزئية، بل شاملة لميادين الاقتصاد، والأخلاق، والاجتماع، والقانون، والعلم، والإعلام، حيث يقدم القرآن مبادئ فكرية قادرة على توجيه هذه المجالات ووضعها ضمن إطار قيمي متوازن.

٩- خلصت الدراسة إلى أن البواعث الفكرية القرآنية تسهم في بناء وعي مضاد للعلمنة من خلال ترسيخ الهوية الإيمانية، وتعزيز الحصانة الفكرية، وإعادة صياغة علاقة الإنسان بربه، وبذاته، وبمجتمعه.

١٠- تبيّن أن المواجهة الفكرية للعلمانية لا تقوم على الرفض المجرد، بل على تقديم بديل معرفي متكامل يستند إلى الوحي، وهو ما يوفره القرآن الكريم عبر منهجه في التفكير وبنائه للإنسان.

١١- بيان تكامل المنظور القرآني في بناء الإنسان والمجتمع وحفظ التوازن بين الروحي والمادي بعيدًا عن الإفراط أو التفريط.

١٢- اقترحت الدراسة رؤية قرآنية شمولية يمكن من خلالها مواجهة تحديات العلمانية المعاصرة بأساليب فكرية ومنهجية راسخة.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله الاطهار المنتجبين.

التوصيات

١- ضرورة التفريق بين الدين ورجل الدين ؛ لان رجل الدين لا يمثل الدين؛ لأنه إنسان معرض للخطأ وليس بمعصوم والذي يمثل الدين الحقيقي هم الأنبياء والرسل والاوصياء .

٢- ضرورة تغيير القوانين الوضعية التي فرضها الاستعمار من قبل الحكومات ومجالس البرلمان في الدول الاسلامية ، فما حاجتنا الى القوانين الغربية البشرية ونحن لدينا قوانين إسلامية شاملة في جميع الميادين .

٣- ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية لمواجهة مخاطر العلمانية ومظاهرها ، فلا بد من حكومات إسلامية قادرة على تنفيذ الخطط للقضاء على مظاهر العلمانية .

٤- ضرورة إنشاء مراكز بحوث ودراسات في الجامعات العراقية وغيرها في البلدان الإسلامية متخصصة بدراسة الأفكار الغربية ومتابعة كل التطورات الفكرية الحديثة .

٥- ضرورة تعزيز الدراسات القرآنية الفكرية التي تربط بين نصوص الوحي وقضايا العصر، بما يعمّق الوعي بمكانة القرآن الكريم في معالجة التحديات الفكرية المعاصرة.

٦- تشجيع المؤسسات التعليمية على دمج مقررات تُعنى بالهوية الإسلامية والفكر القرآني، بهدف تنمية الوعي الفكري لدى الأجيال الجديدة في مواجهة مظاهر العلمنة الثقافية والسلوكية.

٧- الاهتمام ببرامج التربية الإيمانية والفكرية التي تقوي علاقة الفرد بالوحي وتحصّنه من التأثر بالمفاهيم العلمانية المخالفة للمرجعية الإسلامية.

٨- دعوة الباحثين إلى دراسة الآثار الاجتماعية والنفسية للعلمانية في العالم الإسلامي بمنهج علمي رصين، لكشف تأثيرها في الأسرة، والأخلاق، والقيم العامة.

٩- ضرورة تعزيز الدور الإعلامي الهادف الذي يقدم رؤية إسلامية متوازنة، ويعمل على مواجهة الخطاب الإعلامي المروج للقيم العلمانية المتطرفة.

١٠- توجيه المؤسسات الثقافية والفكرية إلى تقديم قراءات نقدية للعلمانية، تميز بين جوانبها الفكرية والسياسية، وتكشف حدودها ومآلاتها في الواقع الإسلامي.

١١- الاهتمام بإحياء منظومة القيم القرآنية في الاقتصاد، والقانون، والفن، والعلم، والعلاقات الاجتماعية، بوصفها البديل المتوازن الذي يعالج اختلالات النماذج العلمانية.

١٢- العمل على نشر ثقافة الوعي بالهوية الإسلامية في المجتمعات، وتوضيح أثرها في حفظ استقرار الفرد والمجتمع، ومواجهة التفكك الناتج عن العلمنة الشاملة.

١٣- تشجيع البحوث المقارنة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي للكشف عن نقاط القوة والضعف في كل منهما، وإبراز قدرة الإسلام على تقديم رؤية حضارية مكتملة.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

* القران الكريم

١- آثار إعادة الهيكلة الرأسمالية على البشر في البلدان العربية ، نادر فرجاني .

٢- آدم سميث ، إيمون باتلر ، ترجمة علي الحارس ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤م.

٣- آراء فلسفية في أزمة العصر ، أدريني كوخ ، ترجمة محمود محمود ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٣ م.

٤- آل روتشيلد ، مجدي كامل ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، دمشق ، القاهرة.

٥- ابن رشد ، الفيلسوف محمد يوسف موسى ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤ م.

٦- ابن سينا برنارد كارا دو فو ، ترجمة عادل زعيت، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠ م.

٧- أتاتورك السيرة الذاتية لمؤسس تركيا الحديثة ، أندرو مانجو ، ترجمة عمر سعيد الأيوبي ، دائرة الثقافة والسياحة ، الطبعة الأولى ، أبو ظبي ، ٢٠١٨ م.

٨- الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، علي جريشة ، دار الوفاء ، للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة ، الطبعة الثالثة ، (١٤١١ هـ ١٩٩٠ م).

٩- اتجاهات فكرية معاصرة ، د. رعد شمس الدين الكيلاني، الطبعة الأولى (١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م).

١٠- أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي ، محمد رشاد عبد العزيز محمود ، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، القاهرة (١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م).

١١- الاختيار العلماني وأسطورة النموذج، سعيد ناشيد دار الطليعة بيروت لبنان الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

١٢- الإدمـان الكحولي مرض نفسي وبؤس عقلي وتخلف حضاري تحريمه أنواعه ،مخاطره علاجه والوقاية منه ، د . ناصر محيي الدين الملوحي ، دار الغسق ، الطبعة الخامسة ، سوريا (١٤٤٤ هـ – ٢٠٢٣ م).

١٣- الأزمة الفكرية المعاصرة ، تشخيص ومقترحات علاج ، طه جابر العلواني ، الدار العلمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة الرابعة، (١٤١٤م ١٩٩١م).

١٤- الأزمة الفكرية و مناهج التغيير ، د . طه جابر العلواني ، دار الهادي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

١٥- أزمنة التاريخ مباحث في كتابة التاريخ الإسلامي ، ترجمة علي الرضا خليل رزق ، المركز العربي لابحاث ودراسات السياسات، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠٢٠ م.

١٦- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د. علي محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة دار الاعتصام ، الطبعة الثالثة ، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).

١٧- الإسلام والحضارة الغربية ، عباس محمود العقاد ، الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠١٤ م.

١٨- الإسلام والعلمانية والديمقراطية الليبرالية، نادر الهاشمي، ترجمة أسامة غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠١٧ م.

١٩- الإسلام والعلمانية، محمد السعيد الأودن، دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى،(١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).

٢٠- الإسلام وعلمانية الدولة ، عبدالله أحمد نعيم ، دار ميريت ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ٢٠١٠م.

٢١- الإسلام يتصدى للغرب الملحد ، الدكتور محمد نبيل النشواتي ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، دمشق ، (١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م).

٢٢- الأصول من الكافي ، ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله المتوفى سنة (٣٢٨ / ٣٢٩ هـ) ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، الناشر دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، تهران.

٢٣- الأصولية والعلمانية ، مراد وهبة ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ، القاهرة.

٢٤- الأعلام ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

٢٥- أعمدة الحكمة السبعة ، توماس إدوارد لورنس ، ترجمة محمد نجار ، الاهلية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، عمان ، ١٩٩٨ م.

٢٦- اغتصاب النساء بين القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني ، أ . كريمة خنوسي.

٢٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٢٨- الامراض الجنسية أسبابها وعلاجها ، الدكتور محمد علي بار ، دار المنايرة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، جدة ، (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م).

٢٩- الأمير ، نيقولا ماكيافيلي ، محمد لطفي جمعة ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤ م.

٣٠- الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي ، محمد أركون ، ترجمة وتقديم : د . محمد عزب ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ م.

٣١- بحوث في الربا ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

٣٢- بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب والمسلمين في مصر (١٩٠٠ م – ١٣١٨ هـ إلى ١٩٦٤ م – ١٣٨٤ هـ) ، د. حسين سعد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، (١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م).

٣٣- تاريخ الفكر العربي، تأليف إسماعيل مظهر، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧ م.

٣٤- تاريخ الفلسفة الحديثة تأليف يوسف كرم ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٢ م.

٣٥- تاريخ أوروبا في العصر الحديث ، فشر ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، مصر.

٣٦- تاريخ صقلية الإسلامية ، الدكتور عزيز أحمد ، نقله الى العربية الدكتور أمين توفيق الطيبى ، الدار العربية للكتاب ، (١٣٧٩ هـ – ١٩٨٩ م).

٣٧- تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح مركز الإنماء القومي – بيروت، والمركز الثقافي العربي – الدار البيضاء،١٩٩٦ م.

٣٨- التبيان في تفسير القرآن، أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) ،تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الاعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ .

٣٩- تحريم الربا تنظيم اقتصادي ، الشيخ محمد أبو زهرة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، جدة ، (١٤٠٥ هـ – ١٩٩٥ م) .

٤٠- تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، رفاعة رافع الطهطاوي ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٠.

٤١- تدهور الحضارة الغربية ، أوسفالد شبينغلر ، ترجمة أحمد الشيباني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان.

٤٢- التراث والعلمانية البنى والمرتكزات الخلفيات والمعطيات، عبد الكريم سروش، ترجمة أحمد القبانجي ، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.

٤٣- تركيا بين المورث الإسلامي ، والإتجاه العلماني ، الدكتور أحمد نوري النعيمي ، دار الجنان للنشر والتوزيع ، الطبعة العربية الأولى ، عمان ٢٠١١ م.

٤٤- التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (نموذج تركيا وتونس) د. يوسف القرضاوي، دار الشروق القاهرة الطبعة الأولى، (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).

٤٥- تطور الحركة الاشتراكية في الوطن العربي ، الدكتور إلياس فرح ، منشورات الطليعة العربية ، تونس ، ١٩٨٩ م.

٤٦- التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوانات، تشارلز داروين ، ترجمة وتقديم مجدي محمود المليجي ، المجلس الأعلى للثقافة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م.

٤٧- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

٤٨- التعليم العلماني والدين ، جيمس أرثر ، ترجمة عمرو بسيوني ، مركز نهوض للبحوث والدراسات ، ٢٠٢٠ م.

٤٩- تفسير الصافي ، فيلسوف الفقهاء المولى محسن الفيض الكاشاني (قدس سره) (١٠٩١ هـ) ، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، مكتبة الصدر ، الطبعة الثانية ، طهران ، ١٤١٦.

٥٠- تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (رحمه الله) (من أعلام قرني ٣ - ٤ هـ) ،صححه وعلق عليه وقدم له حجة الاسلام العلامة السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم – إيران.

٥١- التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية (١٤٠٠) ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، لبنان ، بيروت ، ١٩٨١ م.

٥٢- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ) ، عبد الله محمود شحات ، دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٢٣هـ.

٥٣- تفسير نور الثقلين الشيخ الحويزي (١١١٢) ، تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، قم ، ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش.

٥٤- تفكيك العلمانية بين الدين والديمقراطية ، د . رفيق عبد السلام ، دار المجتهد للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، تونس ، ٢٠١١ م.

٥٥- تقريب القرآن إلى الأذهان السيد محمد الحسيني الشيرازي (١٤٢٢) دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى بيروت لبنان ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م.

٥٦- تهافت العلمانية في الصحافة العربية ، سالم علي البهنساوي ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، المنصورة ش . م .م (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).

٥٧- ثلاثون عاما من التشرد (ريان يا فجل) ، محمد إبراهيم مبروك ، مركز الحضارة العربية الطبعة الأولى ، القاهرة ، ٢٠١٨ م.

٥٨- الجديد في تفسير القرآن المجيد الشيخ محمد السبزواري النجفي (١٤٠٩)، دار التعارف للمطبوعات الطبعة الأولى، لبنان ، بيروت، ١٤٠٦ هـ . ق.

٥٩- الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية في مصر منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨ م ،دكتور السيد أحمد الفرج، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، المنصورة ، (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م).

٦٠- الجنس في أنوار وظلاله رؤية إنسانية و إيمانية ، كوستي بندلي ، منشورات النور.

٦١- جون ميجر قصة حياتي ، تعريب وليد شحادة ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ، الرياض ، (١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م).

٦٢- الحبيب بورقيبة زعيم أمة ورئيس دولة ، عبد السلام القلال ، شركة أوميڤا للنشر ، ٢٠٢١م.

٦٣- حجاب وحراب الكمالية وأزمات الهوية في تركيا ، محمد نور الدين ، رياض الريس للكتب والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م.

٦٤- الحداثة مقدمة قصيرة جدا ، كريستوفر باتلر ، ترجمة شيماء طه الريدي ، مراجعة هاني فتحي سليمان ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٦.

٦٥- الحكومة الإسلامية ، السيد روح الله الخميني ، ١٣٨٩.

٦٦- الحوار الإسلامي العلماني ، طارق البشري ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، (١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م).

٦٧- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ،الدكتور علي الوردي، مؤسسة السيدة معصومة سلام الله عليها الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ . ق.

٦٨- دليل القيروان ، صالح سويسي القريواني ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٢.

٦٩- دماغك تحت تأثير الإباحية أضرار المرئيات الجنسية على الإنترنيت في ضوء علم الإدمان الحديث ، غاري ويلسون ، ترجمة مي بدر ، كومون ويلث ، المملكة المتحدة للطباعة والنشر ٢٠١٤ م.

٧٠- الدين والعولمة خواطر حول الإسلام والعلمانية والإسلاموفوبيا ، د. أمل خيري أمين ، ٢٠١١.

٧١- ديوان ابن مقبل ، تحقيق عزة حسن ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، (١٣٨١ هـ – ١٩٦٢ م).

٧٢- الربا أثام وأضرار ، إبراهيم بن محمد الحقيل ، دار ابن حزيمة.

٧٣- رحلة الى بغداد في عهد داوود باشا ، جمس ريمود لمستيد ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي ، مكتبة النهضة العربية ، دار احياء التراث العرب.

٧٤- رحلة إلى قلب الإلحاد، حلمي القمص يعقوب.

٧٥- رضا شاه بهلوي نهضة ايران الحديثة ، بقلم أحمد محمود السادتي ، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ، (١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م).

٧٦- السبل بحث مختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة الماسونية – العلمانية – الاشتراكية – الرأسمالية ، معاذ بن محمد الزغبي ، المدرسة الأثرية.

٧٧- ستالين ، فرج جبران ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٦ م.

٧٨- سقوط العلمانية ، أنور الجندي ، دار الكتب اللبناني ، مكتبة المدرسة.

٧٩- السياسة الدينية والدولة العلمانية مصر والهند والولايات المتحدة الامريكية ، سكوت هيبارد ، ترجمة الأمير سامح كريم ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠١٤ م.

٨٠- سيرة مصطفى كمال باشا ، أمين محمد سعيد ، كريم خليل ثابت ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٩٢٢ .

٨١- سيكوديناميات التحرش الجنسي لدى الإناث (دراسة في التحليل النفسي) ، محمد أحمد محمود خطاب ، المكتب العربي للمعارف ، الطبعة الأولى، القاهرة ، ٢٠١٧ م.

٨٢- سيكولوجيا البغاء دراسة نظرية وميدانية ، نجية اسحق عبدالله ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م).

٨٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩ هـ) ،حققه: محمود الأرناؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) دار ابن كثير، الطبعة الأولى ، دمشق ، بيروت (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

٨٤- الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ، د. محمد عمارة ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م).

٨٥- الشيخ محمد شمس الدين وأثاره الفكرية في الامام الحسين عليه السلام (دراسة في الرؤية والمنهج) ، هادي عبد النبي محمد التميمي ، الطبعة الأولى ، النجف الاشرف ، (١٤٣٤هـ ٢٠١٣ م).

٨٦- الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، محمد كامل ظاهر ، دار البيروني للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، (١٤١٤ هـ ١٩٩٣م).

٨٧- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار العربية ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم ، الطبعة الرابعة ، الكويت ، (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

٨٨- صمويل زويمر حياته وجهوده التنصيرية ، ناصر بن إبراهيم بن عبد الله آل تويم ، العبيكان للنشر ، الطبعة الأولى ، الرياض ، (١٤٣٧ هـ ٢٠١٧ م).

٨٩- صور من حياة المرأة في الغرب ، د.مازن مطبقاني ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).

٩٠- صورة جسد المرأة بين الإسلام وجدل العولمة ، د/ سماش نادية المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية الـ CRASC.

٩١- عجز العقل العلماني ، عيد الدويهيس ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

٩٢- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، محمد حامد الناصر ، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، الرياض ، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).

٩٣- العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ترجمة عادل، زعيت، الناشر مؤسسة هنداوي، ٢٠١٠م.

٩٤- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) العلامة المحقق الأستاذ جعفر السبحاني نقله إلى العربية جعفر الهادي مؤسسة الصادق عليه السلام ،الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٩٥- علم الاجتماع ، موريس جنزبرج ، ترجمة فؤاد زكريا ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٢م.

٩٦- علماء وأدباء ومفكرون ، عبد العظيم أنيس ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٣ م.

٩٧- العلمانية ، غي هارشير ، ترجمة رشا الصباغ ، تدقيق د. جمال شحيد ، دار المدى للثقافة والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م.

٩٨- العلمانية الإمام اية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، منشورات المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٦ م.

٩٩- العلمانية الحديثة شجرة خبيثة ، الدكتور محمد أحمد عبد الغني.

١٠٠- العلمانية العدو الأكبر للإسلام من البداية للنهاية ، محمد إبراهيم مبروك ، مركز الحضارة العربية الطبعة العربية الأولى ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م.

١٠١- علمانية المدفع والانجيل ، محمد عمارة ، مكتبة البخاري ، الطبعة الأولى ، الإسماعيلية ، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).

١٠٢- العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب ، باحو مصطفى ، جريدة السبيل ، الطبعة الأولى ، سلا ، المغرب (١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م).

١٠٣- العلمانية النبتة الخبيثة ، الدكتور أحمد فريد ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، جمهورية مصر العربية ، القاهرة (١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م).

١٠٤- العلمانية أم الشريعة الإسلامية أيهما السبب في تخلفنا ، مريم الأصبحي، مراجعة لغوية أمال هلال.

١٠٥- العلمانية بين الغرب والإسلام ، الدكتور محمد عمارة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧-١٩٩٦).

١٠٦- العلمانية تحت المجهر، الدكتور عبد الوهاب المسيري ، الدكتور عزيز العظمة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م).

١٠٧- العلمانية جذورها واصولها ، محمد علي بار ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، دمشق (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

١٠٨- العلمانية حقيقتها وخطورتها ، لفضيلة الشيخ الدكتور أبي عبد المعز محمد علي فركوس ، دار العواصم للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، الجزائر ، (١٤٤٣ هـ - ٢٠١٣ م).

١٠٩- العلمانية دمرت المرأة عيد الدويهيس الطبعة الأولى ٢٠٢١ م.

١١٠- العلمانية في الإسلام ، انعام أحمد قدوح ، دار السيرة ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان ١٩٩٥.

١١١- العلمانية في ميزان العلم ، عيد الدويهيس ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٨ م.

١١٢- العلمانية منبع الضياع ، عيد الدويهيس ، الطبعة الأولى ، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م).

١١٣- العلمانية وثمارها الخبيثة ، ، محمد شاكر الشريف ، دار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ، الرياض ، جمادى الأول ، ١٤١١ هـ .

١١٤- العلمانية وسياسات الدولة تجاه الدين الولايات المتحدة ، فرنسا ، تركيا ، أحمد كورو ، ترجمة ندى السيد ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠١٢م.

١١٥- العلمانية ونقضها لأصل الدين ، إبراهيم بن الحاج خليف محمود بن الحسني الشافعي.

١١٦- علل الشرائع، الشيخ الصدوق(٣٨١) ، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ، (١٣٨٦ – ١٩٦٦ م)

١١٧- عمل المرأة في الاعلام المرئي أحكامه وضوابطه الشرعية ، د. حذيفة عكاش.

١١٨- العولمة ، سليمان بن صالح الخراشي ، دار بلنسية.

١١٩- العولمة في المفهوم والمظاهر والآثار ، لعساس آسيا.

١٢٠- الغرب من الداخل الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة ، د. مازن بن صلاح مطبقاني الأستاذ المشارك بعمادة البحث العلمي جامعة محمد بن سعود الإسلامية.

١٢١- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه ، الشيخ محمد الصادقي ، (١٤٣٢) فرهنگ اسلامى ، الطبعة الثانية ، ايران ، قم ، ١٤٠٦ هـ . ق.

١٢٢- فشل العلمانية وارتباطها بالماسونية د. منال محمد أبو العزائم ١٤٤٥ هـ.

١٢٣- فلسفة التفاحة جاذبية نيوتن ، نقولا حداد ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٢ م.

١٢٤- فلسفة العلم في القرن العشرين الأصول – الحصاد – الآفاق المستقبلية أ.د. يمنى طريف الخول الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠١٤ م.

١٢٥- الفلسفة والمسألة الاجتماعية ، ول ديورانت ، ترجمة د . أنور الحمادي.

١٢٦- قصة الفلسفة الحديثة ، زكي نجيب محمود ، وأحمد أمين ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٠ م.

١٢٧- قصتي مارلين مونرو ، مارلين مونرو وبن هكت ، ترجمة وتقديم باسم محمود ، دار المدى ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٧ م.

١٢٨- قلب الإسلام القيم الخالدة من أجل الإنسانية ، حسين نصر ، تعريب داخل الحمداني ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠٠٩ م.

١٢٩- كارل ماركس سيرة مختصرة وعرض للماركسية ، فلادمير لينين ، دار الصمد ، تونس.

١٣٠- كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٣١- الكتاب المقدس (العهد الجديد) ، الكنيسة ، دار الكتاب المقدس ، ١٩٨٠ م.

١٣٢- كلمات نابليون ، تعريب إبراهيم رمزي ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١١ م.

١٣٣- كنديد فولتري ، ترجمة عادل زعيت ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٨ م.

١٣٤- الكوميديا الإلهية (النشيد الأول) الجحيم ، دانتي أليجيري ، ترجمة حسن عثمان ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٤ م.

١٣٥- لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين ، دار صادر الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٤١٤ هـ.

١٣٦- لماذا نحب؟ طبيعة الحب وكيمياؤه ، هيلين فيشر ، ترجمة فاطمة ناعوت ، أيمن حامد ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠٢٣ م.

١٣٧- اللورد كرومر الإمبريالي والحاكم الاستعماري ، روجر أوين ، ترجمة رءوف عباس.

١٣٨- الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري ، منير شفيق ، دار الطليعة ، بيروت.

١٣٩- مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة المانية) ، للقس الألماني الدكتور جوتفرايد كونزلن ، تقديم وتعليق محمد عمارة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م.

١٤٠- الماسونية ذلك العالم المجهول دراسة في الاسرار التنظيمية لليهودية العالمية ، الدكتور صابر طعيمة ، دار الجليل ، الطبعة السابعة ، بيروت ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

١٤١- المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية ، أحمد طه ، الطبعة الالكترونية الأولى ، (١٤٤٢ هـ ٢٠٢١ م).

١٤٢- مجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي ، الدكتور محمد زين الهادي ، دار العاصمة ، النشرة الأولى ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٩ هـ .

١٤٣- مجلة المنار ، الدكتور محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ) ١٣٣٥ هـ.

١٤٤- مجمع البيان في تفسير القرآن ، تأليف أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ) ، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين قدم له الامام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الاولى ، بيروت ، لبنان (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

١٤٥- المخدرات نيكول مايستراشي ، ترجمة زينا مغربل ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، الرياض ، (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤ م).

١٤٦- مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية ، سيد محمد نقيب العطاس ، ترجمة محمد طاهر الميساوي ، المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) .

١٤٧- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم ، د. غالب بن علي عواجي ، المكتبة العصرية الذهبية ، الطبعة الأولى ، جدة ، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)

١٤٨- مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب، دار الشروق القاهرة ، الطبعة السابعة (١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م).

١٤٩- مذكرات لينين عن الحروب الأوروبية ماضيها وحاضرها ، فلاديمري لينني ، ترجمة أحمد رفعت ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٧ م.

١٥٠- المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ، وحيد الدين خان ، ترجمة سيد رئيس أحمد الندوي ، مراجعة الدكتور ظفر الإسلام خان ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، (١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م).

١٥١- المرجعية وأثرها في بناء الانسان – المحور الثقافي ، وسن صاحب عيدان ، العتبة العلوية المقدسة.

١٥٢- المسلمون والحضارة الغربية ، تأليف د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، الطبعة التمهيدية ، ١٣٩٢ هـ.

١٥٣- مشكلة الإجهاض دراسة طبية فقهية ، د. محمد علي بار ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، جدة ، (١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م).

١٥٤- مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية ، خالد محسن ، مركز الإعلام العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة (١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م).

١٥٥- مطالعات علمية تأليف علي مصطفى مشرفة الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠٢٢ م.

١٥٦- المعجم الفلسفي ، الدكتور جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٢م.

١٥٧- المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

١٥٨- معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) ، بمساعدة فريق عمل عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م).

١٥٩- معجم المصطلحات الفقهية والقانونية، الدكتور جرجس جرجس ، الشركة العالمية للكتاب شميل ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ م.

١٦٠- المعجم الوسيط ، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الثانية ، (١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م).

١٦١- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ،زعيم الحوزات العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدس سره، الطبعة الخامسة طبعة منقحة ومزيدة، السنة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).

١٦٢- معجم مصطلحات علم النفس ، منير وهيب الخازن ، دار النشر للجامعيين.

١٦٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

١٦٤- معركة الإسلام والعلمانية ، سلمان بن فهد العودة المشرف على شبكة الإسلام اليوم.

١٦٥- معركة التقاليد ، محمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السادسة عشر ، القاهرة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).

١٦٦- معركة النص ، فهد بن صالح العجلان ، مجلة البيان ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٤٣٣هـ.

١٦٧- المفترون خطاب التطرف العلماني في الميزان ، فهمي هويدي ، دار الشروق ، القاهرة .

١٦٨- المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، المحقق: صفوان عدنان الداودي دار القلم، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ .

١٦٩- من العلم العلماني الى العلم الديني ، مهدي كلشني ، ترجمة سرمد الطائي ، مراجعة صادق العبادي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

١٧٠- من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق (٣٨١) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ م.

١٧١- من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، دار القارئ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٩م.

١٧٢- المؤامرة على اللغة العربية ، أبي نصر محمد بن عبدالله الإمام ، مكتبة الإمام الألباني ، الطبعة الأولى ، صنعاء ، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م).

١٧٣- مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى السبزواري (١٤١٤) ، دفتر سماحه آيت الله العظمى السبزوارى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ . ق.

١٧٤- موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة ، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت ، ١٤٣٣ هـ..

١٧٥- موقف الإسلام من العلمانية دكتور صلاح الصاوي دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).

١٧٦- ميزان الحكمة محمد الريشهري دار الحديث الطبعة الأولى.

١٧٧- الميزان في تفسير القرآن ، تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره (١٤٠٢) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، بقم المشرفة.

١٧٨- نساء عاشقات ، د. هـ . لورانس ، ترجمة أمجد حسين ، دار المدى للثقافة والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ م.

١٧٩- النساء والموضة والأزياء ، خالد عبد الرحمن الشايع ، راجعه وقدمه الدكتور صالح بن غانم السدلان ، دار بلنسية.

١٨٠- نصر حامد أبو زيد دراسة النظريات ونقدها ، مجموعة مؤلفين ، العتبة العباسية المقدسة المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، الطبعة الأولى ، النجف ، العراق ، (١٤٤١هـ - ٢٠١٩ م).

١٨١- النظام السياسي الإسلامي والفكر الليبرالي ، دكتور محمد الجوهري حمد الجوهري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٣ م.

١٨٢- النظر والعمل والمأزق الحضاري العربي والإسلامي الراهن ، الدكتور أبو يعرب المرزوق ، الدكتور حسن حنفي ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، بيروت، لبنان ١٤٢٣ هـ.

١٨٣- نقد الدين عند سيغموند فرويد ، تونسي زكية ، جامعة فصدي مرباح ورقلة ، ٢٠٢٤ م

١٨٤- نهج البلاغة، خطب الامام علي عليه السلام، تحقيق محمد عبدة، دار الذخائر، الطبعة الأولى، قم ،ايران ، (١٤١٢ – ١٣٧٠ ش)

١٨٥- نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام ، الدكتور محمد عمارة ، دار الرشاد ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، (١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م).

١٨٦- هدى شعراوي تأسيس الاتحاد النسائي ، الدكتور محمود محمد علي.

١٨٧- هكذا تكلم زرادشت كتاب للكل ولا لأحد ، فريدريك نيتشه ، ترجمة فليكس فارس ، الناشر مؤسسة هنداوي ٢٠١٤ م.

١٨٨- هل الولايات المتحدة دولة علمانية، رشيد السراي ٢٠٢١ م.

١٨٩- وجها لوجه الإسلام والعلمانية ، الدكتور يوسف القرضاوي ، دار الصحوة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ، القاهرة ، (١٤١٤هـ -١٩٩٤م).

١٩٠- يورجن هابرماسٍ مقدمة قصرية جدا ، جيمس جوردن فينليسون ، ترجمة أحمد محمد الروبي الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٥.

المراجع الإنكليزية :-

١٩١- English-Arabic Reader's Dictionary , el-Azabi , hornby, parnwell , Oxford University Press , 1980.

١٩٢- Edwin Chadwick: A Pioneer of Public Health Reform and His Role in Sanitary Awakening , Pooja Mary Vaishali , Nisha Boopathy , Saveetha Institute of Medical and Technical Sciences, Saveetha University, Chennai, IND , 2024.

١٩٣- Ivan Petrovich Pavlov (1849–1936) Mr. Ankit P. Patel The International Journal of Indian Psychology: V.1 , n .3 | © 2014 April – June.

الرسائل والأطروحات الجامعية :-

١٩٤- الإسلام والعلمانية وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة ، مسعود عبد الخالق محمد أمين ، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ، لندن ، (١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م).

١٩٥- التيار العلماني وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد، منى محمد بهي الدين الشافعي، دار اليسر، جامعة الازهر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ.

١٩٦- الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية ، محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٤ هـ.

١٩٧- الدور التغريبي لبطرس البستاني في دائرة المعارف العربية ، هاشم بن خاطر بن عبد الرحمن البركي ، جامعة أم القرى، (١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م).

١٩٨- الشخصية السيكوباتية وعلاقتها بالوحدة النفسية وتقدير الذات لدى السجناء المودعين بسجن غزة المركزي ، رائد أحمد أبو هويشل ، الجامعة الإسلامية – غـزة (١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣م)

١٩٩- الصلة بين الأصول الفكرية للتنوير، و الليبرالية، و العلمانية، و الحداثة، و مابعد الحداثة د.آمال بنت عبد العزيز العمرو ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٤٣ – ١٤٣٥ هـ.

٢٠٠- العلمانية نشأتها وتطورها واثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر بن عبدالرحمن الحوالي.

٢٠١- العلمانيون والقران الكريم ، أحمد إدريس الطعان ، دار ابن حزم ، للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى ، (١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م).

٢٠٢- مصطفى كمال أتتاتورك وموقفه من الخلافة العثمانية ١٨٨٠ م – ١٩٣٨م ، فايزة علوش جامعة محمد خيضر، بسكرة ، السنة الجامعية ، (٢٠١٤ م – ٢٠١٥ م).

المجلات والدوريات :-

٢٠٣- أثر أسلوب الاستفهام في تفسير معاني آيات الاستعانة والرجاء عند مفسري الشيعة المحدثين ، خلود كريم ثجيل ، عامر هاشم الدريعي ، جامعة واسط ، مجلة كلية التربية ، المجلد (٢) العدد (٥٤) ، ٢٠٢٤.

٢٠٤- أساليب الغزو الفكري (العلمانية ، العولمة) ، أ.م.د. وليد احمد عبد الشجيري ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ، المجلد الثالث ، العدد الثالث والثلاثين.

٢٠٥- الاستشراق والتراث الإسلامي ، زياد علي دايح الفهداوي ، علاء حسين خلف الشجيري ، مجلة كلية التربية، العدد الواحد والعشرون : ٣١.

٢٠٦- تأثير الفكر النسوي على الأسرة المسلمة ، بشرى بنت سعيد خلف المطرفي كلية دار العلوم جامعة المنيا مجلة الدراسات العربية.

٢٠٧- تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي ، الدكتور عبد الله واثق شهيد ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد (٧٩).

٢٠٨- التحرش الجنسي ضد المرأة العاملة ، هند بن حميدة ، قسم علم الإجتماع ، معهد العلوم الإجتماعية والانسانية، المركز الجامعي، غليزان.

٢٠٩- الخمر عقوبتها واثارها ، د علي بن راشد الدبيان ، مجلة العدل ، العدد ٣٧ ، ١٤٢٩ هـ.

٢١٠- رأس المال المدرسي دراسة مفاهيمية ، بلحاوي فايزة ، كيم صبيحة ، مجلة آفاق الفكرية ، العدد ٣ ، المجلد ٩ ، ٢٠٢١ م.

٢١١- العذراء والطفل كمثري إبداعي لفنانين عصر النهضة (دراسة مقارنة) ، مي شعبان محمود محمد ، المجلة العلمية للتربية النوعية والعلوم التطبيقية.

٢١٢- علاقة الجندر بالحركة النسوية ، مسعودة مرغيت ، مجلة رفوف جامعة أدرار – الجزائر المجلد: ١١ العدد: ٠١ ، ٢٠٢٣ م.

٢١٣- العلمانية وخطرها على المجتمعات على الإسلامية ، د. جمال فؤاد خليفة ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان ، العدد الرابع ، (١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م).

٢١٤- العلمانية وموقف الإسلام منها ، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١١٥ ، ١٤٢٢ هـ.

٢١٥- العلمانية؛ مفهومها ونشأتها أحمد سعدي صادق كاظم عباس الساعدي آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية السنة العشرون، العدد الثاني، الخريف والشتاء ١٤٣٨ هـ .ق.

٢١٦- الفكر الإسلامي وأثره في محاربة النهج الثقافي للعولمة الغربية ، حيدر تقي فضيل ، مجلة كلية التربية ، العدد التاسع عشر ، نيسان ، ٢٠١٥.

٢١٧- في حوار حول الدين والحداثة والعلمنة الفيلسوف الفرنسي مارسيل غوشيه - سمة العالم الحديث.. الجهل ، حاوره : ماتيو جيرو ، مجلة الاستغراب ، العدد١ ، (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م).

٢١٨- فينومينولوجيا الجسد الأنثوي بين سلطة الرأسمالية ووثنية التسليع دراسة نقدية تكاملية في ومضة إعلانية لعطر نسائي ، ليلى طبيب ، جامعة جيجل ،١٨٠٠٠ الجزائر ، ٢٠٢٤ م.

٢١٩- اللغة الفرنسية في المغرب العربي: غنيمة حرب أم استلاب هوية؟ ، محمود الذوادي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٦٨ ، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٩ م.

٢٢٠- الماسونية بيه المؤيدين والمعارضين التعريف والنشأة نوران محمد أحمد السيد باز كلية البنات جامعة عين الشمس العدد الثامن عشر ٢٠١٧ م.

٢٢١- مدرسة الماركسية وتفسيرها للظاهرة التاريخية ، أحمد زاوي ، رشيد مياد ، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، ٢٠٢٢ م.

٢٢٢- مدى مشروعية حظر إرتداء الحجاب والنقاب في فرنسا ، هبة بوكر الدين ، جامعة باجي مختار- عنابة ، عدد ٣٨ ، ٢٠١٤ م.

٢٢٣- المرأة الحديثة في الغرب ، محمود محمد قاسم ، مجلة الثقافة ، العدد٣٨٦ ، ٢١مايو ١٩٤٦ م.

٢٢٤- مسلمو الحزب الديمقراطي الأمريكي كيث إليسون إنموذجا أ.د. نغم طالب عبد الله جامعة بغداد كلية التربية بن رشد المجلة السياسية الدولية العدد (٦١) ٢٠٢٤ م.

٢٢٥- مقاربة نقدية في العلاقة بين الحداثة والعلمانية من قلق السؤال إلى ارتباك المآل ، أ.د. عبد العزيز فضيل بوالشعير ، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ، المجلد ٩ ، العدد ٢ ، ٢٠٢١هـ.

٢٢٦- من صفات الباحث الى شروط المفسر مقاربة منهجية في أصول البحث العلمي ومحصلات عصمة النظر في الخطاب القرآني ، عماد جبار كاظم داوود ، مجلة كلية التربية ، المجلد (٢) العدد (٥٦) ، ٢٠٢٤.

٢٢٧- موقف عبد الرزاق السنهوري من تقنين الفقه الإسلامي ، حمد بوجمعة ، جملة العلوم القانونية و الاجتماعية ، جامعة زيان عاشور ، بالجلفة ، الجزائر المجلد الثامن ، العدد الأول ، مارس ٢٠٢٣.

المواقع الاكترونية:-

٢٢٨- انترناشيونال_هيرالد_تريبيون https://ar.wikipedia.org/wiki

Abstract

This thesis addresses the problematic relationship between secular thought, which is based on the principle of separating religion from the state, and the Islamic vision, which views religion as a comprehensive system that regulates human life in its individual, social, political, and economic dimensions. The study begins by diagnosing the tension between these two perspectives, particularly when attempting to apply the secular model to Islamic societies, and the questions this raises regarding religious identity, value-based reference, the role of Sharia in legislation, the nature of the relationship between ruler and ruled, and the impact of all these issues on societal ethics.

The thesis examines secularism in terms of its linguistic and terminological roots, its historical emergence in the Western context, its stages of development, and its moderate and extreme forms, while also clarifying its relationship with the concepts of secularization, modernity, globalization, and Freemasonry. It further analyzes the manifestations of secularism in various spheres of life and studies its negative effects in the Western world on the individual, the family, and society. The research then moves to explore its repercussions in the Islamic world and the confusion it has caused within value systems and social identity, with a dedicated examination of its impact on women in both Western and Islamic societies.

In contrast to this framework, the study focuses on elucidating the Qur'anic approach to addressing the manifestations of secularism by uncovering the intellectual motivations found in the Holy Qur'an and explaining their role in reshaping the awareness of the Muslim individual and safeguarding it from materialistic and rationalistic tendencies detached from religion. The thesis demonstrates that the Holy Qur'an offers an integrated conception of life based on a balance between the spiritual and material dimensions, rejects the separation of religion from the state, and establishes intellectual, educational, and legislative foundations capable of addressing the intellectual deviations

produced by secularism in the fields of material thought, economics, ethics, social relations, law, art, media, and science.

The study adopts a descriptive–analytical methodology in presenting and analyzing the phenomenon of secularism, supported by an inductive approach in collecting relevant Qur'anic verses and deriving their intellectual implications, in addition to a historical method in tracing the origins of secularism and its stages of development. The thesis concludes that Qur'anic intellectual motivations constitute an integrated civilizational project capable of confronting contemporary intellectual challenges, correcting the course of human thought, and building a balanced awareness that preserves Islamic identity while achieving harmony between the demands of the modern age and the constants of religion.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education

and Scientific Research
University of Wasit / College of Education

for Human Sciences
Department of Qur'anic Sciences and

Islamic Education / Qur'anic Studies
Postgraduate Studies

The Intellectual Motivations in the Holy Qur'an and Their Role in Addressing the Manifestations of Secularism

A Thesis Submitted
To the Council of the College of Education for Human Sciences / University of Wasit,
in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in the Department of Qur'anic Sciences and Islamic Education / Qur'anic Studies

By

Ali Hussein Abdul Ali Jasim

Supervised by
Prof. Dr. Hayder Taqi Fadheel Al-Allaak

2026 A.D. **1447 A.H.**